الإنسان
بين
المادة والروح

الدكتورة
رواء زكي يونس الطويل
أستاذ مساعد

ZAHRAN
زهران
للنشر
PUBLISHERS

الإنسان بين المادة والروح

الإنسان بين المادة والروح

د.رواء زكي يونس الطويل

أستاذ مساعد

مركز الدراسات الاقليمية

2009

الطبعة الأولى

1431هـ-2010م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(2009/10/4622)

211
الطويل، رواء
الإنسان بين المادة والروح/رواء يونس زكي الطويل.- عمان: دار زهران، 2009.
(   ) ص.
ر.أ : (2009/10/4622)
الواصفات: / الثقافة الإسلامية//الوعد والإرشاد//الإسلام /

❖ اعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي

دار زهران للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5331289 - 6 - 962+، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن
E-mail : Zahran.publishers@gmail.com
www.darzahran.net

إهداء

الى روح والدتي ساهرة عبدالهادي الصراف

تغمدها الله برحمته الواسعة

الفهرست

الفصل الاول
تنظيم الحياة والعناية بالانسان

الفصل الثاني
مواجهة ثقافة الاختراق

الفصل الثالث
الانسان بين المادة والروح

الفصل الرابع

اسس بناء دولة

الفصل الخامس

مفهوم الاقتصاد في ظل المبادئ الروحية للاسلام

الفصل السادس
تطبيق الاقتصاد الاسلامي

الفصل السابع
دور الزكاة في المجتمع

الفصل الثامن

بناء شخصية الشباب استعدادا للتنمية

التمهيد

التمهيد

ان تنامي ظاهرة التكتلات الاقتصادية الكبرى وانشاء مناطق التجارة الحرة والاسواق الواسعة، والتي جاءت في ظل تطورات دولية واقليمية هامة ومتسارعة، تنبئ عن قيام مرحلة جديدة في نظام العلاقات الدولية تقوم قواعدها على التجمعات الاقتصادية الكبرى بدءاً من الوحدة الاوربية ومرورا بتجمع النافتا، وتجمع دول الابيك (Apec)

الذي يضم رابطة دول جنوب شرقي اسيا، ووصولاً إلى ما انتهت اليه جولة اورجوي في 15/ 12/ 1993 والتي ضمت 117 دولة من بينها 6 دول عربية، من تحقيق انفراج كبير في مجال التجارة الدولية، يقوم على مبدأ تحرير التجارة الدولية والخدمات من كل القيود في اطار الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة والمعروفة باسم الجات GATT والتي أقرت بنودها عام 1994، وبدء منظمة التجارة العالميةWTO في ممارسة أعمالها اعتبارا من مطلع عام 1995، وما يشكله ذلك كله من تحديات للدول النامية بصفة عامة والدول العربية بصفة خاصة، الامر الذي دعا الدكتور عصمت عبد المجيد في 9/ 1/ 1995 في مؤتمر التحديات الاقتصادية، الذي نظمه مركز الدراسات العربي – الأوربي، والذي عقد في دبي بدولة الامارات العربية المتحدة إلى الدعوة لإقامة منظمة تجارة حرة عربية اسمهاAFTA "افتا عربية"، وذلك بغية التعامل مع هذه التحديات بوعي وإدراك، والاستفادة من الجوانب الايجابية، وبما يفيد التضامن والتكامل الاقتصادي العربي، خاصة وان اقامة منظمة التجارة العالمية قد ادى إلى خلق واقع تجاري عالمي جديد يؤثر في كافة الدول الاعظاء وغير الاعظاء في الجات. ويقوم هذا الواقع على القدرة التنافسية للسلع والخدمات وليس فقط القيمة النسبية التي كانت سائدة حتى وقت قريب، الامر الذي سيمكن الدول المتقدمة من جني الكثير من المكاسب من الواقع الجديد، وسيتم ذلك على

حساب الدول النامية. ان هذا الوقع الجديد يفرض علينا الاستفادة من الاستثناءات الممنوحة للدول النامية في اطار الاتفاقية العامة للتعريفة والتجارة، يعمل على اعادة ترتيب وتكييف الاوضاع الاقتصادية العربية، وبما يتلائم مع مقتضيات منظمة التجارة العالمية. من هنا تبرز ظاهرة العولمة التي بدأ الحديث عنها بشكل مكثف في الوطن العربي منذ فترة يدافع عنها البعض ويهاجمها البعض الاخر. حيث عقدت الندوات وصدرت بحوث ودراسات حول هذا الموضوع، فمنهم من يرى انها تبشر بوعود مشرفة للجميع ومنه من يعتبرها الوجه الاخر للهيمنة الامبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة.

تقديم:

تظهر مشكلة الدراسة من خلال تعريف العولمة، فقد تعددت التعاريف في مصطلح العولمة فمنهم من يعرفها بأنها القوى التي لايمكن السيطرة عليها للاسواق الدولية والشركات المتعددة الجنسية التي ليس لها ولاء لاية دولة قومية ومنهم من يقول أنها حرية حركة السلع والخدمات والايدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والاقليمية فالمقصود بالعولمة من وجهة نظر غليون هو الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معاً في طور من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الانسانية موحداً او نازعاً للتوحد ولكن غليون يستدرك حين يرى ان معنى الوحدة هنا يعني بها التجسس والتساوي بين جميع اجزاء العالم والمجتمع البشري ولكنها تعني درجة عالية من التفاعل بين مناطق ومجتمعات بشرية مختلفة و متباينة وبالتالي ازدياد درجة التأثير والتأثر المتباينين ولذلك ارتبط مفهوم العولمة بمفهوم الاعتماد المتبادل وبالمقابل يرى فيليب غومين انه بالرغم من ان عملية العولمة قد جذبت بجذورها في الاعماق في بعض المبادى وتخطت السيادة القومية للدول في بعض القطاعات كالمال والاعلام والثقافة الاان الدولة القومية مازال لها الكلمة الفصل في مسائل اخرى كالدفاع وحتى التجارة الخارجية ولذا

يقدم لنا مفهومConceptually ولا من حيث اختبارها على ارض الواقع لذا يصدر من عدم المبالغة بأهمية هذه الظاهرة كظاهرة تلغي التمايز القومي الغاءأ تاماً.

ويقتبس علي حميدان من جورج طرابيشي قوله عن العولمة "بأنها الظاهرة التأريخية لنهاية القرن العشرين أو لبداية القرن الواحد والعشرين مثلما كانت القومية في الاقتصاد والسياسة وفي الثقافة هي الظاهرة لنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ويرى برهان غيلون ان هذه الظاهرة هي تطور طبيعي للحضارة منذ اقدم الحقب التاريخية حيث انتقلت تقنيات الثورة التقنية الاولى المسماة بالعصر الحجري ثم التقنيات المرتبطة بالعصر الحديدي فالزراعي والتي بدأت من عدة الاف من السنوات قبل الميلاد وهكذا، أي يضع غليون هذه الظاهرة ضمن سياقها التأريخي ولكن ما يميزها الان هو كثافة المبادلات بين البلدان والمناطق وسرعة الانتشار. قطاع التحويل والعمليات المالية والمعلوماتية والثقافية وكذلك الاسواق.

مدخل:

ان ظاهرة العولمة هي تطور تاريخي طبيعي فهل يتطور التاريخ من تلقاء نفسه ؟ أم ان هناك من يصنعه ؟ ان الشواهد التاريخية تعطينا الاجابات المصححة عن هذا التساؤل فمثلما تحكم الاقوياء في الماضي او بالاحرى صنع الاقوياء للتاريخ بما فيه من تقدم علمي وتقني تساوت ثقافتهم السياسية ومفاهيمهم الاقتصادية والايديولوجية يتحكم اليوم الاقوياء بسيادة هذه القيم والافكار والسلوكيات واذا كان التاريخ في الماضي في فترة ما صنعته دولة او امبراطورية فان التاريخ اليوم وسيادة مفاهيمه تصنعها أكثر من دولة بنسب مختلفة يتوازى وما تملكه كل دولة من هذه الدول من قدرات ومؤسسات متنوعة اقتصادية ومالية وعسكرية واعلامية وثقافية وغيرها وليس العالم بأجمعه كما يوصي به مصطلح العولمة. فاذا

اخذنا على سبيل المثال الزيادة المطردة لعدد الشركات المتعددة الجنسيات التي صعدت من 11000 شركة الى 82 ألف شركة فرعية يصل حجم مبيعاتها إلى 25 بالمئة من حجم التجارة العالمية عام 1975 لتصل الى 37500 شركة تتحكم ب 207000 شركة فرعية تبلغ قيمة مبيعات فروعها الاجنبية وحدها ما يساوي حجم التجارة العلمية عام 1990 كما ينعكس ذلك في تطور قيمة الاستثمارات الاجنبية للدول الصناعية الكبرى فقد ارتفعت استثمارات اليابان الخارجية على سبيل المثال من 17 مليار دولار عام 1980 الى 217 مليار عام 1990 أي 12 ضعفاً في مدة عشر سنوات أما الولايات المتحدة فقد زادت استثماراتها الخارجية من 110 مليارات دولار عام 1980 الى 206 مليارات دولار عام 1991 وزاد حجم التداول اليومي في البورصات العالمية من حوالي 200 مليار دولار عام 1980 الى 1200 مليار دولار عام 1995 كما ان 90 بالمئة من الاستثمار الاجنبي يذهب مباشرة الى ما يزيد عن 12 بلد أي تحتكره مجموعة من الدول لايصل عددها الى نسبة 8 بالمئة من مجموع دول العالم.

ويرى المحللون ان العولمة لها تأثيرات ايجابية وتأثيرات سلبية ومن ايجابياتها ان هناك مشاكل انسانية مشتركة لايمكن حلها من منظور السيادة الوطنية المطلقة للدولة التي يقوم عليها النظام الدولي القائم حتى اليوم منها انتشار اسلحة الدمار الشامل والتهديدات النووية والبيئية و تطور الاوبئة والامراض المعدية وانتقال الايدي العاملة بكثافة من منطقة الى منطقة اخرى وانتشار الجريمة والمخدرات وغيرها.

بينما التأثيرات السلبية للعولمة تتمثل في الخشية من ذوبان الدول القومية بحيث تفقد فيها سيادتها المطلقة وخصوصاً الدول الضعيفة علماً بأن العولمة قد بدأت بأختراق السيادة القومية حتى الدول الكبيرة ولكن بنسب متفاوتة وفي مجالات معينة بينما ستبقى الدولة

لاعباً رئيسياً بين لاعبين عدة ولكنها لن تكون ذات سيطرة مطلقة. ومن التأثيرات السلبية أيضاً:

- انهيار التوازنات الدولية السابقة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية
- مضاعفة فرص المجموعات الاقوى تلك القوى التي كانت تسيطر في الاصل على عناصر القوة الاقتصادية والعلمية والتقنية والثقافية وغيرها.
- تعميق التناقض بين المجموعات البشرية بقدر قدرة هذه المجتمعات على بلورة استراتجييات فعالة وناجحة للصراع على المصالح.
- زيادة الدول القوية غنى بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً أي ان هناك دولا قناصة ودولاً مقنوصة.

يوضح البحث دور الحصانة لدى امتنا وشعبنا في مواجهة العولمة و عصر المعلوماتية، حيث تتعرض الآن الى التحديات بكل ابعادها، السياسية والثقافية والاقتصادية، وفي ظل استعلاء القوى المهيمنة على القرار السياسي في الارض التي ارادها الله دار خلافة وابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر، حيث تتعالى الصيحات الداعية الى تقديم الكاوبوي نموذجاً لنهاية الانسان، والزمن الامريكي نهاية للازمان، والمكان الامريكي نهاية للامكنة، وفي حديث النهايات المهيمن إلى الساحة الثقافية يعلن ان كل ماهو غير امريكي هو غير حضاري وغير انساني ولا بد ان تعلن عليه الحرب، وتحشد الترسانة الاعلامية لصالح ذلك.

ويوضح البحث كيفية بقاء الصوت المتمسك بخصوصيته، خصوصية الفطرة الانسانية الموحدة المسترشدة بالوحي الاهي، والداعي الى النجاة، نجاة في الدنيا وفوز في

الاخرة، قال تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾

الهجمة الاعلامية الشرسة للعولمة والاعلام الغربي:

السؤال الذي يطرح نفسه الآن يقول : هل انشغال الفكر العربي العربي المعاصر بموضوع العولمة يشبه انشغال هذا الفكر بموضوعات وصراعات ثقافية من قبل كانت قد شغلته عن انتاج ثقافته الاصيلة الخاصة به، فراح يدور في فلك نظريات. ان الامر مختلف تماماً مع ظاهرة العولمة لاسباب كثيرة منها اننا نجد أنفسنا وجه لوجه في مواجهة أيديولوجية العولمة وابتلاع الحضارات والخصوصيات بشراسة مزودة بأحدث الات الفتك والتدمير.[1]

ومن هذه الاسباب ايضا هذا التقدم المذهل في وسائل الاتصال وفي المعلوماتية التي مكنتنا من ان نتواصل انيا مع أرجاء العالم.

ان ظهور البعد الثقافي كالية فعالة في عمل العولمة، وفي مقاومتها والحد من وحشيتها في ان معاً فلاول مرة يجد المفكر العربي نفسه جنبا الى جنب مع مفكري العالم المتقدم والمتخلف، في لحظة تفكير واحدة امام موضوع محدد، خصوصاً وان العولمة لم تنجز نفسها تأريخيا بعد، وما زالت في طور التخلق والتشكل، وفي طور الارادات التي تبحث عن تجسيداتها المشخصة هذه الارادات هي التي تمثل ايديولوجيا العولمة وخطابها الثقافي والسياسي الذي يبشر بنهاية التاريخ(بعد ان حط عصا ترحاله في اصطبلات الكاوبوي الامريكي).[2]

ان المأخوذين بالعولمة الذين ينكرون أي خصوصيات حظارية او ثقافية تتمايز بها الامم والشعوب معتبرين الفكر العربي القومي، والهوية القومية، من مخلفات التاريخ.

ويعدون الحديث عن السيادة، وعن الوحدة القومية، من القاموس السياسي المنقرض، ويعلنون ان شعار الغزو الثقافي وسيلة رخيصة تلجأ اليها الحكومات المستبدة والفاسدة لتضليل الجماهير، وصرفها عن حقوقها، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويعدون ذلك كله من الايدولوجيات الزائفة، بل الاسطورية. فألعالم قد دفن الايدولوجيات وهو يمضي باتجاه ازالة الصراعات السياسية ةالاثنية والدينية والطبقية. بين البشر فالوحدة العربية اسطورة، والامة العربية اسطورة، والاشتراكية اسطورة، والديموقراطية اسطورة، والكفاح ضد الصهيونية اسطورة، والاستقلال عن الغرب اسطورة. وكنتيجة منطقية لكل ما سبق تغدو التجزئة والقطرية وانعدام المساواة والاستبداد والتبعية والكيان الصهيوني(اسرائيل) العالم الحقيقي الذي لايحتوي على أي نقيض.(3)

ان الهجمة الاعلامية الشرسة للعولمة وللاعلام الغربي، جعلت الانسان العربي المؤمن بعروبته وقوميته وبوحدة الوطن العربي، مثاراً للسخرية وبعدم التأقلم مع المستجدات، فالاعلام الغربي لاينفلك يحفر في اذهان العرب ليعيد تشكيل وجدان العرب وهويتهم، انها عملية منظمة للاستلاب وابادة الهوية القومية كما ترسخت عبر الاف السنين(4).

فوكوياما والعولمة وتسفيه الحضارة العربية الاسلامية:

يقول فوكوياما في نهاية كتابه المثير للجدل(نهاية التاريخ والانسان الاخير) "موكب هائل من العربات على طول الطريق، بعضها يجر بطريقة حتمية باتجاه المدنية، بينما بعضها الاخر يستقر في مخيمات في عناء الصحراء ....الخ ...الاغلبية العظمى ستصل الى المدينة، العربات متشابهة، حينها سيقر كل عاقل انه لا توجد الارحلة واحدة ووجهه واحدة"(5). هذه الفقرة تمثل احد اعمدة(فكرة امريكا)، فنلاحظ ان العربات هي

الحضارات والثقافات، وان المدنية هي الحضارة الغربية كما تجسدت اخيراً في الولايات المتحدة الامريكية.

ان فوكوياما وامثاله يعزفون على وتر يحب الامريكيون نغماته، فهم يستغلون ما في المخيلة الامريكية من اساطير توراتية حملها معهم اجدادهم من بروتستانت انكلترا لاسيما البيورتانيون منهم، حيث ظنو انهم شعب الله المختار الجديد وظنوا ان امريكا هي ارض كنعان الموعودة المهيأة لاقامة اسرائيل الله الجديدة بعد افناء الهنود الحمر ...الخ، الان لسان رب العولمة صار نووياً ومسلحاً بأفتك الات الدمار وقادراً على ان يصنع نهاية التاريخ، والعناية الالهية قد وضعت بين يدي العولميين كل الاسلحة اللازمة لدحر الشيطان[6].

من النقاط المهمة جداً ان ارباب العولمة لايتورعون عن التخلي عن شعاراتهم حين تتعارض مع مصالحهم، ولا يتورعون عن الكيل بمكاييل كثيرة، وقد بدأ منذ وقت مبكر سيل من الدراسات والبحوث والاحكام، اطلقها الأوربيون ثم الأمريكيون، تبعهم المتأوربون والمتأمركون من تلاميذ المستشرقين، بهدف تسفيه الحضارة العربية الاسلامية وموروثها الثقافي واجهزتها المعرفية وانجازاتها عموما، رافعين شعار مفاده ان الصحيح والجيد في الحضارة العربية الاسلامية ليس عربيا، وان ماهو عربي فيها هو الاخس والاضعف[7]

التراث العربي الاسلامي في مواجهة العولمة :

ان الولاء لهوية قومية عربية تعني الولاء للعروبة، انتماءاً وسلوكاً، وان يكون الانسان عربياً، يعني ان يكون عروبياً أي نزوعاً نحو تعزيز الوحدة الثقافية العربية القائمة بوحدة اقتصادية ونوع من الوحدة السياسية[8]. ان طرح مشروع نهضوي عربي عصري ينبع من العقل والوجدان ويحرك الجماهير العربية بحرصه على تمثيل مصالحها وتطلعاتها لكافة

الاصعدة فانها ستعمل على انجازه دون ان تتوقع ايجاد الحلول السحرية لمشاكل حاضرها وتطلعات مستقبلها، دون ان تدير ظهورها لتراثها، ودون ان تنشغل بالذين يهاجمون التراث العربي الاسلامي[9].

ان رأس العولمة امريكا تحرص كل الحرص على اظهار الحركات الاصولية بطبعاتها الاكثر رجعية وجهلاً وتخلفاً، وكأنها التعبير الاوضح عن حقيقة الاسلام، في محاولة منهم لقطع الطريق امام الاسلام الحقيقي، لان هذا الاسلام سيغرز المقاومة الفعالة لمشاريع الغرب، والغرب يعلم ان هذه الحركات سرعان ما تستهلك نفسها وتحرجهم ثم تقضي عليهم، لذا يجب ان نعتبر ان الماضي ملكاً للجميع وان صراعاته يجب ان تكون وراء الجميع، لامعهم ولاامامهم[10].

ان العولمة ليست الخيار الوحيد المتاح امام الشعوب، وانما هي نتيجة لمقدمات وضعت لتحطيم الحواجز والحدود امام القيم والسلع ورؤوس الاموال.

لقد ساندت اوضاع الاقتصاد العالمي والظروف السياسية، بروز العولمة كظاهرة عالمية يدخل في ضلها العالم الفيتة الثالثة، وجاءت الثورة الصناعية الثالثة(العلمية-التكنولوجية)بكل معطياتها لتوفر الامكانات لانطلاق العولمة من معاقل البلدان الصناعية، طالما ان الرأسمالية هي الحاضنة الاساسية للتقدم العلمي والتكنولوجي، مما اعطى لها الحق بأن تستخدم ايحاءاتها التكنولوجية، بوضوح تام في تقديم نظريات سوسيولوجية واقتصادية وثقافية في اشاعة امركة الحياة على نطاق واسع[11].

العولمة وان بدت غير واضحة المعالم تماما لحد الان من حيث المفهوم Conceptually ولا من حيث اختبارها على ارض الواقع[12] الا ان جانبها الاقتصادي يعني الانتقال من الاقتصاد الدولي الى الاقتصاد العالمي أي الانتقال من اقتصاد

تتمحور خلاياها القاعدية على الذات الى اقتصاد متميز معولم Globalisum انتاجيا وتكنولوجيا وخدميا وماليا(13).

ورغم ما يظهر من قوة العولمة، واستبدادها وطغيانها فانها ما زالت تجابه بجدار من الممانعة، بقصد المحافظة على الذات.وعلى الوجود وعلى الهوية لئلا تذوب الامم والشعوب وتلاشى، قيمها واخلاقها وعقائدها ومقدراتها في سوق النمط الواحد والوحيد وليست هذه الممانعة تخلفا.ولا رفضا لآلاء العولمة وفضائلها وهي كثيرة، تتمثل في ادواتها، ولايستطيع احد ان ينكر حاجته الى هذه الادوات خصوصا ما يتعلق بسرعة الاتصال والتواصل، وسرعة الحصول على المعلومات رغم الحواجز والحدود.

هوامش ومصادر التمهيد:

1- لقد اقترن الحديث عن العولمة بأشياء براقة كحقوق الانسان والديموقراطية والاشادة العقلانية والعلم وقدرة التقانة الحديثة على التغلب على كل ما يعترض الانسان من عوائق ومشكلات والهجوم على التعصب سواء الديني او القومي، مصورين ان من يقف في وجه العولمة فهو ضد التحرر من الاستعباد باشكاله المختلفة.للمزيد انظر د.رواء زكي يونس، العولمة ونقل التكنلوجيا، مجلة دراسات مستقبلية، العراق،2002.

2- د.محمد راتب الحلاق، غوايات العولمة وترهاتها، مجلة دراسات دولية،16، مركز الدراسات الدولية جامعة بغداد،2002، ص104.

3- د.احمد برقاوي، العرب والقرن الحادي والعشرون، جريدة الكفاح العربي اللبنانية.

4- د.منير العكش، فكرة امريكا، مجلة الكرمن، العدد55-56،1992.

5- فرانيس فوكوياما، نهاية التاريخ والانسان الاخير، ترجمة باشراف مطاع صفدي، مركز الانماء العربي، بيروت،1993، ص310.

6- د.نايف علي عبيد، العولمة والعرب، المستقبل العربي، العدد221،1998، ص ص28 –32.

7- د.سيف علي الجروان، العولمة الاقتصادية واختراقها الحدود القومية للدول، المنتدى،155،1998، ص9.

8- د.محمد عابد الجابري، مسألة الهوية والعروبة والاسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1995، ص15.

9- د.محمد راتب الحلاق، العولمة وسؤال الهوية، مجلة الفكر السياسي، العدد4-5،1997

10- د.محي الدين حسين الطائي، العولمة واشكالية الثنائية، مجلة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة، العدد الاول، السنة الثانية،2000، ص ص29-36

11- د.عبد علي كاظم المعموري، العولمة محاولة الرأسمالية للتكيف مع ازمتها، مجلة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة العدد الاول، السنة الثانية،2000، ص18.

12- د.حميد الجميلي، استشراف مستقبل الاقتصاد العربي في ظل المتغيرات الدولية الجديدة، بيت الحكمة، بغداد،1997، ص9.

13- J.h.Dynning, for Globalization, Economic Restructuring and Development, UNCTAD,EDM, Er-cp, 7, Jeneva, 1994, p11.

الفصل الاول

تنظيم الحياة والعناية بالانسان

الفصل الاول

تنظيم الحياة والعناية بالانسان

مقدمة الفصل الاول :

لقد أعطى الله تعالى الحجة للمسلمين والأدلة القاطعة والبراهين الساطعة للدعوة العلمية الحسنة وذلك لوجود أكثر من ألف حقيقة علمية في القرآن في مجال العلوم الطبية والفلكية والهندسية وعلوم البحار وعلم الأرض والنبات والحيوان والفيزياء والكيمياء والجغرافية والحاسبات والاحصاء ...الخ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾(النحل :89)

ان الذي يكتب في كل العلوم والمخلوقات هو أكيد خالق هذه المخلوقات وموجد هذه المعلومات جلت قدرته، لأن الانسان مهما تدرج في نيل الدرجات العلمية والتأليف والتجارب الشخصية، يبقى علمه قليل مقارنة بمجموع العلوم المكتشفة وغير المكتشفة ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة : 15).

لقد جعل الله جل وعلا للمسلمين النصر بسهولة استنتاج الترابط العلمي الوثيق بين الحقائق القرآنية ومختلف العلوم وسهولة استخراج جوهر القرآن واعجازه القادر على العطاء بما يتلاءم وعلوم ذلك العصر، ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة 48) فقد جعل الله سبحانه وتعالى الهيمنة للقرآن الكريم على الكتب السماوية التي سبقته، كما جعله المرجع الأخير في منهج الحياة وشرائع الناس ونظام حياتهم، وهذا يتبين جليا واضحا في اعجاز علومه واعجاز النظم ودقة أحكامه وكثرة تفاسيره وتراجمه وكثرة اسمائه واهتمام البشرية به بحيث لايعلم الا الله تعالى وحده

كم يبلغ ماوضع من علوم لخدمة كتابه الكريم. ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (سورة ص 29).

ان الاعجاز المنفرد للقرآن الكريم هو أنه أكثر الكتب التي تقرأ في العالم وبدون منافس الى يوم القيامة، وهو أسهلها بدلالة أن الأميين من المسلمين عرب أو غير عرب يحفظون ماتيسر منه وباللغة العربية لأنه جزء مهم من صلاتهم، كما وتؤكد هذه الحقيقة الملموسة أن تيار القرآن المتواصل الحركة مع جريان الشمس وصلوات المسلمين في كل لحظة وانتقالها من بقعة الى أخرى في هذه الأرض ايقاع صوتي متناسق(ترتيل أو تجويد) بديع ومتكرر ومتميز ومنفرد لهذه الأمة وبلغة واحدة، فان أكثر من مليار مسلم في العالم في الوقت الحاضر يؤدون الصلوات الخمس ويعد تقسيم المليار مسلم على 1440[1](دقيقة لوجدنا أن مايقارب50 .694 مليون مسلم على اختلاف لغاتهم وتباين السنتهم يتلون القرآن متعبدين في صلاتهم في الدقيقة الواحدة ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ﴾ (سورة الرعد 2) ولو افترضنا أن نصف عدد المسلمين يقيم الصلاة لرأينا أن حوالي 2 .347 مليون مسلم يقيم الصلاة في الدقيقة وعلى مدار اليوم كله وبشكل متواتر مع جريان الشمس وبلغة واحدة ونظام واحد.

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾(سورة النمل، 93)، ﴿ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ (سورة غافر، 81) ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ (سورة المجادلة، 11).

ان لهذه الآيات وضع دقيق ومعنى خليق بالتأمل، وهو بمثابة استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم الى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة وفي هذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم كما كان معجزة للبلغاء في جانبه النظمي، وكذلك خطابا للرسول(ﷺ) تعليما له لمعنى يدرك

كنهه[2] وقد ثبت، ان القرآن مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة في عقلها ونقلها اشتمالا يمتنع حصوله في سائر الكتب فكان ذلك معجزا[3] ان هذا العصر هو عصر الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، وقد كتب الكثير في(الاعجاز العلمي القرآني بعد اكتشاف الكثير من الحقائق العلمية وتحديدا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وعقدت الندوات والمؤتمرات والمعارض في البلاد الاسلامية[4]

أهمية الفصل الاول :

ان في القرآن سرا خاصا، يشعر كل من يواجه نصوصه ابتداءاً، قبل أن يبحث عن مواضع الاعجاز فيها، فيشعر الانسان بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، ويشعر أن هناك شيئا ماوراء المعاني التي يدركها العقل في التعبير، وان هناك عنصرا ماينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يراه بعض الناس واضحا ويراه الآخر غامضا[5] ان هذا السر مودع في كل نص قرآني، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء، ثم تأتي الأسرار المدركة وراءه بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله.

ان الظواهر المدركة وأمثالها، مع ذلك السر الخافي الذي لاسبيل الى أنكاره، يسبغ على القرآن سمة الاعجاز المطلق في جميع العصور، وهي مسألة لايماري فيها انسان يحترم نفسه وحسه والحقيقة التي تطالعه بقوة وعمق ووضوح، عند قراءة القرآن بقلب سليم، فهذا الشمول والتوازن والتناسق بين توجيهاته كلها، والاستواء على أفق واحد فيها كلها، مما لايعهد اطلاقا في أعمال البشر التي لاتستقر على حال واحدة[6]ان الطريقة التي يتبعها القرآن لبناء التصور الكامل الصحيح في الادراك البشري وهو يخاطب الفطرة، خطابا خاصا، غير معهود مثله في كلام البشر عامة وهو يقلب القلب من جميع جوانبه ومن جميع مداخله، ويعالجه علاج الخبير بكل زاوية وكل سر فيه.

ان آيات الاعجاز العلمي للقرآن الكريم تتجلى يوما بعد آخر، وعلى مر القرون، ومنذ نزول الوحي وحتى قيام الساعة تبين لمن ينكره ويجحد آياته أنه كلام الله تعالى لما فيه من دلالات اعجاز يقف العقل البشري أزاء ها مذعناً لصدقها مثلا، فقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (الواقعة 68)، ينبهنا الله تعالى في الآية الكريمة أن الماء الصالح للشرب النازل من الغيوم التي حان أمطارها، هو الذي ينزله وأننا غير قادرين على ذلك[7].

وفي خصوص التفسير العلمي لما سبق فهي أن معظم حالات الغيث النازل من الغيوم البركانية يسبقه برق، وللبرق شرارة كهربائية تصل فولتيتها الى حوالي 20 مليون فولت، مولداً تياراً يتراوح بين(10 -50) ألف أمبير، وهذه الكهربائية يقدرها المولى تعالى بحيث تكون بفولتية معينة ولفترة زمنية معينة قد تستغرق أكثر أو أقل من ثانية بحيث تكون شدة التيار الناتج عنها كافيا بلا زيادة ولانقصان لاتحاد عدد معين من ذرات النتروجين مع عدد معين آخر من ذرات الأوكسجين في الغلاف الجوي وبذلك يساعد البرق على هذا الاتحاد[8]. ويكمن الاعجاز في كون الغيث النازل هذا صالح للشرب كما أشارت الآية.

هدف الفصل الاول :

يهدف البحث الى بيان الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، ان كل مشهد من المشاهد تناولته يد الابداع والتغيير الدائبة التي لاتفتر عن الابداع، فالقرآن يفرده كل بنص خاص، الخلائق التي تعمر الأرض من الاحياء نباتا وحيوانا وطيرا وسمكا وزواحف وحشرات، هذه الخلائق التي لم يعرف عدد أنواعها وأجناسها بعد ولو تأمل الناس الى مافي الأرض من

عجائب، والى ماتشير اليه هذه العجائب من آيات، ماانتهى لهم قول، والنص القرآني ما هو يفعله هو أنه يوقظ القلب البشري للتأمل والتدبير واستجلاء العجائب.

كما يهدف البحث الى ادراك هذه العجائب والتي لايستمتع بها الا القلب العامر باليقين[9]، فالقلوب لاتفتح لحقيقة الوجود الا بمفتاح الايمان، ولانراها الا بنور اليقين، وخاصة العجيبة العظيمة وهي المخلوق الانساني، حيث قد يغفل الانسان عن قيمته وأسراره الكامنة في كيانه حين يغفل قلبه عن الايمان وحين يحرم نعمة اليقين.

مشكلة البحث:

يعرض الاعجاز القرآني النفس البشرية، هذه الجبلة الطينية كيف خلقت وكيف ركبت، يجعلنا ننظر معا في عجائب صنع الله في أنفسنا نظرة علمية دقيقة، كي نتوصل للحقيقة، وهي أن للكون اله يستحق منا العبادة والشكر، مهما قدمنا من شكر فاننا لاشك سنبقى في قمة التقصير بحق الله.

فعظمة الله تتجلى في خلق الانسان من بين الصلب والترائب، من أمشاج، كيفية تحديد جنس الجنين، تطور النطفة الى علقة، الغيض في الأرحام، تحول العلقة الى مضغة، تحول المضغة الى عظام، ثم انشأناه خلقا آخر، القرار المكين، الظلمات الثلاث، النظام العصبي، خاصية الذوق، البصر، عضلات العين، جهاز السمع عند الانسان، التركيب الدقيق لجهاز السمع، جلد الانسان، رائحة الجلد، مهمات الجلد المختلفة، وظائف الشعر، مشاعر الجلد والاستشعار، القلب، جهاز المراقبة الليلية، الشرايين والأوردة، عجائب الدم، الكلية وعجائبها، اللسان والشفتان والأنف.[10]

كما يظهر الاعجاز العلمي في القرآن، عظمة الله تعالى حين ننظر الى عالم الحيوان عن قرب، فنرى أمما حقيقية، وعالما له عاداته وأسراره الخاصة والتي تدعو النفس للتأمل

طويلا، فمن علم الرضيع من البهائم أن يستدل دون خبرة مسبقة على الثـدي، ومـن علـم الطير أسرار خريطة الأرض فيهاجر على هدى ونور، ومن علم الطير النطق والكلام، ومن يسير السلمون نحو رحلة الموت برضى واستسلام تامين، انظـر الى الابـل كيـف خلقـت، سنّام الابل، الحرارة في الابل، الصافنات الجياد، عالم الأنعام والحيوان وهي أمم أمثالنا.

ويتجلى الاعجاز القرآني في عظمة الله في خلق البحر، فكلما تعمقت العلوم في البحـر يجد العلماء أنفسهم مازالوا يطفون في قطرة مـن عجائـب القـرآن، كنـوز البحـار، البحـر المسخر، أسرار الماء، فواصل البحار، السياج المائي، مواطن استخراج الحلي، ظلمات البحر، الأمواج الداخلية، ويتبين الاعجاز القرآني في خلق الأرض، فكـل بـشر في الأرض ينـبض بالحياة، وكل حياة في الأرض آية تنطق بصمت أو جهر، وكأن الأرض صفحة قرآنية تترنم قرآنا تصدح به الجبال، خصوصا عندما يدرس الانسان الظواهر الطبيعية في الأرض فينظر في آيات القرآن فيجد ذلك التناسق والتكامـل العجيـب والتنـاغم بـين آيـات وصـفحات القرآن، كتاريخ بدء الخلق، خلق الليل والنهار، الجبال سفن وأوتاد، الجبال والماء والـزرع، الأرض بيضاوية لاكروية، ادنى الأرض وأخفضها، ظاهرة الفتق والرتق، القرآن وماتحـت الثرى، البترول والقرآن، الحديد منزل.

ويظهر علم الفلك عظمة الله في عظـيم صـنعه والاعجـاز القـرآني فيـه، فـأينما تـول وجهك شطر السماء، نرى أنوار تخفي كنوز ودقائق، وبناءاً محكـما وميزانـاً رتيبـاً، وحركـة وجريانا وتوسعاً ومدارات وطوافاً وعبادة وتسبيحاً، واذا نظرت ثم نظرت علومـا وملكـا عظيما، انما تدل على العظيم الخلاق، غزو الفضاء، أبواب السماء، اغطش ليلها، تمدد السماء ومواقع النجوم، غلاف الأرض وضياء الشمس، والاعجاز القرآني يجعل الحياة في ظـلال القرآن نعمة لايعرفها الا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيـه، ان هـذا يـؤدي الى يقين جازم انه لاصلاح لهذه الأرض ولاراحة لهذه البشرية، ولارفعـة ولابركـة ولاطهـارة

ولاتناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة، الا بالرجوع الى الله والرجوع الى الله كما يتجلى، لـه صورة واحدة وطريق واحد لاسواه، وهو العودة بالحياة كلهـا الى مـنهج الله الـذي رسـمه للبشرية في كتابه الكريم، تحكيم الكتاب وحده، والتحاكم اليه وحده، والا فهـو الفـساد في الأرض والشقاوة للناس، والجاهلية التي تعبد الهوى مـن دون الله(فـان لم يستجيبوا لـك فاعلم انما يتبعون أهواءهم، ومن أظل ممن اتبع هـواه بغـير هـدى مـن الله، ان الله لايهـدي القوم الظالمين.

فرضية الفصل الاول:

يفترض البحث ان الاعجاز العلمي يظهر في القرآن، لتتجلى بالتالي عظمة الخـالق في عجيب خلقه، ممثلا في أسرار أجسام المخلوقات، أسرار تكوينهـا الروحـي، وحيـثما وفـق الانسان يتأمل عجائب نفسه التقـى بـأسرار تـدهش وتحـير، تكـوين أعـضائه وتوزيعهـا، وظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف، عمليـة التـنفس والاحـتراق، دورة الـدم في القلـب والأوعية الدموية، الجهاز العصبي وتركيبه وادارته للجسم، الغدد وافرازها وعلاقتها بنمو الجسد ونشاطه وانتظامه، تناسق هذه الأجهزة كلها وتعاونها، وتجاوبها الكامل الدقيق.

ان الاسرار المعلومة والمجهولة في المخلوقات وطريقة ادراكها حيـث المجهـول أكـبر وأكثر، تظهر آثارها بين الحين والحين لمسات واشراقات تدل على ماوراء الظاهر من المغيب المجهول ثم أسرار هذا الجنس في توالده وتوارثه، ان خليـة واحـدة تحمـل كـل خـصائص الجنس البشري، فكل جزيئة في مخلوق عالم وحده، وكل مخلوق وكل فرد فيها مرآة ينعكس من خلالها هذا الوجود كله في صورة خاصة لاتتكـرر ابـداً عـلى مـدار الـدهر. فكـل فـرد نموذج خاص، لانظير له بين أبناء جنسه لافي شكله وملامحه ولافي عقلـه ومداركـه ولا في روحه ومشاعره ولافي صورة الكون كما هي في حسه وتصوره، ان هذه العجائب لايحصرها

كتاب، فالمعلوم يحتاج لتفاصيله الى مجلدات والمجهول أكثر من المعلوم، والقرآن يوقظ القلب للابصار والبصائر وللملاحظة والتدبر.

انها لمتعة أن يتأمل الانسان وجوه الخلائق وسماتهم وحركاتهم وعاداتهم بعين العابد السائح، ولأن القرآن بهذا يمتعنا بحياة جديدة ويهبنا متاعا لانظير له في كل مايصوره لنا، ان الايمان هو الذي يمنح القلب البشري هذا الزاد، وهو الذي يهيئ له هذا المتاع العلوي، وهو لايزال بعد في الأرض.

من خلال دراسة الاعجاز القرآني، أردنا أن نربط بين المعاصي التي ترتكب وكأنها حق من حقوق الانسان، دون خوف أو وجل من الله تعالى، وبين عظمة الله في خلقه التي تبين عظمة خلق الله، الصعب، المعقد، الذي اعجز البشر بكل علومه عن مشابهة الخلق ولو بجزء من المليون، حاشا لله.

الاعجاز العلمي في القرآن والسنة :

يوجد في القرآن الكريم مايقرب من ألف آية قرآنية كريمة تتناول في مضامينها المعاني الاعجازية العلمية المختلفة، فضلا عن ورود مئات الأحاديث النبوية الشريفة للرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وسلم في هذا المجال، بالاضافة الى أبواب الفقه المختلفة الأخرى ككتاب الأطعمة والأشربة وكتاب الطهارة وغيرها.

لقد انجزت دراسات علمية عديدة لآيات القرآن العظيم والأحاديث الشريفة لسيد البرية محمد بن عبد الله ﷺ، وقد تطرقت في مضامينها الى مختلف فروع العلم المادية وهي دراسات مقرونة بما ثبت اكتشافه من حقائق علمية وضعية لاجدال فيها بين العلماء. ومن الجدير بالذكر هو أن القواعد المعتمدة في تفسير الآيات الكريمة والأحاديث النبوية

الشريفة ذات العلاقة العلمية بالاعجاز العلمي في القرآن والسنة هـي مجموعـة مرتكـزات تلخص بالآتي[11]

أولا: ان الله تعـالى يعلـم كلامـه ووحيـه للعـالم التقـي ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[12]

ثانيا : قاعدة المثاني كتفسير القرآن بالقرآن والحديث بالحديث.[13]

ثالثا : الثابت من الحديث الشريف هو المعتمد في تفسير الآيات الكريمة.[14]

رابعا: اعتماد العلم اليقيني في الربط وليس النظريات العلمية.

لقد جاء في تفسير القرطبي[15] بأنه زعم ان الله لايبعـث المـوتى ولايقـدر عـلى جمـع العظام، فقال الله تعالى بلى قادرين على أن نعيد السلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتى تستوي، ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ (سورة القيامة: آية 3-4) وقد ذكر ابن عباس وبعض المفسرين أن معنى(على أن نسوي بنانه) أي بجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار ولايمكنه أن يعمل به شيئا آخر، ولكننا فرقنا أصابعه كي يعمل مايشاء.

لقد سوى الله سبحانه وتعالى اصابع الانسان بحيث تأخذ صور مختلفة عن بعـضها، كما ان بصمات الأصابع تمثل هوية للانسان، حيث لاتشابهها بصمات غيره من النـاس أبـدا وحتـى أقـرب النـاس اليـه ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(فصلت:53) وتبين القدرة والابداع في التصوير والتسوية، ومامدى ماوصلت اليه قدرة الله تعالى حيث أنه لايعجزه جل وعلا أن يعيد خلق الانسان مرة أخرى بدقة واتقان، فهو قادر على اعادة كل صفات وملامح الانسان بما فيها بصمات الانسان، وذلك ليس بعيد

عن قدرته سبحانه وتعالى فهو الـذي خلقهـن أول مـرة، وطبيعـي أن يـستطيع اعادتهـا الى صورتها الأولى[16].

لقد سبق القرآن الكريم العلم الحديث ومنذ أربعـة عـشر قـرن في اثبـات أن بـصمة الجنين تتكون خلال الشهر الثالث من الحمل، وفي الاسبوع الثالث عشر تكون البصمة قـد اكتملت، وبعدها تبقى على حالها صفة مميزة للانسان تفرقه عن غيره ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل(الاسراء : 89) وقد يتقارب الشكل في بصمتين لشخصين تقاربا كبيرا ولكنهما لاينطبقان تمام التطابق ولاتتطابق بصمات الانسان في أفـراد الأسرة الواحـدة وحتى في المجتمعات المقفلة على أهلها ويتزاوج فيها الأقارب من بعضهم البعض.[17] لقـد أصبحت البصمة ميزة للشخص ودليل لاثبات شخصيته ومعمول به في بـلاد العـالم كلهـا ويشكل خاص في مجال الأدلـة الجنائيـة والشخـصية حيـث يمكـن الاهتـداء الى صـاحب البصمة الموجودة في المكان بعد مطابقتها مع البـصمة الأصـلية مـن خـلال عـدد الخطـوط والتعرجات والتقسيمات الموجودة على البصمة[18].. فتبارك الخلاق.

ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق :

ان الخطوات اللازمة لاعداد الأسرة المسلمة تكون قبل الزواج وبعده، ومن أولى هذه الخطوات هي تنظيم الأسرة أو تنظيم النسل بالـذات[19]، حيـث سيفـسح المجـال لحـسن الرعاية والعناية من الأبوين مع اعطاء قسط وافي من الوقت للأم لتكون قادرة عـلى تحمـل تبعات الحمل التالي، فضلا عن تعقد ظروف الحياة وزيادة مطاليبها وأطرافها، سائلين المولى سبحانه وتعالى الذرية الصالحة وحسن القبول.

أما من ناحية الشرع فهناك الوسائل المباحة في هذا المجال، ويهدف الاسلام من خلال ذلك الى انشاء أسرة ناضجة وقـادرة عـلى اعـداد جيـل مسلم صـالح وقـادر عـلى تحمـل

متطلبات الحياة وأعباء المرحلة الحاضرة. فعلى المتزوجين من المؤمنين وغيرهم العلم بهذه الأحكام الشرعية وتعليمها الناس ونشرها بكل الوسائل المتوفرة، كي يسلم المجتمع من غضب الله، وليعرف حدود المسائل ونتجنب المعاصي ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[20]

وسنورد وسائل تنظيم الأسرة المباحة والمحرمة وتستند في ذلك الى أساسيات مهمة وهي اجماع العلماء على حرمة الاسقاط بعد 120 يوم من أصل العلوق أولا وثانيا حرمة الاسقاط البيضة المخصبة Fertilized ovum حتى وان لم تتعلق بعد في جدار الرحم، وثالثا أن أي مانع يعمل على الحيلولة دون تخصيب الحيمن للبيضة يجوز استعماله شرعا مالم يكن تغييرا لخلق الله.[21]

تنظيم النسل المباح :

يوجد عدة وسائل لذلك أهمها :-

أولا : طريقة الامتناع Abstinance وغالبا في الفترة بين 9 –17 يوما من الدورة الشهرية المنتظمة(28 يوم)

ثانيا : العزل(Coitus Withdrwal 22)

ثالثا : المانع المطاطي الرجالي Male Condom

رابعا : المانع النسائي الحاجزي مثل Vaginal tampon, Vaginal diaphragm, Cervical Cap

خامسا : الموانع القاتلة للحيامن Vaginal spermicides

سادسا : حبوب منع الحمل الهرمونية المركبة الفموية Combined oral Contraceptive pills

ترك الشبهات في الوسائل المختلف في حكمها :

ان وسائل التنظيم المختلف في حكمها يستحسن الابتعاد عنها أو تركها كليا منعا للشبهات والابتعاد عن حدود ماحرم الله تعالى[23]، وأهم هذه الوسائل :

أولا : اللولب I.U. C. D : حيث أنه يعمل على المنع بعدة أوجه ولما لم تظهر لحد الآن الآلية الصريحة لعمله فقد وقع الاختلاف في حكم عمله، وأن كانت الدراسات الحديثة تشير الى أن عمله الرئيسي يؤدي الى منع الاخصاب وبناء على ذلك قد يقال فيه الجواز بناء على جواز الأخذ بمظان العلل والحكم يدور مع علته.[24]

ثانيا : حبوب منع الحمل الهرمونية المفردة الفموية والحقن الهرموني المفرد التي لن تظهر Continuous oral progestage وبشكل واضح هل أنها تعمل على منع الاخصاب أم منع العلوق للبيضة المخصبة.

تنظيم النسل المحرم :

يوجد وسائل تعمل على تحديد النسل وهي محرمة وأهم هذه الطرق[25]:

أولا : التعقيم Sterilization أي التعقيم الدائمي للذكر أو الأنثى، وهذا حرام ولا يجوز الابعذر يقدره ثلاثة من الأطباء المسلمين الثقات، قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[26]

ثانيا : الاسقاط المتعمد Induced abortion وهذا أيضا حرام شرعا اذا لم يكن له ضرورة طبية يقدرها ثلاثة من الأطباء المسلمين الثقات، قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[27].

ثالثا : منع الاخصاب في فترة مابعد الجماع post coital contraception، سواء عن طريق الحبوب Ovran, Ethinyl estradiol. Eugynone 50 أو اللولب(I. U. C. D.) في فترة مابعد الجماع ولحد أربعة أيام تقريبا.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾[28]

لقد ورد في سورة مريم مايوضح نهاية الانسان أو أرذل العمر، وأن سيدنا زكريا عليه السلام كان في وضع يتعذر معه الانجاب، وفي الآيات الثمانية الأولى يذكر القرآن العظيم خمس أعراض طبية اجتمعت لدى رجل واحد، كان ذلك في الآيات التي نزلت على سيدنا محمد ﷺ قبل أكثر من 15 قرن وكان رجلا أميا، والآن يبرهن العلم الحديث دقة الوصف القرآني،[29] اذ قال تعالى جل جلاله في كتابه الكريم ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾[30]

ان من الأعراض المختلفة للشيخوخة هي ضعف البصر والسمع والذاكرة والعضلات وقلة النوم والارتعاش وانكماش الجلد ووهن العظم وشيب الرأس والخوف والكبر الشديد وضعف الخصوبة وغيرها كثير ...الا أن القرآن الكريم ذكر في سورة مريم في الآيات(1 –8)[31] خمسة أعراض اجتمعت لدى رجل واحد وهي وهن العظم وشيب الرأس والخوف والكبر الشديد وضعف الخصوبة، وقد اختيرت هذه الأعراض بالذات لتمثل ركائز لعلاقة هرمونية متناسقة مما يدل على أنها اختيرت من بين الأعراض الأخرى

للشيخوخة الكثيرة جدا لتدلل على حكمه بليغة في الاختيار، فكل واحد من هذه الأعراض يعكس تغيرا من هرمون معين، وان أهم أسباب ظهور هذه الأعراض هي الآتي: -

أولا : عند الشيوخ يظهر وهن العظام[32] للأسباب التالية :-

- انخفاض مستوى هرمون الذكورة[33] علماً ان هذا الهرمون مسؤول عن تنشيط خلايا بناء العظم في الرجل.
- الارتفاع الشديد في نسبة الكورتيزون نتيجة للقلق والتوتر الدائم، حيث بدوره هذا يثبط خلايا البناء، ويفسح المجال للخلايا الهادمة للعظم كي تعمل، وبمرور الزمن يحصل وهن العظم.[34]

ثانيا : يظهر الشيب وهذا يحصل بسبب العوامل الآتية : -

- هبوط مستوى هرمون التلوين MSH عند المسنين
- ارتفاع نسبة الادرنالين في الدم نتيجة للتوتر العصبي والخوف، فقد أثبتت التجارب أن نشاط الجهاز العصبي الودي[35] يؤدي الى شيب الشعر، ويعتقد الباحثين ان هذا يرجع الى تسمم خلايا التلوين بمادة الادرنالين التي يفرزها هذا الجهاز في حالات التوتر.

ثالثا : التغيرات الهرمونية التي تعمل على اضعاف الخصوبة[36] وتشمل الآتي :

- هبوط مستوى هرمون الذكورة
- تردي مستوى هرمون التلوين.

ويؤكد العلماء المختصون بأن 1. خلايا ليديج في الخصية تنتج هرمون التلوين تماما مثل الغدة النخامية، وقد ثبت مؤخرا ان وجود هذا الهرمون بجانب خلايا سرتولي[37] يزيد

من استجابتها لهرمون الغدة النخامية FSH وبالتالي يحفز انتاج النطف.[38] فعند الكبر الشديد يشيب الشعر ويقل انتاج النطف ويرتبط كلا الأمرين بعامل واحد، وهو تردي مستوى هرمون التلوين MSH[39]

2. تأثيرات سلبية ناتجة من الخوف، فقد تأكد ان الانفعالات والتوترات تؤثر سلبا في قشرة المخ، وتتسلل التأثيرات السلبية في الجسم مرورا بالمهاد التحتي فالغدة النخامية، حتى تصل الى الخصية، فيضعف انتاج النطف. من ناحية ثانية فان الخوف يؤدي الى تراكم الأمينات الأحادية مثل السيروتونين في الخصية مما يثبط فعالية الأنابيب المنوية[40] من ناحية ثالثة فان التوتر المزمن يؤدي الى انتاج كميات هائلة من الكوتيزون مما له أبعد الأثر في تثبيط انتاج النطف.[41]

رابعا: التأثير المتبادل بين الخوف والكبر:

حيث بينت الأبحاث أن لدى الشيوخ الطبيعيين زيادة في افراز الأدرنالين، هذه الزيادة ليست نتيجة لوضع متوتر، الا أنها تجعل الشيخ أكثر استعدادا للانفعال[42].

ان التوتر يعجل بالشيخوخة، والشيخوخة تزيد من فرص حدوث التوتر فتتشكل حلقة مفرغة يغذي بعضها بعضا باتجاه التصعيد، ويتعاون هذان العاملان معا، الخوف والكبر على تثبيط انتاج النطف[43].

ان الأعراض المذكورة في سورة مريم تحدث نتيجة لارتفاع هرمون الكورتيزون وأحادي الامين وكذلك لانخفاض هرمون الذكورة وهرمون التلوين. وهذه الهرمونات الأربعة بتغيراتها المذكورة تؤثر سلبا على عملية انتاج الحيوانات المنوية، وان كان وجود عامل واحد كاف لتعطيل هذا الانتاج فكيف اذا اجتمعت العوامل الأربعة معا وتحت تأثير تصاعدي متبادل لسببين هما الشيخوخة والخوف[44].

قـال تعـالى في كتابـه الكـريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾[45]، وقـال أيـضا ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾[46]. ان العلـم الحديث أثبت أن الانسان يتكون من خلاصة التربة الأرضية فبالتحليـل الكيميـائي لجـسم الانسان نجد انه يتكون من اوكسجين وهيدروجين، واللذان يكونان الماء الـذي يـدخل في تركيب جميع الكائنات الحية. وثانيا من الكربون والهيدروجين والأوكسجين والتي تؤلـف المركبـات العـضوية مـن بروتينـات، كاربوهيـدرات، دهنيـات فيتامينـات، هرمونـات وغيرها[47]. وثالثـا سـبع مـواد جافـة وهـي الكلـور، الكبريـت، الفـسفور، المغنيـسيوم، البوتاسيوم، الكالسيوم، الصوديوم، ورابعا سبع مـواد جافـة نـسبتها أقـل وهـي الحديـد، النحاس، اليود، المنغنيز، الزنك، الكوبلت، المولبديوم وخامسا ستة عناصر نادرة[48].

فعملية خلق الانسان قضية غيبية لم يشهدها أحد، ولكن الله سـبحانه وتعـالى أخـبر عنها، وقد جعل قضية الموت دليلا على قضية الخلق، فأول مايحدث للانسان عند الموت هو خروج الروح وهي آخر مادخل ثم تتابع مراحل الخلق معكوسـة، وقـد أورد القرطبـي في قصة خلق آدم حديثا طويلا عن ابن عباس وعن ابن مسعود ذكر فيه(فبلَّ التراب حتى عاد طينا لازِباً، ثم ترك حتى انتن) (...ثم ذكر ان الجسد صار صلصال)[49]، والمراحل التي ذكرها الله تعالى وذكرها رسوله الكريم ﷺ في أكثر من حديث أثبتها العلم الحديث، وهـي عكس المراحل التي يمر بها جسد الانسان بعد موته[50].

ان عظمة الله تتجلى في عظمة خلقه كيف نتحدى عظمة الله :

يكشف لنا العلم الحديث كيف يخلق الانسان من عجب الذنـب، ومنذ مئات السنين قال نبينا محمد ﷺ(كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنـه يركـب)[51]

بذلك نؤمن بعقولنا بالجانب الآخر من الحديث وهو ان الله سبحانه وتعالى قادر على اعادة البشر من ذلك العظم يوم القيامة كما خلقه منه اول مرة وهو أهون عليه[52].

يعرف عجب الذنب باسم الشريط الأولي.Primitive Streak، حيث ان هذا الشريط الأولي هو الذي يتكون أثر ظهور الجنين بكافة طبقاته[53]، ثم يندثر هذا الشريط ولايبقى منه الا أثر يسمى عظم العصعص.

يتكون عجب الذنب أو الشريط الأولي، بعد تلقيح النطفة للبيضة، حيث تبدأ البيضة المخصبة بالانقسام حتى تتكون كرة مجوفة تدعى الكرة الجرثومية Blastocyst، تعلق هذه الكرة بجدار الرحم الداخلي وتنغرز فيه ثم تتمايز الى كتلتين من الخلايا هما : -

A- الكتلة الخارجية Cytotrophoblast : وهذه تحتوي على خلايا آكلة لتثبيت الكرة الجرثومية وتغذيتها.

B- الكتلة الداخلية : ومنها يتكون الجنين وهذه بدورها تنقسم الى ورقتين : -

1. خارجية تدعى الأكتودرم Ectoderm
2. داخلية تدعى الأنتودرم Entoderm

وفي نهاية الاسبوع الثاني من التلقيح يكون الجنين ممثلا بقرصين وهما : -

1. القرص الخارجي Ectoderm
2. القرص الداخلي Entoderm

وفي اليوم الرابع عشر يستطيل القرصان حتى يأخذا شكل الكمثرى فيكون الجزء العريض هو الجزء الأمامي.[54] وتنشط خلايا الأكتودرم في الجزء الخلفي مكونا الشريط الأولي الذي يظهر لأول مرة في اليوم الخامس عشر، ويظهر انقسام سريع ونمو متكاثر في

الشريط ألأولي وتهاجر الخلايا يمينا ويسارا بين طبقتي الأكتودرم والانتدودرم مكونة طبقة جديدة هي طبقة الميزودرم Notochord، ونتيجة نشاط الشريط الأولي هذا يظهر الآتي :

أولا : النوتوكورد Notochord أوالعمود الفقري.

ثانيا : يتحول القرص الجنيني المستدير الى شكل كمثري.

ثالثا : تظهر بداية الجهاز العصبي من طبقة الأكتودرم في نهاية الأسبوع الثالث مكونة الصفيحة العصبية Neural Plate التي تلتف الى أعلى مكونة انبوبا يدعى الأنبوب العصبي والذي سيشكل مستقبلا الدماغ والحبل الشوكي.

رابعا : تتكون طبقة الميزودرم التي تنقسم الى ثلاثة أقسام وهي :

1. الميزودرم بجانب المحور Paraxial Mesoderm ومنه تتكون الكتل البدنية Somites ومنها يتكون الجهاز الهيكلي والجهاز العضلي، كما يبرز منها الطرف العلوي والطرف السفلي.

2. الميزودرم المتوسط Intermediate Mesoderm ومنه يتشكل الجهاز البولي والجهاز التناسلي.

3. الميزودرم الخارجي Lateral Mesoderm وينقسم الى قسمين، جداري وحشوي، فالقسم الجداري يكون غشاء البطن الداخلي وغشاء الرئتين وغشاء القلب، أما القسم الحشوي فيكون القلب والأوعية الدموية وعضلات الجهاز الهضمي[55]. بعد أن ينجز الشريط الأولي مهماته في تكوين أجهزة الجنين يبدأ بعد الأسبوع الرابع بالاندثار ويبقى كامنا في المنطقة العجزية[56]، ولايبقى منه سوى أثر ضئيل ولايكاد يرى بالعين المجردة.

الهوامش والمصادر:

1- عدد دقائق اليوم

2- وهذا هو عصر العلوم الكونية والطبية وذهاب الانسان الى الكون بحثا عن الجديد فيه وفي خلق الانسان وتكوينه.

3- والامام فخر الرازي، نهاية الايجاز في دراية الاعجاز.

4- د. محمد جميل الحبال، القرآن الكريم معجزة علمية، التربية الاسلامية، 5، 35، العراق، ص 28.

5- لان العنصر الذي ينسكب في الحس، يصعب تحديد مصدره، هل هو العبارة ذاتها، أم المعنى الكامن فيها، أم الصور والظلال التي تشعها، أم الايقاع القرآني الخاص المتميز من ايقاع سائر القول المصنوع من اللغة، أم العناصر كلها مجتمعة، وقد يكون شيء ماوراءها. انظر : من نور كتاب الله، التربية الاسلامية، 12، 35، العراق،2003، ص 4.

6- ولاتستقيم على مستوى واحد، ولاتحيط هكذا بجميع الجوانب ولاتمتلك التوازن المطلق الذي لازيادة فيه ولانقص ولاافراط، التناسق المطلق الذي لاتعارض فيه ولاتصادم، سواء في تلك الأصول والفروع. ان التصور الكامل الصحيح الذي ينشئه في الحس والقلب والعقل، التصور بحقيقة الوجود الانساني، وحقيقة الوجود كله، وللحقيقة الأولى التي تتبع فيها كل حقيقة، حقيقة الله سبحانه وتعالى.

7- أي أنه يقع خارج امكانياتنا، وأن المولى تعالى ساعد على تفسير الآيات القرآنية ذات المدلولات العلمية الدالة على الاعجاز العلمي، انظر الأستاذ رعد

الخزرجي، جوانب من الاعجاز العلمي للقرآن، التربية الاسلامية 12، 34، العراق، 2000، ص 28.

8- لأن هذين الغازين لايتحدان في الجو الآ بوجود شرارة كهربائية عالية يؤتيها البرق فيتكون ثاني أوكسيد النتروجين بكمية معينة أيضا ناتجة عن المقادير المحددة مسبقا من النتروجين والأوكسجين، وكمية ثاني أوكسيد النتروجين هذه من خواصها أنها سريعة الذوبان في الماء، وهو الماء المحمول في السحب بحيث تكون نسبة ذوبان هذه ثابتة بمقدار معلوم مكونة حامض النتروز الذي ينزل مع الغيث لتستفيد منه التربة في تسميدها، ويقدر العلماء اليوم نسبة أكثر من 50٪ من سماد تربة الأرض يرجع الى قدرة الله عز وجل في هذه العملية، اضافة لقدرته في اكمال هذه النسبة بطرق أخرى، فلو قلّت هذه النسبة لانعكس تأثير ذلك على حاجة الأرض للسماد، ولو زادت هذه النسبة عن حدها لأصبح الماء حامضيا نتيجة زيادة النتروز الذي من خواصه الفيزياوية أن مذاقه مر لاذع(أجاج).

9- حيث ان اليقين يحيي القلب فيرى ويدرك، كما ان اليقين يحيي مشاهد الأرض فتنطق للقلب بأسرارها المكنونة، وتحدثه عمّا وراءها من تدبير وابداع، وبدون هذه اللمسة من اليقين تظل تلك المشاهد ميتة جامدة جوفاء لاتنطق للقلب بشيء ولاتتجاوب معه.

10- مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، مشروع حضاري لحفظ تراث الأمة.

11- انظر المصادر التالية : -

1- د. حماد السباعي، قبسات من اعجاز الله في خلق الانسان، 1995.

2- الاعجاز القرآني، المؤتمر الأول للاعجاز القرآني، بغداد، 1990.

3- علم الطب القرآني، د. عدنان الشريف، 1995.

12- سورة البقرة، آية(282).

13- المعرض العلمي الخامس، كلية طب الموصل، 1999.

14- الطب في ظلال القرآن والسنة، جامعة الموصل، 1999.

15- ج19 ص 62.

16- ذاكر جليل العلي، الاعجاز الالهي في بصمة اليد، التربية الاسلامية 12، 35، العراق، 2003 ص 19.

17- رغم نشر ندرة ذلك في الوقت الحاضر، نظرا للاختلاط الكثير في المجتمعات والأجناس حتى في الأماكن القليلة المحدودة، أثبت العلم اختلاف البصمة بين أفراد هذه العوائل بل وحتى التوائم الذين يكونهم بيضة واحدة، لاتتطابق البصمة بينهما، رغم كونهما يتشابهان في كل شيء الى حد كبير الا في هذه الناحية.

18- ذاكر جليل العلي، مصدر سابق، ص 20.

19- ولايجوز القول تحديد النسل.

20- سورة طه(123-124).

21- الشيخ ريان توفيق خليل، موانع الحمل في الميزان الشرعي، موصل، العراق، 1998.

22- بشرط موافقة الزوجة.

23- د. عدنان الشريف، علم الطب القرآني، 1995.

24- Network family health international , Vol. 16 , No. 2 , 1996.

25- الطب في ظلال القرآن والسنة، معرض الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، المعرض الخامس، جامعة الموصل، العراق، 1999.

26- سورة النساء، الآية 119.

27- سورة الأنعام، الآية 151.

28- سورة التين، الآية 4، 5.

29- انظر المصادر التالية : -

1- د. عبد الحميد ذياب، ود. أحمد قرموز، مع الطب في القرآن الكريم، 1984.

2- ب د. عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الاسلام.

30- سورة مريم، الآية 1 -8.

31- القرآن الكريم

32- وهن العظام osteoporosis

33- هرمون الذكورة Testosterone

34- د. زهير راجح قرامي، التناسق الهرموني في أوائل سورة مريم، الاعجاز، العدد الثالث، 1996.

35- Sympathetic Nervious System

36- Infertility

37- خلايا سرتولي هي الخلايا المولدة للنطف.

38- الطب في ظلال القرآن والسنة، الموصل، 1999.

39- د. زهير راجح قرامي، التناسق الهرموني في أوائل سورة مريم، الاعجاز، العدد الثالث، 1996.

40- وقد لوحظ في دراسة أجريت على أشخاص ينتظرون حكم الاعدام تدهورا خطيرا في انتاج الخلايا المنوية وصل الى حد العجز التام.

41- حيث أثبتت التجارب ان اعطاء كمية 30 ملغم من الكورتيزون في اليوم الواحد لمدى أربعة أسابيع يسبب هبوطا شديدا لدى كل المرضى في مستوى انتاج الحيوانات المنوية.

42- فيصبح عرضة للاثارة السهلة، من ناحية أخرى فان الخوف بحد ذاته يزيد من افراز الأدرنالين، فيزداد الكوليسترول في الدم ويبدأ تصلب الشرايين وتظهر أعراض الشيخوخة.

43- الطب في ظلال القرآن والسنة، جامعة الموصل، 1999.

44- د. زهير راجح قرامي، التناسق الهرموني في أوائل سورة مريم، مصدر سابق. د

45- سورة الحج، آية 55.

46- سورة طه، آية 55.

47- د. عدنان الشريف، علم الطب القرآني، 1995.

48- د. حماد السباعي، قبسات من اعجاز الله في خلق الانسان، 1995.

49- (من صلصال كالفخار)

50- الطب في ظلال القرآن والسنة، جامعة الموصل، 1999.

51- رواه مسلم

52- د. محمد علي البار، الاعجاز الطبي في أحاديث الرسول ﷺ.

53- وخاصة الجهاز العصبي.

54- الطب في ظلال القرآن والسنة، لجنة اعداد المعرض العلمي الايماني الخامس(15/ 3/ 1999)، كلية طب الموصل، العراق، 1999.

55- ان تكوّن الشريط الداخلي علامة هامة على بداية تمايز أنسجة الجنين وتكون طبقاته وبناءا على ذلك، فقد اعتبرت لجنة دارنك البريطانية ان الشريط الأولي هو العلامة الفاصلة للوقت الذي يسمح فيه للأطباء والباحثين باجراء هذه التجارب على الأجنة المبكرة للانسان، وسمحت اللجنة باجراء هذه التجارب قبل ظهور الشريط الأولي ومنعته منعا باتا بعد ظهوره على اعتبار أن ظهور هذا الشريط يعقبه البدايات الأولى للجهاز العصبي.

56- العصعصية.

الفصل الثاني

مواجهة ثقافة الاختراق

الفصل الثاني

مواجهة ثقافة الاختراق

مقدمة الفصل الثاني :

تعمل الولايات المتحدة جاهدة على تجزئة دول العالم ومنع قيام قوى منافسة لها في النظام العالمي الجديد لذلك فهي ضد الوحدة الاوروبية وتعمل على اعاقتها بمختلف الوسائل الا ان المناخ العالمي لايمنع من ظهور قوى عالمية تساهم في حفظ التوازن والندية ويعد موقف فرنسا المعارض للنظام العالمي احادي القطبية تمردا على الدور الامريكي حيث دعت فرنسا لميثاق عالمي متعدد الاقطاب بهدف بناء توازن عالمي كما ان هناك احتمالا لتنامي دور الاتحاد الاوروبي والصين واليابان وروسيا كقوى عالمية تساهم في خلق نظام عالمي متوازن وغير احادي القطبية[1].

في الوقت نفسه تخوض الصهيونية مع اميركا في خندق واحد حروبا نفسية وثقافية ضد الشعوب لتفقدها ثقتها بنفسها وتجعلها مطية لمآربها فالامبريالية الثقافية هي عنف نفسي من نوع خاص يرغم الغير على تحقير نفسه بنفسه وغسل دماغه من كل ما علق به من علوم وحضارة وفكر وتراث ليقر ويعترف بانه متخلف.

بدا العالم مشغولا وتحديدا في سنوات العقد الاخير من القرن العشرين بمفهوم العولمة الذي برز تداوله في الادب السياسي وفي وسائل الاعلام المختلفة كظاهرة متميزة او لحد ما كمفهوم جديد او مستحدث في عالم السياسة والاقتصاد برغم ان بعضهم يؤكد ان هذا المفهوم كان معروفا حتى قبل الحرب العالمية الثانية في حين ان بعضهم يراه موجودا منذ ان نشر_كارل ماركس وفرديك انجلز_البيان الشرعي عام 1848 وما نعتقد ان ذلك يحمل الحالة وزمانها اكثر مما تستوجب[2].

فالعولمة يراها بعضهم انها تبشر بوعود مشرقة للجميع ومنهم من يعدها الوجه الاخر للهيمنة الامبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الامريكية ومنهم من يراها القوى التي لايمكن السيطرة عليها للاسواق الدولية والشركات متعددة الجنسيات او انها حركة السلع والخدمات والايدي العاملة وراس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والاقليمية او انها ديناميكية جديدة تبرز داخل العلاقات الدولية(3)، او انها الظاهرة التاريخية لنهاية القرن العشرين او لبداية القرن الحادي والعشرين او انها حقبة التحول الراسمالي العميق للانسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وسيطرتها وفي ظل نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ او انها مرحلة جديدة من مراحل بروز الحداثة تتكشف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي ويكون تلاحمها غير قابل للفصل بين الداخل والخارج(4).

في ظل هذه الحقائق نتساءل عن مستقبل النظام العالمي الجديد وهل تستطيع الولايات المتحدة الامريكية الاستمرار في السيطرة على العالم وللاجابة على هذه التساؤلات لابد من رصد التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة على المستوى الدولي للتعرف من خلالها على الدلائل والارهاصات التي تحدد مستقبل النظام العالمي الجديد ومدى قدرة القوى العالمية الاخرى في منافسة الولايات المتحدة على المدى القريب اي خلال العشر سنوات الاولى من القرن الحادي والعشرين بسبب ماتملكه من عوامل القوة والتجديد والتقدم(5).

فهي تعمل على تعزيز دورها القيادي وسيادتها على العالم من خلال اجراء الاصلاحات الداخلية خصوصا في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية(ترتيب البيت الامريكي)، الاسهام في نشر الديمقراطية لان الليبرالية اقل خطرا على الولايات المتحدة،

ممارسة دورها من خلال الامم المتحدة، كبح جماح القوى العالمية التي تسعى للتمرد على الدور الامريكي[6] .

تستعين اميركا لهذه الغاية بالصهيونية لترويض عقول البشر على الخضوع الاعمى لكل ما تأتي به من الافكار وهو يسمى السطوة الروحية الخارقة للعادة تلك السطوة التي تجعل الشعوب متهافتة عليها محتفلة بها بحماس منقطع النظير على طريقة الخراف الهاربة التي لاتعرف سببا لهروبها وهذا ما يتماشى مع ما ورد في مخططات الصهاينة صفحه 123(ان الطبقات المتعلمة ستختال زهوا امام نفسها بعلمها وستأخذ جزفا مزاولة المعرفة التي حصلتها من العلن الذي قدمه اليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولهم حسب الاتجاه الذي توخيناه . وفي الوقت نفسه سنعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء وعبقرية غير اممية غير يهودية من الارض).

وليس ادل على اضطلاع الصهاينة بالدور الاول في غسل عقول الشعوب، وحشوها بالعلوم الفاسدة والضالة من ان التحالف الاسرائيلي العالمي كان الى جانب القوى الاستعمارية، يدير منذ نهاية القرن التاسع عشر شبكة مدرسية مهمة جدا في بلدان البحر الابيض المتوسط و الشرق الادنى والاوسط. وان هذه الثقافة ستكون ذات مدى وطني، عالمي، كما نص على ذلك اعلان استقلال الدولة اليهودية في فلسطين.

وتستعين اميركا لهذه الغاية بالصهاينة في شبكاتها التجسسية العديدة مثل :- D. T. A_N. S. A_C. I. A_N. R. O وغيرها، وتستخدم ما يزيد على المائه الف شخص تتجاوز موازنتها السنوية 26 مليار دولار ويعمل هؤلاء لدى الاصدقاء كما لدى الاعداء[7] .

ويبرز لدينا مفهوم العالمية(Universality) وكأنه متداخل مع مفهوم العولمة(Globalization) وفي ذلك قصد المهيمنة والنافذة على المسرح السياسي في حين ان بينها فرقا كبيرا فالعالمية تعني التفتح على الثقافات الاخرى من العالم مع الاحتفاظ بالخلاق الايديولوجي من دون أي شكل من الاشكال العنف اما العولمة فهي نفي للاخر واحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الايديولوجي وهي ارادة للهيمنة وبالتالي فهي قمع ونفي لخصوصيات الاخرين وهي احتواء للعالم.

في حين ان العالمية هي تلاقح بين الخصوصيات للارتفاع بها الى ما هو عالمي وكوني لذلك فنشدان العالمية في المجال الثقافي طموح مشروع ورغبة في الاخذ والعطاء كما انها اغناء للهوية الثقافية في حين ان العولمة هي ارادة لاختراق الاخر وسلبه خصوصيته وبالتالي نفيه من العالم لذلك اصبحت ثقافة العولمة هي ثقافة الاختراق كما ان الوضع الثقافي العالمي الراهن بحكم سلطان القوة وشكل الهيمنة يكرس ثقافته الى عملية تكريس لثقافة الاختراق[8].

وسرت حمى التقليد الى بقية شعوب العالم بفضل المهارة الذائعة الصيت التي يتمتع بها اليهود الصهاينة في هذا المضمار وكان للصهاينة ايضا اليد الطولى في تفتيت العوائل والقبائل والبدو وكبار العشائر لكي لايبقى للفرد أي دعم او سند ويبقى تائها في هذا الكوكب الارضي التعيس الى ان ينصهر مع هذا المجتمع العولمي او ان ينقرض.

وافضل مثال ساخن على ذلك قصف القوات الاميركية لزعماء القبائل الافغانية على الرغم من تسليمهم بالامر الواقع وبينما هم في طريقهم للمباركة لرئيس الوزراء العلماني الجديد وكذلك الضغط على رئيس جمهورية اليمن وابتداع الحجج الواهية لاعدام زعماء القبائل في اليمن فالانسان عدو لما يجهل فهذه المجتمعات لم تكن كما وصفها جهابذة الصهاينة بالقساوة والفظاظة والهمجية بل على العكس تماما[9].

ازاء ما تقدم ومع اتضاح الدور المهم والفعـال الـذي تقـوم بـه العولـمة في اتجاهـات ومشاريع المجتمعات بحكم تأثيراتها وفعاليتها يصبح من اللازم بل من المؤكد ان تاثيراتهـا لاتقف عند حدود السياسة او نشاطات الاقتصاد او فئات المجتمـع بـل انهـا تفعـل فعلهـا الاهم في موضوع الثقافة القومية للشعوب والامم ومن خلال ذلـك الفعـل تـنعكس اثـار سياسية واقتصادية واجتماعية هائلة بسبب ان ثقافتها مستودع ذاكرة الشعوب والامم ومنار مستقبلها مثلما هي قوانين حاضرها[10].

وقد وحد الاسلام العرب في دولة واحدة وحركة واحدة، وتأثر العرب بأهتزاز الثقـة في المشروع الاسلامي والرابطة الاسـلامية بـسبب ضـعف الدولـة الاسـلامية ثـم بـسبب الاعجاب بالغرب المتقدم واصبح الانسان العربي في وقتنا الحاضر يسوده الانبهـار بـما هـو آت من الغرب من علوم وتشريعات ومنتجات وقـيم اجتماعيـة مما دفعـه الى تقليـد حيـاة وثقافة الغرب دون تمحيص(حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم).لقـد استعاضـوا عـن الزراعة التي اعتبرت متخلفة بمشاريع صناعية تافهة وسامة وملوثة للبيئة اضافة الى تبيعتها للخارج من سداها الى لحمتها من كمياويات وادوات بلاستيكية ونفايات نوويـة وخيـوط نسيجية مركبة(مواد نفطية)...الخ[11].

وذلك بعدما قضوا عـلى كـل الـصناعات المحليـة مـن يدويـة وآليـة تقليديـة تلـك الصناعات الفريدة من نوعها بجودتها واتقانها وتنوعها بتنوع الامكانات الخلاقة والمبدعـة للشعوب هذه الصناعات التي وصفت ايضا بالمتخلفة اصـبحت الآن تغـص بهـا متـاحف الغرب ولايتيسر الاالقلة ضئيلة من الاغنياء اقتناؤها لضخامة اسعارها[12].

لقد كانت ترد على حاجات الشعوب في الداخل بأكملها وتؤمن مورد رزق وفرص عمل للقسم الاكبر من ابناء المدن وسوقا للمواد الزراعية ليصب قـسم منهـا بـدورة فيهـا وهـذا يـسمى(Effets d eutrainement) التـي هـي عنـوان الاسـتقلال والتطـور

الاقتصادي ولذا فأن خطط صهيون تهدف_حسب التوراة_(الى احياء الرجل اليهودي من خلال الزراعة التقليدية والصناعات اليدوية)وكذلك ميثاق دولة اسرائيل الذي ينص على انه(لابد لاحياء الرجل اليهودي من كل ما هو تقليدي).

ويشعر الجيل الجديد بالاغتراب عن لغته وثقافته وعقيدته بسبب عقم المناهج المدرسية وسوء التربية فضعف اللغة العربية من اكثر القضايا الملحة فكيف يمكن ربط الجيل الجديد بقيمه وثقافته وعقيدته دون فهم واتقان اللغة الام لان ضعف اللغة فيه حرمان عقلي ووجداني وبالرغم من ان البيان الذي يميز اللغة العربية قد ينطق به القران الكريم واصبحت العربية وعاء الاسلام الا ان العرب اهملوا هذا البيان الذي يوصلهم الى فهم جوهر القرآن ومعانيه العميقة التي ترشدهم الى تحقيق اهداف الامة وقيادة العالم ويتوقع الخبراء ان اقتصاد مابعد 2050 سيتميز بالاختراق الاقتصادي والثقافي العالمي المتبادل بحيث لايكون هناك اختراق اقتصادي من جانب واحد، وانما اختراق اقتصادي وثقافي عالمي متبادل[13].

أهمية الفصل الثاني:

ان التسطيح الثقافي الذي هو الافادة من التوظيف التقني في مجال الاعلام السمعي والبصري الذي وفرته التقنيات الحديثة من الاختراعات والانجازات بحيث يكون بالامكان القول بصغر العالم ومحدودية جغرافيته لانه اصبح ازاء ذلك يشبه بالقرية الكونية حيث صار في وسع البث من خلال الاقمار الصناعية ان ينقل المادة الثقافية الجديدة والتي يراد لها ان تصل الى الملتقى أي يراد ايصال الصورة المطلوب ترسيخها في العقل الباطني الى المشاهد حيث يتمكن فيها المرسل من ان يلغي الحدود بين جغرافية ثقافة شعب او امة ما، والجغرافية الكونية وبالشكل الذي يجري توظيفة وتركيبه لصالح سياسة(الاختراق)الثقافي

خصوصا ان امبراطوريات الاعلام العالمية التي تقود هذا الاختراق مسيطر عليها، مما يتيح لها ان تكون مادتها التي يتسلمها المتلقي اشبه بمادة الاستهلاك اليومي التي اعتادها، لانها ملونة ومصقولة بجمالية واثارة.

اما نظام تحرير الملكية الفكرية فقد اعد لمصلحة الدول الصناعية بنسبة 100 ٪ لقد منعت شركات الادوية الصهيونية المحتكرة افريقيا الجنوبية المهددة بالابادة لشعوبها من مرض فقدان المناعة المكتسبة(الايدز) منعتها من صناعة دواء لذلك المرض من منتجاتها الارثية المحلية فالادوية التي تباع بترخيص تباع باسعار فاحشة جدا لدرجة ان قلة ضئيلة من الشعوب تتمكن من شرائها وعلى رأسها ادوية (الايدز) لقد منعتها واقامت عليها اقذر دعوة في العالم وامام الاحتجاجات العديدة التي واجهتها من جميع دول العالم تنازلت مكرهة عن دعواها وفي الوقت نفسه لجأت اميركا الى سحب دعواها ضد البرازيل بمعرض قيامها -هي الاخرى- بصناعة ادوية وراثية ضد(السيدا) (انهما دائما في خندق واحد...).

اما عن تحرير الخدمات المالية فقد ساهمت المنظمة العالمية للتجارة جنبا الى جنب مع صندوق النقد الدولي في استفحال الفقر، فالصندوق_على سبيل المثال_كان قد شجع هروب رؤوس الاموال في معرض سياسته للتحرير المالي هذا التحرير الذي لايعمل الا في اتجاه واحد وهو الهروب الى الخارج لقد حررت اميركا والصهاينة الخدمات المالية لكي تدخلا الطمأنينة الى عمود البورصة الاكبر(wall street) لقد كان الاولى بها ان تفتح المجال الاكبر للقطاعات المنتجة التي تستخدم اليد العاملة الاكثر غزارة...

لقد خلط صندوق النقد الدولي بين سياسات التحرير وسياسات القيود وادى هذا الكوكتيل الى مآسي عدة للبلدان النامية وكان على اميركا_قبل غيرها_ان تعمل بما تأمر غيرها القيام به فتخفض حواجزها الجمركية وتقلل من المساعدات التي تقدمها الى

مزارعيها التنافس مع اوروبا على اصطياد اسواق بلدان العالم الثالث التي كانت هي تلك تغذيها في السابق(قبل التطور والانفتاح)

مشكلة الفصل الثاني:

ان التضليل هو مانصت عليه مخططات الصهيونية((اننا سنحاول ان نوجه العقل نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التي يمكن ان تبدو تقدمية ومتحررة لقد نجحنا نجاحا باهرا بنظرياتنا عن التقدم في تحويل رؤوس الاميينى غير اليهود الفارغة من العقل نحو اساليبنا التضليلية ولايوجد بينهم عقل واحد يستطيع ان يلاحظ انه في كل حالة يختفي وراء كلمة(تطور) ضلال وزيغ عن الحق ما عدا الحالات التي تشير فيها هذه الكلمة الى اكتشافات مادية او علمية اذ لايوجد الا حق واحد والتقدم كفكرة زائفة يعمل على تغطية الحق حتى يعرفه احد غيرنا شعب الله المختار الذي اصطفاه ليكون قواما على الحق...)وفي صفحه 220 منها(لقد ظفر شيوخ صهيون بنجاح منقطع النظير باعطائهم النظريات الاقتصادية الخادعة مظهرا عملياً) وفي الصفحه 135(وعلم الاقتصاد الذي محصه علماؤنا قد برهن على ان قوة رأس المال اعظم من قوة التاج) وبهذا المفهوم تبرعت الصهيونية العالمية في اتفاق فيصل_وايزمن الموقع في3 كانون الثاني / يناير 1919 بتطوير الدول العربية كالاتي :-((لابد من تمتين عرى التعاون الى اقصى حد ممكن لتحقيق تطور الدول العربية وفلسطين))(فصل فلسطين هنا يعني انها غير عربية).

المادة السابقة تتعهد المنظمة الصهيونية باجراء تحقيق معمق حول الامكانات الاقتصادية للدول العربية وتقدم تقرير يحدد في أي شرط يمكن الوصول الى افضل تطور كما ستبذل كل الجهود لمساعدة الدول العربية للحصول على الوثائق الضرورية من اجل

التطوير للموارد الطبيعية وامكاناتها الاقتصادية ان هذا التطوير المضلل بـدا ينكـشف ولـو متاخرا لدى كبار رجال الفكر الاقتصادي الشرفاء في العالم.

هدف الفصل الثاني :

يهدف البحـث الى معرفـة كيفيـة التـأثير العـربي في النظـام العـالمي و الاجابـة عـلى التساؤلات الاتية هل الامة العربية مؤهلة لمواجهة متطلبات الوضع العربي الـراهن وهـل لديها القدرة على التأثير في العالم الخارجي وللاجابة على هذه التساؤلات لابـد مـن تحليـل عناصر قوة الامة وموازنتها مع حاجاتها، فاذا كان لـديها فائـضاً مـن القـوة فانهـا سـتكون مؤهلة للتأثير في النظام العالمي.

كما يهدف ومن خلال الاستعراض لملامح الواقع العربي فاننا نريد ان نصل الى حقيقة مفادها ان هذا الواقع بملامحه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعقائدية كافـة يشير الى ضعف الامة وعجزها عن تحقيق اهدافها القومية.فكيـف بهـا ان تكـون مـؤثرة في غيرها وهي في هذه الحالة ؟ لذلك لابد من تطوير العناصر الرئيسة لقوة الامة حتى تـصبح كافية لتحقيق اهدافها وبالتالي قادرة على التأثير في النظام العالمي.

واخيرا يهدف الى اعطاء رؤية فكرية لتطوير عناصر القوة العربية، وهي قابلة للترجمة الى اليات عمل واستراتيجيات اذا توافرت ارادة التغيير لدى الانظمة والمفكرين وعامة ابناء الامة فالمفكرون والعامة لايصنعون النهضة وحدهم، و لابـد مـن قيـادة مؤمنـة وشـجاعة وصبورة وقـادرة عـلى تحمـل المـسؤولية القوميـة، ووضـع المـصالح العليـا في خانـة المثـل والمحرمات التي لايجوز المساومة عليها.

فرضية الفصل الثاني :

يفترض البحث ان القوة الثقافية للامة هي الاساس في بناء القوى الاخرى، وتهدف عملية تطوير هذه القوى الى بناء الانسان المؤمن بقيمته ومعتقداتـه، والقـادر عـلى اسـتثمار موارد الامة بما يحقق مطلبها الوطني في الحرية والامن والرفاه. تحديد هوية الامـة بـالتركيز على مصطلح الامة العربية الاسلامية وتقوية الربط بين العروبة لغة وعنصراً وبـين الـدين حضارة وفكراً. فالتكوين النفسي والوجداني للانسان العربي لايحقـق لـه ذاتـه عـلى الـنمط الغربي الصرف بمعزل عن القيم الروحية.

التسليع وموت الثقافة الوطنية في ظل ثقافة الاختراق:

تمارس النخب الحاكمة في البلاد العربية عملها بطريقة تمنع تداول الـسلطة او قبـول راي القوى السياسية الناهضة بحجة الشرعية والانانية والتعالي ونظرا لطـول مـدة الحكـم للقيادات العربية فمن المتوقع ان تصبح معظم الدول العربية تحت حكم وراثـي (ملكـي او رئاسي) مما يعيق التقدم الديمقراطي والتطور السياسي ويمنع تداول السلطة[14].

ومما يؤسف له ان التنافس بين القوى الـسياسية داخـل الدولـة العربيـة يكـون عـلى احتكار السلطة في حين يكون التنافس في الدولة الديمقراطية عـلى تـداول الـسلطة ولـيس الاحتكـار وبـالرغم مـن وجـود العقيـدة واللغـة والتـاريخ المشترك[15]، الا ان المـشروع الوحدوي العربي فشل فشلا ذريعا في حين نجح مشروع الاتحاد الاوروبي القائم على وحدة المصالح ومن المتوقع ان يتـضاءل اهـتمام الـدول الغربيـة بمـساندة انظمـة الحكـم العربيـة الشمولية بما يساهم في ضعف سيطرة الدولة وبالتالي ظهـور النزاعـات العرقيـة والطائفيـة

التي تأخذ طابع العنف مما يؤدي الى انقسام الدول العربية الى(كانتونـات) عرقيـة وطائفيـة وقبلية ويلغى من الوجدان العربي طموح الوحدة[16].

ان مثل ذلك الاختراق لايقف عند حدود تكريس الاستتباع الحضاري بوجه عام بل انه يسعى الى تكريس الثنائية والانشطار في الهوية الوطنية القومية ليس على ما نعيش فيه من زمان بل ليمتد صعودا الى الاجيال القادمة من خلال النضج الثقافي لثقافة العولمة واسـقاط كل محاولة لتجديد الثقافة الوطنية من داخلها بأعادة بنائهـا وممارسـة الحداثـة في معيطاتهـا وتاريخها مثل هـذا الامـر ادى الى زيـادة بـؤر التـوتر عـلى مـستوى الاختلافـات الثقافيـة والحضارية[17].

بسبب عملية اغراق السوق التي تمارسها امبراطوريات الاعلام الامريكيـة بالثقافـة الشعبية الامريكية متعددة الوجوه خاصة ان هذا الغزو له سمة خاصة في ظل التقدم التقني الحديث والمتفاوت بين المجتمعات المختلفة والـذي يميـل بـشكل صـارخ الى صـالح دول العولمة والذي يمكن ان نعده نفيا للثقافـة[18]، بـل ان ذلـك كـان اكثـر وضـوحا حتـى في المجتمعات الرأسمالية المتماثلة فالفرنـسيون يتحـدثون عـن مـوت الثقافـة ويقـصدون بهـا اشكال(التسليع) التي تعم العالم لكي تطال العقول والإجساد والكلمات والاشياء فالثقافة اصلا هي التي تنتج مكونات الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل شعب او امة فكيف بها وقد اصبحت(سلعة معلبة)في ظل ثقافة الاختراق[19].

فباسـم التطـوير والتحـديث، المـدعوم بمـنظماتهم الدوليـة والماليـة واعـلام الفكـر الاستراتيجي، نصب لشعوب بلدان العالم الثالث اكبر كمين لها على مر العصور لقد تحول هذا العدو الخفي الى الحمل الوديع والام الرؤوم بابتسامته العريضة ووجهـه البـشوش انـه يقدم امواله وعلومه وتكنولوجياته ومفكريه لانقـاذ الـشعوب الفقـيرة مـن بـراثن الجهـل

والتخلف ويرفعها ليس فقط الى مصافه بل ولتنافسه وتعلو عليه دون ان يجشمها ما بذله لنفسه من عناء.

العولمة والفقر :

لقد فشلت كل المشاريع التطويرية وفقدت البلدان الفقيرة الزراعة والصناعة معاً، وبقيت جيوش العاطلين عن العمل من القطاعين الزراعة والصناعي، وهذا ما يفسر امتداد الفقر ليشمل الطبقات الوسطى ايضاً، أي مايزيد على 90٪ من الطبقة العاملة. هذا فضلاً عن الديون المتراكمة من المساعدات الغذائية الى المساعدات المالية للتطور الى الديون المصرفية الباهظة الفوائد، الى الاستثمارات المباشرة تستدعي مزيداً من الاستثمارات بحيث يصبح من غير الممكن الاستغناء عنها ويستحيل تسديدها.

وهكذا لم يسجل التاريخ هذا القدر من الديون، مع فقدان الامل بالتسديد، وفي الوقت نفسه جفت التحويلات ونضبت الاستثمارات : فخلال السنوات 1999-2000-2001، كانت تحويلات الاموال من الشمال الى الجنوب اقل منها في الاتجاه المعاكس مما عوق تسديد الديون واوجب تطبيق العقوبات الاتية : بيع القطاعات الانتاجية والمرافق العامة بأبخس الاثمان للشركات العالمية الصهيونية (الخصخصة) مما يلقي ايضاً بطبقة اخرى من الشعب الى حافة الطرق، او يهبط بدخولهم الى دون حافة الفقر، وينزع عن البلد كل صفة من صفات الاستقلال. تنفيذ كل العقوبات الاقتصادية الحياتية الاخرى.

والجدير بالملاحظة، ان الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل تتمتعان وحدهما بحق الاعفاء من العقوبات(الذي بيده القلم لايكتب نفسه من الاشقياء...كما يقول المثل).فديون امريكا وعجزها التجاري تحملها للعالم. فعجزها التجاري وحده يعادل ثلث الديون الممنوحة لبلدان العالم الثالث خلال مدة خمسة عشر سنة من دون ان تخشى قطع

الواردات عنها وكذلك اسرائيل التي تتلقى كل سنة مايزيد على خمس مليارات دولار كمساعدات، طوعاً وغضباً ،مليار دولار ونصف الدولار من المانيا، 90 مليون دولار من النمسا، 900مليون دولارلا من اليهود المقيمين في الخارج، ومليار دولار فرضت على المنظمات اليهودية الامريكية و ثلاثة مليارات دولار من الدولة الامريكية نفسها. هذا اضافة الى 7 مليار دولار مفروضة على الملياردريين اليهود. مع ذلك فانها لاتطالب بتسديد ديونها الخارجية التي تزيد على 25 مليار دولار.

العولمة والصهيونية ونظام تحرير التجارة العالمية

ليس ادل على التقاء الصهيونية بالعولمة من نظام تحرير التجارة العالمية، ان الاتفاق العام حول التعريفات الجمركية والتجارة العالمية GATT قد انشأ عام 1947 أي بعد الحرب العالمية الثانية، وانشاء دولة اسرائيل، وان المنظمة العالمية للتجارة O. M. C التي حلت محله، لتوسيعه وشموله تحرير الخدمات المالية، والملكية الفكرية الى جانب البضائع، فقد أنشأت عام 1995، أي بعد انشاء مشروع "السوق الشرق اوسطية " الى جانب الاتحادات السابقة التي تربط اقتصاداتها في السوق الدولية.

فالمشاريع التي طرحت سابقاً من قبل ال GATT و CNUCED لم تفتح في الواقع شهية رأس المال العام او الخاص لعدم قدرة كل بلد على حدة لتكوين هامش الربح الذي يسعى اليه رأس المال. ويكفي ان نعلم ان مشروع " السوق الشرق أوسطية " قد خص اسرائيل بأن تقدم للسوق المنتجات الزراعية والغذائية الرئيسية والمنتجات الصناعية بينما تدع قطاع السياحة فحسب لبقية الاعضاء(ما عدا بالطبع الطاقة) فهي تحت سيطرتهم هذا علما بأن اسرائيل في حالة السلم طبعاً تحتكر القسم الاكبر من السياح الغربيين بسبب احتوائها على الاماكن المقدسة للاديان الثلاثة.

ويتطلب تحرير التجارة العالمية للاندماج بالنظام العالمي فتح الحدود على مصراعيها والغاء الحواجز الجمركية وتخفيض العملات المحلية لتشجيع المزاحمة في كمية الصادرات ما يوقع البلدان الضعيفة في عجز تجاري فاحش ناهيك بكساد البضائع المصنفة بالديون في ارضها لامتناع أي بلد صناعي عن شرائها اذا ليس لديهم اسواق عمالية الا للطاقة والمواد الاولية بأنواعها والنتيجة :تراكم الديون والبضائع.

ويشير البروفسور "جوزيف ستيكلز" الاستاذ في جامعة كولومبيا في نيويورك والحاصل على جائزة نوبل والمستشار الاقتصادي للرئيس الامريكي السابق كلينتون: "فان تحرير التجارة العالمية كان قد صمم من قبل البلدان الغربية ولمصلحتها فحسب وساهم في انهيار اقتصادات عدد كبير من بلدان العالم الثالث فمن الخطأ الفاحش ان نضلل هذه البلدان بحسنات الدمج للاقتصاداتها بالنظام العالمي.

كما انه ليس من الضروري في الوقت الحاضر ان يصار الى عقد مؤتمر جديد في الدوحة فقبل التورط في دورة جديدة يتحتم على الاعضاء تصحيح الفروقات الفاحشة في مستوى الحياة الناتجة من الدورات السابقة. فبينما حققت البلدان الصناعية ارباحاً خيالية تدهورت اوضاع البلدان الاخرى وعلى رأسها البلدان الافريقية الى حد الافلاس" ففي عهد الاقتصاد الظافر لاوزن لاي دولة الا من خلال عدد المستهلكين وكمية ما يستهلك وما يملك فأمريكا واوربا واليابان تستحوذ على 90٪ من الاقتصاد العالمي.

العولمة والمافيا والاجرام المالي :

مما لاشك فيه ان لكل بلد من بلدان العالم الثالث اوساطها الاجرامية الا ان المنظمات القائدة والاكثر قدماً ونشاطاً توجد في البلدان الصناعية الكبرى. فأمريكا موطن(الكوزانوسترا) واوربا موطن(المافيا السيسيلية) واسيا موطن(الترياد الصينية)

و(ياكوزاس) اليابانية، الى مئات المجموعات المتزاحمة والمتكاتفة، وكلها تعمل تحت السيطرة الماسونية العالمية[20].

وباحتساب العمليات ذات السعة عبر القارات، فان عملية غسل الدخل الاجرامي تتجاوز الى حد بعيد احتياطات البنوك المركزية مجتمعة، ولعل عملية تهريب الاموال القذرة الى اسرائيل في 15/ 1/ 2002 من كبار المسؤولين في بنك(Societe General) الذي يعد في المرتبة الثالثة بين المصارف الفرنسية، واعتقال رئيسه(دانييل بوتون) من احدى الامثلة على اضطلاع الصهاينة في تهريب الاموال القذرة، وبالتالي غسلها في اسرائيل، ذلك ان مصارفها لاتمانع بذلك لديها، ولكن لدى غيرها..! وهي لاتخشى اي اثارة لفضائحها او انزال اي عقوبة في حقها..!، هكذا لم يسبق ففي تاريخ البشرية ان سلمت مقادير الشعوب قاطبة الى حفنة من الطغاة الجشعين من الصهاينة، مع مساعدة السلطات الحاكمة لهم في هذا الشكل الرهيب[21].

فقد رصد زيادة اضافية قدرت بنحو 157٪ لتمويل الهدف الذي ينص على اثارة التوتر وعدم الاستقرار في الدول التي تأوي من منظمات تهدد الامن الامريكي، سميت منظمات ارهابية كل من يعارض امريكا، هو ارهابي[22].

نتائج الفصل الثاني :

1- استثمار القوة الوجدانية التي يتميز بها الانسان العربي، والتي تجعله اكثر قرباً من الفطرة الانسانية الداعية الى الوفاء بالمتطلبات البشرية دون شطط او اسراف ودون طغيان للقيم المادية والفردية واعادة التوازن بين الحضارة الاسلامية ومتطلبات ووسائل الحضارة الحديثة وذلك بتطوير البرامج التربوية والثقافية بما يحقق هذا التوازن.

2- التمسك بالفضائل الاجتماعية والروحية من عدل وصدق وامانة وتعاون، لانها تشكل قيمة اقتصادية وسياسية اضافة الى كونها قيمة اخلاقية، وذلك بالتركيز عليها في المناهج التربوية والثقافية وفي برامج التوعية الوطنية، ومن خلال التشريعات التي تحث على التمسك بهذه الفضائل وتحترم مخالفتها.

3- تنمية الوعي الديني والفهم الحقيقي والعلمي للدين، ومكافحة التطرف والمغالاة في الخطاب الديني بهدف الوصول الى مثال الامة النموذج التي تفرض احترامها على الامم الاخرى الى درجة الاعجاب والانبهار ثم التقليد.

4- التركيز على اتقان اللغة العربية وغرس الاعتزاز بها لكونها روح الثقافة ومدخل الاصلاح الثقافي، وطريق الخلاص من التبعية الفكرية للغير، وذلك من خلال المناهج التربوية والثقافية التي تشمل شرائح المجتمع كافة لاسيما النشئ الجديد، ومن خلال التشريعات التي تلزم تعلم العلوم المختلفة باللغة العربية.

5- توسيع افاق التعليم والتأهيل حتى اعلى المستويات، بهدف تنمية القدرات العلمية والفكرية التي تؤهل لنقل التكنولوجيا المتقدمة وتطويرها محلياً. وادامة الحوار مع الحضارات الاخرى، والابتعاد عن الحوار في جوهر الاديان، واستنفار الفكر المستنير في الحضارات الاخرى، للاعتراف بمساهامات الحضارة العربية الاسلامية في تطور البشرية.

توصيات الفصل الثاني:

خرجت الدراسة بالتوصيات التالية :ـ

1- استثمار المناخ الاجتماعي العام في العالم الغربي، خاصة في الولايات المتحدة والذي بدأ يتفهم القيم الروحية، ويرى فيها الخلاص مما هم فيه من فراغ نفسي وروحي، وطغيان للقيم المادية البحتة التي لم تحقق له الامن النفسي المنشود.

2- التعامل مع الاقليات في البلاد العربية بعدل الاسلام، حتى تكون جزءاً فاعلاً في نسيج الامة، واحترام حقوقهم السياسية والشخصية الثقافية.

3- دراسة خصائص العقلية العربية بحيث يتم تشخيص السلبيات والايجابيات للتقليل من اثار السلبيات، وزيادة منافع الايجابيات، وهذا يتطلب حوارات فكرية تؤدي الى الاتفاق على السلبيات والاعتراف بها ووضع البرامج التربوية والثقافية والتشريعات التي تعالج الظواهر السلبية.

4- احياء الهمم وتنمية الشعور القومي لازالة الاحباط الراسخ في نفوس الناس، وذلك من خلال برامج توعية تركز على العامل الديني، وعلى ابراز منجزات وقدرات الامة.

5- تهيئة اجيال من القادة والعلماء الصالحين المنتمين الى هذه الامة، وتحصينهم من الاختراق الاجنبي(اثنان اذا صلحا صلح الناس واذا فسد الناس، الامراء والعلماء).

6- ترسيخ الايمان بزوال قوة التفرد بالعالم، وان التوازن العالمي من سنن الله في كونه ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وهذا يحيي الامل بزوال الهيمنة الامريكية ويشجع على العمل للنهوض بالامة من جديد.

هوامش ومصادر الفصل الثاني:

1. أ- د. احمد عبدالرحيم الخلايلة، العرب والتأثير في النظام العالمي، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، عمان، الاردن،2001 ص 88.

ب –زبيغنو ريجينسكي، الفوضى، الاضطراب العلمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة حسن علي فاضل، الاهلية للنشر، عمان، الاردن،1998، ص 112.

ج- باسكال بونيفاس، فرنسا، السبيل الجديد للقوة، مجلة لابل، وزارة الخارجية الفرنسية، العدد 18، 2000، ص10-11.

2. أ.د.هالة مصطفى، العولمة دور جديد للدولة، مجلة السياسة الدولية، السنة 34، العدد 134، القاهرة، 1998، ص43.

ب. د.سمير امين، ما بعد الرأسمالية، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان،1988، ص2001.

3. أ.مصطفى حمدي، العولمة اثارها ومتطلباتها، ادارة البحوث والدرسات في ديوان ولي العهد، ابوظبي، 1997.

ب. مسعود الظاهر، صراع الحضارات كمقولة ايديولوجية، صحيفة الاتحاد الظبيانية، 21/ 4/ 1997.

ج. برهان غليون، نايف علي، العرب والعولمة، مجلة المستقبل، العدد 224، تموز،1997.

4. أ.علي حميدان، الخليج وتحديات العولمة، صحيفة الاتحاد الظبيانية، 24/ 4/ 1997.

ب.صادق جلال العظم، ما هي العولمة، ورقة بحثية قدمت في الندوة التي نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، تشرين الثاني،1996.

ج. عبد الخالق عبدالله، العولمة جذورها وفروعها، عالم الفكر، الكويت، العدد الثاني، 1999، ص53.

5. هانز كوشلر، الديمقراطية والنظام العالمي الجديد، ترجمة سميرة ابراهيم، مركز الدراسات الدولية، بغداد 2000، ص5-8.

6. د.احمد الخلايلة، مصدر سابق، ص89.

7. نعيمة شومان، الصهيونية والعولمة حروب ضد الشعوب، خبيرة في الشؤون الاقتصادية والدولية بيروت، لبنان، 2006، ص 251.

8. محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية، سلسلة الثقافة القومية، قضايا العربي، مركز دراسات العربية، بيروت، لبنان،1992، ص101.

9. نعيمة شومان، مصدر سابق،2006، ص153.

10. د.حميد حمد السعدون، العولمة والهوية الثقافية القومية، قسم الدراسات الاوربية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العراق، 2004، ص3.

11. أ.عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، وزارة الشباب، عمان،1995، ص9.

ب. د.احمد عبدالرحيم الخلايلة، مصدر سابق، ص102.

12. نعيمة شومان، مصدر سابق، 2006، ص156.

13. د.رواء زكي يونس الطويل، العولمة ونقل التكنولوجيا، مجلة بحوث مستقبلية، العدد السابع، مركز الدراسات المستقبلية، كلية الحدباء الجامعة، العراق، 2003، ص82.

14. د. احمد عبدالرحيم الخلايلة، مصدر سابق، 2001 ص99.

15. احمد كمال ابو المجد، من اجل وحدة ثقافية عربية، منتدى شومان الثقافي، حوار الشهر، تموز، 1998، ص17.

16. د.رواء زكي يونس الطويل، الحصانة في مواجهة العولمة وعصر المعلوماتية، مجلة المفكر الاسلامي، العدد الثاني، السنة الاولى، ايلول، 2002، ص41.

17. د.الشيخ عباس كاشف الغطاء، اسلامنا لا عولمتكم، في كتاب(يد واحدة في مواجهة التحديات)، منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي، موصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، 2002.

18. جلال امين، العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، مجلة المستقبل العربي، بيروت، لبنان، العدد 234،1998، ص67.

19. علي حرب، فضح الثقافة، مجلة العربي، الكويت، العدد 468، 1997، ص30.

20. ان ابرز مظاهر العولمة هو نتائجها السلبية على الارهاب الدولي عن طريق تحضيره وتشجيعه، حيث يتوقع ان يبرز تحالف ارهابي دولي ذو اهداف متنوعة للغرب قادر على امتلاك اسلحة الدمار الشامل وان العولمة تعمل على توسيعه.

21. أ. نعيمة شومان، مصدر سابق، 2006، ص162.

ب.شادي فقيه، كيف يسيطر اليهود على العالم، دار العلم، بيروت، لبنان، 2005.

22. SUNDAY TIMES 2002.

الفصل الثالث

الإنسان بين المادة والروح

الفصل الثالث

الإنسان بين المادة والروح

مقدمة الفصل الثالث:

لقد افتتنت الامة الاسلامية بالحضارة المادية الواردة من شرق الارض و غربها وغلبت على امرها امام هذا الهجوم الحضاري الجديد وساهم في ذلك انحسار الاسلام من الناحية الميدانية بفعل عوامل متعددة ولمدة طويلة، وكذلك غياب القيادة الامينة وانشغال حكام المسلمين بالامور الشخصية وضمور روح الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث ساعدت هذه العوامل على مضاعفة جهل الامة بروح الاسلام اضافة الى الشعارات البراقة التي رفعها المستعمر في تحرير المسلمين وتطويرهم.

وتزامن ذلك مع التطور التكنولوجي الذي استخدم كدليل لاثبات تطورهم ورقيهم الحضاري، قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[1].

ان الضعف والجهل والخلط بين الحضارة والثقافة والعلم، ادى بالامة ان تقع تحت هيمنة الحضارة الحديثة، بل ان الكتاب و المثقفين قد افتتنوا بها ونظروا لها، قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

وبعد ان زالت الاقنعة وانكشف زيف الحضارة المعاصرة وكذب ادعيائها وبعد الويلات التي حلت بالامة شعرت بأنها مغلوبة ومستغلة لقوى نهبت ثرواتها وامكاناتها واتضح لها ان الجميع يريدون سلب خيراتها واذلالها وابعادها عن قيمها وعقيدتها وفكرها الاسلامي كما اتضح بأن الصراع بين المعسكرين كان صراع منافع بينهما لم يجن منه المسلمون شيئاً، قال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3].

أهمية الفصل الثالث :

تنبع اهمية البحث من امتلاك الامة الاسلامية لمقومات فكرية حضارية ونظرية متكاملة متمثلة بالدين الاسلامي الحنيف، الذي يمتاز بشموله للقيم والافكار والعقيدة والشريعة في شؤون الدنيا والاخرة، ان الدين الاسلامي قد حل مشكلة الانسان بكل ابعاده النفسية والجسدية والدنيوية والاخروية مما جعل الانسان المسلم والذي يستلهم من الاسلام سلوكه في الحياة يعيش حالة من الاستقرار والطمأنينة.

فهو يرسم للانسان الافاق العامة للاخلاق، قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[4]. والضمير الانساني الحر دوره في صيانة الانسان من الامراض الاخلاقية واكتساب الفضائل والصفات الحميدة، مع تصعيد حالة الارتباط بالله سبحانه وتعالى والتوكل عليه، وايجاد التماسك في الروابط، والعلاقات الاجتماعية.

كما يخلق من الانسان فردا اجتماعيا قادرا على المساهمه في تربية المجتمع مع تصعيد الجانب الروحي و المعنوي فيه، فالاسلام استطاع ان يستوعب حاجه الانسان و يعطيه

دوره في خلافه الله سبحانه في الارض، قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[5].

هدف الفصل الثالث:

يهدف البحث الى دراسة انحسار المد الاسلامي وكيفية مجابهة ذلك، والتاريخ البعيد والقريب والواقع الحاضر المشاهد، شاهد على صدق ذلك، فمع التزام المسلمين في الصدر الاول بالنظام الاسلامي كان الدين قوياً واحكامه محفوظة، واعلامه عالية مرفوعة، وبمرور الزمن بدأ معدل الصعود الاسلامي يتناقص لاسباب متعددة من اهمها غياب سلطان الدين، وسلطان الدين نوعان، نوع على القلوب، ونوع على الجوارح.

فصلة الانسان بربه ليست صلة قانونية، عقلية فحسب، يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه، ويخضع امامه، ويطيع اوامره واحكامه، انما هي صلة حب وعاطفة كذلك، صلة لابد ان يرافقها ويقترن بها، ويتحكم فيها حنان وشوق، وتفان وتهالك، والدين لايمنع من ذلك، بل يدعو اليه، ويغذيه ويقويه.

فتارة يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ وتارة يقول : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

مشكلة الفصل الثالث:

القرآن دستور المسلمين في حياتهم، والكعبة قبلتهم في صلاتهم، وهذه الاصول هي الأساس التي قامت عليه اول دولة للاسلام في مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما اقر الاسلام ان الموارد ومصادر العيش التي بثها الله في الكون هي من الوفرة بحيث انها كافية لاشباع حاجات الانسان الاساسية والكمالية والمعتدلة اذ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾(6).

وقد بقيت هذه الاصول قرونا طويلة موطن اعزاز وموضع تقديس من المسلمين تسوى صفوفهم، وتقوى في مواجهة الازمات عزائمهم وتملأ بالامل في بسط سلطان الحق صدورهم وبالهيبة لهم صدور اعدائهم، وعلى مقدار ما استمسك المسلمون بهذه الاصول وحرصوا عليها وناطوا امالهم بها، راح اعداؤهم يتربصون بهم الدوائر، ويتلمسون لهم المزالق ويتتبعون في صفوفهم الثغرات، حتى اذا سنحت الفرصة انتهزوها بكل ما تنطوي عليه صدورهم من حقد، فاذا دول الاسلام وشعوبها في ايديهم فرائس دامية واشلاء ممزقة، من المحيط الهادىء شرقا الى المحيط الاطلسي غربا، ومن البحر الابيض شمالا الى المحيط الهندي جنوبا، وكل ما تستهدفه احقادهم وتبغيه دسائسهم ومكايدهم، هو هذه الاصول.

لقد واجه المجتمع الاسلامي غزواً اعلامياً خارجياً تمثل في المطبوعات والاذاعات الاجنبية الموجهة بالغة العربية وشرائط الافلام والاغاني والموسيقى، ولا شك ان تدفق هذه المواد الاعلامية على المجتمع الاسلامي وتداخلها مع مثيلاتها من المواد الاعلامية المحلية

يمثل خطراً على السلوك، كما ان استيراد بعض الفقرات الاعلامية الاجنبية وبثها من خلال وسائل الاعلام المصورة، الى جانب وجود المطبوعات الاجنبية المترجمة كل ذلك يضع تيارات فكرية ان لم تضر بالفكر الاجتماعي فهي لاشك تمثل عائقاً امام تأصيل الفكر الاسلامي في المجتمع.

المشاكل التي يعاني منها المجتمع الاسلامي عامة :

يعاني المجتمع الاسلامي من مشاكل متعددة نذكر اكثرها خطورة :

أولا: الاختلاف والفرقة: وجب على المسلمين الاتفاق على طاعة الائمة والولاة، قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[7].

لقد اصبحت الفرقة والاختلاف مرض يتزامن مع مسيرة البشرية على وجه الارض وهو ناتج عن الفهم الخاطيء او حب الذات او النظرة السطحية او عدم التمييز بين الاهم والمهم من الامور وغيرها من العوامل، وقد بلغت ظاهرة الفرقة ذروتها في هذا العصر فتحولت الخلافات الفكرية الى معارك دموية تمزق اوصال الامة الى اشلاء متفرقة[8].

فبينما كان المسلمون في الصدر الاول ملتزمين بالنظام السياسي الاسلامي[9]، وكان الدين قوياً واحكامه محفوظة، واعلامه عالية مرفوعة، ولكن الان يكفر بعضهم البعض الاخر، كل ذلك يجري في اطار الجزيئات والامور السطحية في الوقت الذي تحولت امهات الامور والمسائل المرتبطة بمصير الامة ومستقبلها الى امور هامشية، قال الرسول ﷺ "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره، مالم يؤمر بمعصية، فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[10].

ان تعدد المدارس الفكرية التي اريد لها ان تكون وسيلة لتطوير الفكر الانساني والابداع في عالم الافكار، قال تعالى في كتابه الكريم :﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ

وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[11]، والعمل ضمن الدوائر المشتركة والاعتذار للاخرين في موارد الخلاف وحصرها في دوائر معينة ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾. فقد صارت هذه المدارس مورداً للخلاف في اوساط الامة حتى في الاساليب وطرق العمل، وقول النبي محمد ﷺ "لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، واخرهن الصلاة "[12].

وما زالت الامة حتى الان عاجزة عن حصر الخلاف بين المذاهب الاسلامية والمدارس الفكرية بالرغم من الشعارات ونداءات الوحدة التي رفعها المصلحون منذ قرون، كل ذلك بسبب الجهل وبسبب فقدان اخلاقية التعامل مع الاختلاف خصوصا مع سياسة تأجيج نار الفتنة يمارسها اعداء الاسلام، فأساس السلطة السياسية في الدولة الاسلامية وحق الطاعة الممنوح للولاة، انما يرجع الى الشريعة، ولا يرجع الى الامة او الشعب، كما هو الحال في الانظمة العلمانية التي تجعل الامة او الشعب اساس السلطة السياسية في الدولة[13].

ليس الهدف خلق باب الاختلاف والاجتهاد، لان الاختلاف والاجتهاد من مستلزمات الانسان وطبيعته البشرية، بل نريد ان نعرف كيف نتعامل مع اختلاف الاراء، قال تعالى في القرآن الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[14]، وقال ايضاً ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[15]، وقال ايضاً في كتابه الكريم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[16].

ثانيا: العجب والغرور: وهو مدخل للشيطان يزين للأنسان عمله ويحقر في عينه عمل غيره ولذلك فهو يعيش حالة الانفتاح والرضى بالنفس حتى يصل به الامر الى عدم قبول أي نقد او نصح من الاخرين بل يعيش بحالة لاينقد فيها نفسه ولايراقبها مع تبرير

وتوجيه لكل ما يصدر منه شخصيا، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[17]، وقال ايضاً : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[18].

العجب والغرور قد يصيب الافراد والحركات والجماعات فتنغلق الجماعة على نفسها وتعيش الحالة الصنمية ولاتستجيب لاي نقد لانها تعتبره متوجها الى الفكر والقيم والمبادئ، ان الموضوعية تقتضي ان الانسان المسلم الذي يريد الاصلاح وكذلك الجماعات التي تريد ان تسير نهج التكامل العملي والميداني لخدمة الرسالة عليها ان تعتبر الحياة حقلا للتجارب مستفيدة من تجاربها واخطائها وكذلك الاستفادة من تجارب الحركات الاسلامية الاخرى ولتكن الحركات صريحة في تعاملها مع افرادها وتعلن بصورة واضحة تجاربها الناجحة والفاشلة مع تبيان اسباب الفشل لمعالجتها من قبل اعضائها ومن قبل نفسها[19].

ان وعي الجماعة وعدم وصولها الى اليأس نتيجة الصراحة وتحمل الافراد المسؤلية في العلاج وعدم ترك المسؤلية على غيرهم، قال تعالى : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾[20].

ولا نعيش حالة النقد فقط فان العيش عبر مستوى النقد فقط حالة مرضية وتبرير للمتقاعسين من العمل وبذلك يعرف اتباعها منها الموضوعية وتصاغ شخصياتهم على هذا الاساس من التفكير بعيدا عن المغالطات، قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾[21]، وقال ايضاً : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[22]، وقال ايضاً : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[23]، وقال ايضا : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾[24].

من اهم معالم الجماعات الاسلامية التي تعيش لله سبحانه بعيدا عن الغرور والعجب اللذين يشكلان اخطر الامراض الاخلاقية التي تواجه العاملين للأسلام، قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾(25).

فالجماعة الاسلامية التي تأبى مواجهة نفسها باخطائها لاصلاحها سوف تواجه خطر التقوقع على النفس والانعزال عن الامة والرضا بما عندها، فلايمكنها الابداع والتطور وتظل تراوح في مكانها وسيتساقط افرادها ويتمكن منها اعداؤها، قال تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾(26).

ويحاول البعض تبرير هذا الفشل والمراوحة باسم القضاء والقدر او المحنة اوطريق ذات الشوكة وطريق الانبياء الصعب المستصعب منطلقين من فهم خاطىء لهذه المفاهيم العالية، قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(27).

فالقضاء والقدر لايستدعي التسليم للظروف والتواكل، قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(28)، وان المحنة نتيجة طبيعية لعمل المؤمنين وجهادهم ضد الظلم والفساد وليس الرضا بواقع الظلم او الواقع السلبي للعاملين وعدم دراسة الاخطاء او الاستفادة من تجارب الاخرين وعدم معرفة الظروف الموضوعية التي تحيط بالعمل والعاملين، بل وعدم الادراك الصحيح للسنن والاسباب الطبيعية، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(29).

ثالثا :عدم التعمق في فهم الامور والسطحية : ان الفهم الاجمالي العام للاسلام ورد الفعل تجاه الحالة المأساوية التي عاشتها الشعوب الاسلامية وان كانت عوامل

مهمة ليقظة المسلمين وظهور المنادي بالعودة الى الاسلام، ولكنها لاتكفي لاحداث العملية التغييرية والانقلاب الاجتماعي الشامل مالم تمتلك الدراسات الميدانية للعمل والتطبيق، قال تعـالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[30].

ويجب ان ندرك حاجتنا الماسة الى هذه الدراسة التطبيقية الميدانية معتمدين على البنود الدستورية النظرية التي نمتلكهـا والتـي لا يمكننـا ان نترجمهـا الى واقـع علمـي في ضـوء الظروف الموضوعية التي يعيشها المجتمع المسلم اليوم، قال تعـالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[31].

ان الكتاب والسنة ، المصادر الاساسية للتشريع الاسلامي تضع امامنا الخطوط العامة التي بواسطتها يمكننا ان نضع القانون الذي يحرك عجلة المجتمـع الاسـلامي عـلى ضـوء الاسلام وفـق الحاجـات المستجدة والمتطـورة لمجتمـع اليـوم، فالكتـاب والسنة كافيـان ومشتملان على جميع التشريعات والاحكام التفصيلية للنظام الـسياسي الاسـلامي، ولـيس هناك حاجة الى غيرهما في تقرير ذلك وبيانه.

وهذا يستلزم منا عمقا وادراكا عمليا لهذه المستجدات وهذا ماتفتقر اليـه الان، ففـي الكتابات المعاصرة يختصر كثير من الكتاب تلك الجملة المطولة في لفظ واحد للدلالة عليه الا وهو لفظ الحاكمية وهذا اللفظ يناظر اصطلاح الـسيادة الـذي يـستخدم في الدراسـات القانونية الدستورية.

اننا بحاجة الى منهج اخلاقي يستوعب حركة الفرد والمجتمع المعاصر وبلغة يفهمهـا ابناء اليوم، وعلينا ان نصوغ مفاهيمنا بطريقة تتماشى مع ذهنية مسلم اليوم والعمـل الجـاد

على تنقية الفكر الاسلامي وكتب العقائد من الدس والغلو وعلى الباحثين في المجال العقائدي ان يعلموا ان الاسلوب الذي يعالجون فيه المسائل العقائدية يحتاج الى منهج جديد لتقويم القضايا الفكرية وبلغة تتماشى وذهنية الانسان المعاصر والتحديات التي يواجهها، فالسلطة المطلقة المنفردة بتقرير الحق والالزام به، والتي لها وحدها دون شريك الكلمة العليا في امر المجتمع والدولة بحيث لا توجد سلطة اخرى تساويها او تدانيها فضلاً ان تعلوا عليها[32].

هذا المنهج وتطبيق عالم التشريع وتحديد الموضوعات المختلفة التي يحتاجها المجتمع الاسلامي اليوم في جوانب الحياة المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع احكامها الشرعية التي تمثل رأي الاسلام وقوانينه التي يمكنها ادارة المجتمع وتغطية حاجاته التشريعية بكفاءة عالية، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾[33].

ان من السطحية ان لاتحدد الامور التي تنال اهمية اكبر في سلم الاولويات في عملنا الاجتماعي التغييري او الفكري وتتشاغل بالامور غير المهمة والهامشية مما يضيع علينا فرصة كبيرة لتحقيق اهدافنا وتحكيم رسالتنا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[34].

رابعا: التسرع والارتجالية: ونقصد بها عدم التخطيط والدراسة للقضايا والاحداث والمواقف، والتعامل معها على اساس ردود الفعل والعواطف لا على اساس التعقل والتخطيط، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[35]، وللارتجالية اثر كبير في ضياع الجهود والطاقات والفرص وكذلك ضياع للعمر والمال وبالنتيجة ضياع الامة نتيجة المواقف غير المدروسة، وحث الاسلام على رفع كفاءة العمل وزيادة المهارة،

قال تعالى : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[36]، ويقول الرسول ﷺ «من ولي من امر المسلمين شيئا فولى رجل يجد من هو اصلح منه فقد خان الله ورسوله»[37].

فالارتجالية آفة كبيرة مصدرها الجهل والتخلف وعدم التعقل وفقدان الحكمة والتدبر في الامور، قال تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[38].

ان العدو يعد الدراسات والمناهج العلمية ويضع الخطط لمواجهة الاسلام والمسلمين، وجدير بالذكر ان البحوث المعاصرة ابرزت ميل الطبيعة الانسانية نحو التملك والاستغلال، وكذلك المذهب الاقتصادي الاسلامي اقر هذه الحقيقة، وقد اوضح القران خصائص الانسان في هذا المجال، الا انه بين ايضا ان الطبيعة الانسانية ليست واحدة[39]. وان المؤمنين لهم صفة اخرى وان البعد الروحي عندهم كفيل بان يؤثر في البعد المادي، وهذا مايؤكده قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[40].

وعلينا بالمقابل ان نواجه مخططات العدو بدراسات ومناهج مبنية على التخطيط العقلي والعملي والموضوعي : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[41]، وقال تعالى ايضا : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[42]، ويقول الامام شرف الدين "لاينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال".

الانسان بين المادة والروح :

ان الفكرة القديمة التي كانت سائدة حول الجسم والروح قبل ان يظهر الاسلام بتعاليمه المادية. ان هناك صراعا قديما بين الجسم والروح وان الفكرة التي سادت في تلك الفترة اعلنت بأن كمال احدهما لا يتم الا على حساب الاخر وان طلاب التسامي الروحي قديما كانوا يلجئون الى رياضات عنيفة بدنية شاقة يكبتون فيها غرائزهم ويعودون فيها ابدانهم كثيرا في المشقات والصعاب ويعتقدون انه لاسبيل الى ادراك الصفاء النفسي الا على انقاض بدن مهشم قد خذلته قواه وضعفت اركانه وذلك هو السبيل الى سناء النفس وزكاة الروح[43].

كأن الروح والبدن كفتا ميزان لا ترتفع احداهما الا على حساب انخفاض الاخرى كان ذلك قديما هو الفكر السائد. وربما احتضنه الهنود القدماء وكانت الرهبنة الهندية والرياضات التي نجمت عنها عبارة عن وأد البدن واذلاله وتكليفه ما لايطيق، وتسللت هذه الى المسيحية وكانت الرهبنة، ثم دعا اليها بعد ذلك بعض الصوفية المتطرفين. ولقد امن الاسلام بالروح والجسم معا ونظر للانسان نظرة متكاملة فهو انسان بعقلة وبدنه وافكاره وغرائزه، هو انسان كل لا يتجزأ وانه يجب ان ينظر اليه على انه هذا الكيان المتكامل المتماسك[44].

ان المادية لاتتغلغل بين صفوف المسلمين لان الدين الاسلامي يكفل للمسلمين التساند الاجتماعي، ولان واجبا محتوما على كل واحد منهم ان يأخذ بيد اخيه المسلم، وان يقف حاجزا بينه وبين الحاجة وبينما تستدعيه ضرورات الحياة[45].

وبالنسبة الى الجسم نظر الاسلام اليه نظرة فيها شيء من الاعجاب. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾. ونظر

الرسول ﷺ الى هذا الجسم باعجاب ايضا فيروى اصحاب السنن عنه أنه كان وهو يسجد يقول : "سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله احسن الخالقين".

هذا الجسم ما ينبغي قط أن يهمل أو يضيع، فالالة الميكانيكية التي تخدم الانسان يعطيها الانسان كثيرا من رعايته واهتمامه فكيف بهذا الجسم العجيب الذي خلقة الله سبحانه وتعالى. وموضوع الجسم وحاجة الانسان في حياته وافعاله كلها اعمال ماديه اهتم بها الاسلام كما اهتم بحياة الانسان الروحانية(46).

اهتم بالجسم والروح في الدنيا والاخرة ويتضح ذلك في دعوات المسلم عندما يسأل الله العفو والعافية، العافية لبدنه والعفو لنفسه في الدين والدنيا والاخرة ويسأل الله الأمرين في المعاش و المعاد : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾(47).

ونرى النبي ﷺ يدعو فيقول « اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفقر واعوذ بك من عذاب القبر لا اله الا انت ». قال العلماء استعاذ به من الكفر لانه ضياع الاخرة واستعاذ به من الفقر لانه ضياع الدنيا. ونرى المسلم حريصا ان يكون قريبا من ربه كريم الموضع عنده وما اخف الوسيلة الى ذلك واهونها على النفس: فقد يسر الله على عباده التكاليف، وما حملهم شيئا فوق طاقتهم ولا ارهقهم، بل راعى سبحانه وتعالى الرأفة بعباده فكان رفيقا بهم في تكاليفهم فقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾(48).

والاسلام يهتم بالدنيا والاخرة على حد سواء. قال تعالى : ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ ﴾...ونسمع في ادعية الرسول ﷺ « اللهم اني اعوذ بك من الجوع فأنه بئس الضجيع واعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة»، عندما استعاذ به من الخيانة فانه

يستعين به من الرذائل التي تستهلك دين المرء وتضيع ضميره واخلاقه وعندما يستعيذ به من الجوع فهو يستعيذ به من الازمات التي تجعل الانسان ينطلق في الدنيا وليس له وقود يتحرك به وليس له ما يجعل الدنيا في عينه ويجعلها ميدانا لاداء رسالته فيها، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[49].

لقد جعل الاسلام الدنيا طريق الى الاخرة، وهي طور من الاطوار، ولاسبيل الى البقاء فيها، وعلى الانسان ان يذكر رسالته التي خلق لاجلها، ويجعلها نصب عينيه، وهي عبادة الله والفرار اليه، قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ ﴾[50].

فاذا كانت اليهودية قد افرطت في الجانب المادي، والمسيحية افرطت في الجانب المقابل، فان الاسلام هو الوسيط، الجامع بين المادة والروح، والدنيا والاخرة، والمسلمون هم الامة الوسط، المنتدبون من قبل الله، لحمل هذه الرسالة الاسلامية التي تصل بالانسان الى منتهى كماله المادي والروحي معا[51]، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[52].

اولويات العمل في مواجهة انحسار المد الاسلامي :

لا يمكننا الخروج من هذه الازمة الكبيرة التي تعيشها امتنا الا باعادة العقل الى دائرة البحث والتحقيق واستنتاج الافكار والرؤى العملية الصحيحة المتناسبة مع حاجات العمل اليوم، بعيدا عن التقليد الاعمى والتبعية للافكار من دون تدقيق او تمحيص علمي، وعليه وجب انشاء مؤسسات للتحقيق العلمي والدراسات الاسلامية الحديثة.

ويمكن للمؤمنين من اصحاب الاموال والقدرات ان يخدموا الاسلام و الامة لبلورة الفكر الاسلامي واعداد الكادر العلمي من خلال مساهمتهم الجادة في دعم هذه المشاريع البناءة ولينالوا بذلك حظ الدارين ويضمنوا لامتهم مستقبلا حضاريا زاهرا ان شاء الله،

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[53]، وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[54]، وقال الرسول ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[55].

لقد اخذ التدفق الاعلامي مساره الى اتجاه واحد من الدول الصناعية في اوربا وامريكا الى الدول النامية، ونظرا لخطورة الامر وما يمثله من مخاطر على قيمنا وثقافتنا يجب معرفة الاثار التي فرضتها تكنلوجيا الاتصالات الحديثة على قيمنا وثقافتنا الاسلامية[56]، لذا على علماء الاسلام الواعين ان يتحملوا مسؤولياتهم في طرح الموضوعات النافعة ومعالجة القضايا التي تخص المسلم المعاصر وبصياغة جيدة تتماشى مع الحالة الاجتماعية المتطورة.

ان هناك صراعا مستمرا يدور حول مجال السيطرة على مجالات الاتصال المختلفة، وهذا الصراع بدوره يؤدي الى مزيد من التقدم التكنولوجي والسيطرة الاعلامية من الدول الكبرى[57]، وبالتالي تتسع الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية، وهي مشكلة تترك اثر سيئا على تقدم الدول النامية في النواحي الاقتصادية والتنموية، وعلى موروثاتها الثقافية والحضارية[58].

ان مسؤولية الدولة في ان تعيش الواقع الموضوعي للامه وان تعيش روح التفاهم الفكري والحوار الموضوعي وان تمارس الاساليب الجذابة المبنية على فهم اسلامي عميق، وان تعمل باستمرار على تطوير هذه الاساليب وتعميق الافكار وتربيه الجيل الاسلامي الجديد وانقاذ المسلمين من مخالب الجهل والكفر والفساد، قال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[59]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[60].

ان على الحركات الاسلامية ان تتحاشى وبجدية حالة الفرقة والتمزق من خلال وضعها للاهداف الكبيرة امامها واستعدادها للتفاهم والحوار مع الاخرين والتنسيق فيما بينها بل ويمكن لها ان ترسم استراتيجية متطورة تتقاسم فيها الادوار والمهمات فتكون بذلك سببا لوحدة الامة وحصانتها وازدهارها لا عاملا من عوامل تمزيقها والقضاء عليها، قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[61]، وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[62]، وقال ايضا : ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[63].

ان العدو يحاول ان يستغل كل الفرص لهدم المجتمع الاسلامي وقد ينفذ من خلال اختلافاتنا، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[64]، والتاريخ اثبت لنا ذلك، ومسؤوليتنا تتلخص في حفاظنا على وحدة امتنا بوحدة الفكر والتفاهم بين العاملين وصيانة الاهداف بالاساليب التي تتمش مع روح العصر وبذلك نصون مستقبل امتنا، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[65]، وقال الرسول ﷺ « من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم»، وقال ايضا : «وكونوا عباد الله اخوانا »، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[66].

والا فالامر لايبشر بخير ويستحمل الجميع مسؤولية الهدم وضياع الجهود والطاقات واستغلال العدو لضعفنا وتمزقنا، قال تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾[67]، وقال ايضا : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[68].

استنتاجات وتوصيات الفصل الثالث:

1. ان الحل في الرؤية المتكاملة للقران الكريم، اذا لم يكن في الفكر القراني غير تلك الصورة المتكاملة التي تستوعب في خطوطها والوانها ابعاد الوجود الانساني كله فقد كفاها برهانا على عظمة هذا الدين الذي من الله به علينا وجعل منه طريق الهداية والرشاد.

2. التأكيد على المنهج العقلي والتجريبي وتقبل النقد في مسألة المهج والاسلوب والابتعاد عن التبرير الغيبي للمواقف والاساليب الخاطئة التي لاتمد الى الغيب بصلة، اذ ان الغيب له اثر كبير في النفوس لعلاج كثير من القضايا النفسية للفرد والمجتمع من خلال بعث الامل والتسامي بالحياة الانسانية وربطها باليوم الاخر وتعميق الرضا بقضاء الله في نفس الانسان، فمعرفة السنن والقوانين الالهية يجنبنا الكثير من المواقف الخاطئة.

3. عندما يقول الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة : :﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ فقد قصد بهذا القول الكريم الى تقرير واقع الصورة التي يستخرجها المتدبر لايات الله وكلماته المنزلة ويكتشفها بكامل خطوطها والوانها وفنون التعبير مرسومة في دقة بالغة. والسبيل الى فهم القران لا تتحدد ابعادها كما لا تتعين اتجاهاتها الا حين يدرس كلام الله ككل لا كايات منفصل بعضها عن بعض. تماما كما هو الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى واخضعه لسنن وقوانين دقيقة ثابتة لا تتغير.

4. محاولة دراسة الموضوعات دراسة مقارنة لان الدراسة الاسلامية على ضوء معين دون بقية المذاهب الاخرى قد يضيع علينا نتائج ابداعات في مجالات مهمة ويجعلنا نعيش العقلية الجامدة وتتعطل عندنا روحية الابداع.

5. كما ان الاخطاء في فهم الكون ناجمة من اقتطاع جزء دون الاجزاء الاخرى فان الاخطاء في فهم القران الكريم ناجمة هي بدورها من الاقتصار على تدبر اية او ايات معينة دون بقية كلمات الله.

6. الاهتمام بالعقل ودوره واثره في تحديد البعد الشرعي، وبواسطة العقل ندرس الحالة المتطورة ومدى ملائمتها للشريعة الاسلامية في قواعدها العامة مع ملاحظة العناصر المتغيرة في الواقع كي نغير من اساليبنا لتنسجم مع الواقع.

7. فاذا كانت هناك عبادات معينة ذات شروط وحركات خاصة مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة والنطق بالشهادتين فهي لاتقف عند هذه الحركات والتصرفات وحسب بل تنتشر في عالم الانسان كله وتنسحب على فنون فكره وعقله حتى يكون كل امر ذي بال من امور الانسان شيئا داخلا في مفهوم هذه العبادة. او ليس ان الرسول ﷺ قد قال لاصحابه :" كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو اجزم ". اوليست البسملة هنا اعلانا عن نوع من انواع العبادة ؟ او ليست تعبيرا عن ارادة الوحدة في تقرير الارتباط الشامل والوعي بين الانسان وربه وبينهما والكون كله.

هوامش ومصادر الفصل الثالث :

1. سورة الاسراء 73،74، 75.
2. سورة يونس 94، 95.
3. سورة الانعام 50.
4. سورة المائدة 48.
5. سورة الحجرات 7
6. سورة ابراهيم 32،33،34،35
7. سورة النساء 59
8. (ليس الدين زال سلطانه الا بدلت احكامه وطمست اعلامه، وكان لكل زعيم فيه بدعة، ولكل عصر في وهيه اثر)، ابو الحسن الماوردي، ادب الدين والدنيا، ص115.
9. محمد بن شاكر الشريف، تحطيم الصنم العلماني، ص44.
10. اخرجه البخاري(13،130)، فتح الباري.
11. سورة الاحزاب 36
12. اخرجه احمد في المسند(5،251)، وقال الارناؤوط اسناده جيد، وابن حبان في صحيحه(15،111)، والحاكم في المستدرك(4،104) وقال صحيح الاسناد.
13. محمد بن شاكر الشريف، اين نحن من نظامنا السياسي الاسلامي، مجلة الايمان،(17،18)، السنة الخامسة، اربيل، العراق،2004.
14. سورة الانفال 27

15. سورة التوبة 71

16. سورة الحجرات 10

17. سورة ابراهيم 34

18. سورة العلق 6،7

19. مهدي العطار، مسؤولية العلماء في ترشيد الصحوة الاسلامية وتلبية حاجاتها الفكرية، الانترنيت،2005، ص2.

20. سورة التوبة 71

21. سورة الاعلى 14

22. سورة الشمس 7،8،9،10

23. سورة الكهف 54

24. سورة يس 77

25. سورة الاحزاب 72

26. سورة الاسراء 53

27. سورة هود 120

28. سورة الشورى 40

29. سورة ال عمران 200

30. سورة الزمر 18

31. سورة الزمر 10

32. محمد بن شاكر الشريف، تحطيم الصنم العلماني، ص49.

33. سورة الجمعة 3

34. سورة الحديد 25

35. سورة الزمر 9

36. سورة القصص 26

37. رواه الحاكم

38. سورة البقرة 269

39. د. تقي عبد سالم العاني، الاسلام والمشكلة الاقتصادية، مجلة درسات اقتصادية، العدد الاول، السنة الثانية، بيت الحكمة، بغداد، العراق،2000، ص9.

40. سورة المعراج 19،20،21،22،23،24،25.

41. سورة الحج 46

42. سورة العنكبوت 20

43. لقد كانت رسالته دائماً التبشير بقيم انسانية رفيعة، لم يقل وفي احرج الاوقات، ان الغاية تبرز الوسيلة، لم يزعم الاسلام انه وصي على البشر وانه مستعمر في الارض، بل دعا دائماً الى الايمان بأصوله كحل اساس لجميع المشكلات، نادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب.

44. فلا زالت اصول الاسلام ودعواته حلم البشرية بعدما وصلت اليه من تطور وتقدم وحضارة، ولا زالت اسسه الفكرية والروحية تحمل الى العالم الامن والسلام والرخاء، وهو عظيم في كل حين، جليل في كل عين، رفيع في كل عقل.

45. د.محمد عبد المنعم خفاجي، الاسلام ونظريته الاقتصادية، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982، ص50.

46. واهتم بالجسم من ناحية النظافة وجعلها رمزا ودلالة على الايمان، لهذا فرض الطهارةالمستمرة لأطراف الانسان والمواضع التي تنشط فيها الافرازات عادة كما اوجب الاغتسال، ولم يخص النظافة بجسم الانسان وحده بل الزمه النظافة العامة وعدم مضايقة الاخرين برائحة غير كريمة. نرى ذلك في الاغتسال والتطهير عند الصلاة والتطيب عند دخول المساجد واتخاذ الزينة فيها. ولهذا قرر الفقهاء ان المريض في فمه الذي تظهر منه رائحة كريهة تسقط عنه صلاة الجماعة وتسقط عنه صلاة الجمعة فلو ان انسانا فيه مرض البخر او أي مرض تؤذي الاخرين رائحته فان صلاة الجماعة والجمعة تسقطان عنه، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الاسلام يتجه الى النظافة العامة. واجمل من هذا اهتمام الاسلام بالزينة، وغريب ان يهتم دين بزينة الانسان فقد رأى النبي ﷺ رجلا عليه ثياب رثة فقال له : ألك مال ؟ فقال نعم. من كل انواع المال اتاني الله. قال : فلير اثر هذا عليك، ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده.

47. سورة البقرة 201

48. سورة البقرة 286

49. سورة الفرقان 74

50. سورة الذاريات 50

51. السيد سابق، عناصر القوة في الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1978، ص174.

52. سورة البقرة 143

53. سورة الحجرات 10

54. سورة التوبة 71

55. رواه البخاري ومسلم عن النعمان ابن بشير.

56. د.رواء زكي يونس الطويل، العولمة ونقل التكنولوجيا، مجلة بحوث مستقبلية،7، مركز الدراسات المستقبلية، موصل، العراق،2003.

57. محمد صديق محمد حسن، التكنولوجيا والاتصال، الحلقة الثالثة، مجلة التربية القطرية،1987، ص49.

58. د.رواء زكي يونس الطويل، العولمة و اختراق المجتمع الاسلامي، مجلة المفكر الاسلامي،4،1، العراق،2002.

59. سورة القصص 77

60. سورة الحج 78

61. سورة الانفال 25

62. سورة المائدة 2

63. سورة الروم 32

64. سورة الانفال 46

65. سورة الانعام 159

66. سورة الحجرات 10

67. سورة المائدة 49

68. سورة المائدة 3

الفصل الرابع

اسس بناء دولة

الفصل الرابع

اسس بناء دولة

مقدمة الفصل الرابع:

ان الاسلام كل متكامل، يشمل الجوانب الروحية والمادية في آن واحد، فهو يحدد مجموعة القواعد والقيم اذا ما اتبعت واحترمت، مكنت بلداً او مجموعة من البلدان الاسلامية ان تتفتح وترقى الى مستوى عال من الحضارة، ذلك ان المقاربة الاسلامية تعني في الدرجة الاولى بالمصلحة العامة للمجتمع.

ان الاسلام كما يسعى الى بناء الفرد الصالح والاسره الصالحه والمجتمع الصالح، يسعى كذلك الى بناء الدولة الصالحة، والدولة في الاسلام ليست صورة من الدول التي عرفها العالم قبل الاسلام او بعده فهي دوله مميزه عن كل ما سواها من الدول، باهدافها ومناهجها ومقوماتها وخصائصها. انها دوله مدنية تحكم بالاسلام، وتقوم على البيعة والشورى، ويختار رجالها من كل قوى و امين، حفيظ عليم، فمن فقد شرط القوة والعلم، او شرط الامانة والحفظ، فلا يصلح ان يكون من اهلها، ألا من باب الضرورات، التي تبيح المحظورات.

اهمية الفصل الرابع:

ان الامه الاسلامية باعتبارها فضاءا اقتصاديا وثقافيا وحضاريا شاسعاً، قد عمرت طوال قرون من الزمن، ويتعين علينا ان نتدارس الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا المشروع الجهوي المتكامل بين البلدان الاسلامية بمراحل، تبعا لتعاليم الاسلام وتطلعات الجماهير ومقتضيات المستقبل، مع مرعاة المحيط الدولي.

كما ان الاسلام في مفهومه الصحيح وتطبيقه السليم لا يعرف مصطلح رجال الـدين الذي عرف في مجتمعات دينية اخرى، فكل مسلم رجل لدينه، ويوجد علماء متخصصـون في علوم الاسلام، هم اشبه بعلماء الاخلاق والفلسفه والقـانون في المجتمعـات الاخـرى، وعلاقة هولاء بالدولة هو تقديم النصح الذي فرضه الاسلام لائمـه المسلمين وعـامتهم، حتى تمضي الدولة في طريق الاسلام الصحيح.

مشكلة الفصل الرابع:

ان الشعور بضرورة ايجاد حلول اسـلامية لمشاكل الفقـر والتخلـف في عـالم متغـير ومشحون بالرهانات المتعددة يقوي الاحساس بعدم الرضى وبالحرمان على مستوى العالم، و في الوقت نفسه يغذي الامل في مستقبل افضل في ظـل مؤسـسات اسـلامية تاخـذ عـلى عاتقها مسؤولية ترقية العداله الاجتماعية وتحقيق التنمية والرقي المادي والمعنوي والمـساواة والكرامة.

ان المعضلة التي تجابه المسلمين اليوم عالميا والتي تستدعي وعـي مثقفيهـا، تكمـن في تخطي مرحله التمني والامل والافكار العامة والسخية التي تميز الوضع الراهن، والوصول الى صياغة حلول ملموسة من اجل الرقي الى مرحلة اعلى بالتوافق مع القيم الاسلامية.

اما علاقة الاعتقادي الروحي بالموضوعي او العبادات بالمعاملات، فهي مـن حيـث المبدأ علاقة تكامل فالاسلام كدين يكاد يتفرد بخاصية الاهتمام بما هو موضوعي، بخلاف المسيحيه مثلا كاخلاقيات عقائدية وروحيه مجردة عن الواقع الى الحد الذي جعل الاسـلام في الموضوعي مادة وفكـرا مرادفـا كميـا وكيفيـا لمـا هـو عقائـدي وروحـي تمامـا، الـدين المعاملة(حديث نبوي).

هدف الفصل الرابع:

يهدف البحث الى دراسة معالم دولة الاسلام المنشودة، في انها دولة مدنية تقيم في الارض احكام السماء، وتحفظ بين الناس اوامر الله ونواهيه، وبهذا سوف تستحق نصر الله، وبغيرها تفقد مبرر وجودها وبقائها، قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ (سورة الحج :40-41).

فرضية الفصل الرابع:

ان الدولة الاسلامية تجسد مكارم الاخلاق التي بعث النبي ﷺ ليتمها وهي مكارم للبشرية كلها، وهي تمثل عدل الله في الارض وهو عدل للناس جميعاً، قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة :8).

بناء الدولة :

ان الدولة الاسلامية دولة مبادئ واخلاق، تلتزم بها ولا تحيد عنها، في داخل ارضها وخارجها[1]، انها تؤمن بالغاية الشريفة والوسيلة النظيفة[2]، قال الرسول ﷺ[3] «ان الله طيب لايقبل الاطيباً»[4]، واذا كانت دولة الاسلام بعيدة عما يعرف باسم الدولة الدينية قديما فهي ايضا ليست دولة علمانية سواء تمثلت علمانيتها في انكار الدين كليه ونصب العداوة له، واعتباره مخدرا للشعوب، وقائما على الخرافة، كما هو شان الدولة الشيوعية، ام تمثلت في فصل الدين عن الدولة، وعزلة عن التأثير في حياة المجتمع : من سياسة واقتصاد، وثقافة

وتربية وأخلاق وتقاليد، كما هو شأن الدولة في المعسكر الغربي الـذي سـمى نفسـه(العـالم الحر).وهو العالم الذي لايجحد وجود الله تعالى، ولكن لايرى حاجة اليه ولايدع مكانا له في نظامه للحياة كما قال محمد اسد في كتابه(الاسلام على مفترق الطرق)[5].

ان دولة الاسلام ليست دولة اقليمية، فهي دولة مفتوحة لكل مـؤمن باختيـاره الحـر بلاضغط ولااكراه دولة عالمية لان لها رسالة عالمية انها دولـة فكـرة و عقيـدة تـذوب فيهـا فوارق الاجناس و الاوطان والالسنة و الالوان حيث يوحد بين ابنائها الايـمان بالـه واحـد ورسول واحد وكتاب واحد ويجمع بينهم قبلة واحـدة وشـعائر واحـدة وشريعـة واحـدة وآداب واحدة وبهذا تتكون منهم امة واحدة تقوم على توحيـد الكلمـة المنبثقـة مـن كلمـة التوحيد وبهذا تقوم الدولة الاسلامية المنشودة التـى يفـرض الاسـلام عـلى الامـة اقامتهـا وتذليل العقبات التى تعترضها فالخلافة ليست مجرد حكم اسلامي في اقلـيم ولكنـه حكـم الامة بالاسلام فهي تقوم على مبادى ثلاثة[6] :

وحدة دار الاسلام فمنها تتعد اوطانها واقاليمها فهي دار واحدة لامة واحدة، وحدة المرجعية التشريعية العليا المتمثلة بالقرآن والسنة، وحدة القيادة المركزيـة المتمثلـة في الامـام الاعظم او الخليفة الذي يقود الدولة و المؤمنين بالاسلام. وليس بمعنى ذلك انهـا تـرفض غير المؤمنين بعقيدتها على ارضها كلا انها ترحب بهم وتقاتل دونهم ماداموا يقبلون احكام شريعتها المدنية عليهم اما ما يتعلق بعقائدهم وعباداتهم واحوالهم الشخصية فهم احرار فيه يجرونه وفق ما يامرهم به دينهم، وقد ذهب بعض الفقهاء الى ان ظلم غير المسلم اعظم اثـماً من ظلم المسلم، وظلم الضعيف اشد من ظلم القوي[7].

الدولة الاسلامية دولة شرعية دستورية :

ان الدولة الاسلامية دولة دستورية او شرعية لها دستور تحتكم اليه وقانون ترجع اليه ودستورها يتمثل في المبادى والاحكام الشرعية التى جاء بها القران الكريم و بينتها السنه النبوية في العقائد والعبادات والاخلاق والمعاملات والعلاقات الشخصية والمدنية والجنائية والادارية والدستورية والدولية، وهي ليست مخيرة في الالتزام بهذا الدستور او القانون فهذا مقتضى اسلامها ودليل ايمانها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾... ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾... ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(سورة المائدة الايات 44،45، 47)[8].

وهذا الالتزام من الدولة بقانون الشريعة هو الذي يعطيها الشرعية ويجعل لها حق المعاونه والطاعة من الشعب من اليسر الى العسر والمنشط والمكره. واذاحادت عن هذا المنهج او النظام فهذا يسلبها حق الشرعية ويسقط عن الناس واجب الالتزام بطاعتها فأنما الطاعة في المعروف، ولا طاعة لبشر في معصية الله تعالى وفي الحديث المتفق عليه "السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما احب وكره مالم يؤمر بمعصية، فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبه خلافته : اطيعوني ما اطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم[9].

فاذا كانت بعض الدول الحديثة تعتز بانها تلتزم بسيادة القانون والتمسك بالدستور فان الدوله الاسلامية تلتزم بالشرع ولاتخرج عنه وهو قانونها الذي يلزمها العمل به والرجوع اليه حتى تستحق رضوان الله وقبول الناس، وهو قانون لم تضعه هي بل فرض عليها من سلطه اعلى منها وبالتالي لاتستطيع ان تلغيه او تجمده الا اذا خرجت عن طبيعتها

ولم تعد دوله مسلمة مثال هذا المبادى التي يعتقد ان الاسلام قد تفوق فيها على النظم الدستورية المعاصرة[10]:

-مبدأ سيادة الشريعة متفوق على مبدأ سيادة القانون الوضعي لان هذا المبدأ الديمقراطي لايحد من صلاحيات السلطة التشريعية في الدولة مادامت هي التي تضع القوانين ولا توجد أي قيود على حقها في ذلك[11]، اما في الاسلام فان الشريعة لها سيادة كاملة على جميع الاجهزه السياسية بما في ذلك الهيئة التي تصدر القوانين الوضعية فانها لاتملك تغيير احكام الشريعة او تعطيلها.

فالاسلام اول نظام سياسي يضع حدوداً لسلطة الاغلبية الحاكمة، وهو مايبحث عنه جميع فقهاء القانون الدستوري المعاصر الذين يحاولون استنباط مبادئ عامة سامية يسمونها القانون الطبيعي بحيث تلتزم السلطة التي تصدر القوانين الوضعية بحدوده ولا تخالفه مثل اعلان حقوق الانسان ولكنهم لم يجدوا وسيلة لحمايته من الالغاء من جانب الذين يسطون على الحكم في الظلام[12]، اما في الاسلام فقد حسم هذا الموضوع منذ اكثر من الف عام بان جعل الدستور هو القرآن المنزل من عند الله فاعطى بذلك للمبادئ العليا قداسة وخلوداً وثبوتا تحميها عقيدة الايمان بالله وتحددها المنابع السماوية للشريعة ولذلك نتائج عملية كبيرة.

-مبدا سيادة الامه يفوق السيادة الشعبية في الديمقراطيات العصرية لان الامة الاسلامية تضم شعوبا عديدة وقد تحكمها دول كثيرة فاذا كانت السيادة الشعبية تعني سيادة الشعب في الاقليم الذي تسيطر عليه كل دولة والذي تستطيع أي حكومة ان تقره او تحرمه من حريته او تزيف ارادته وتعمل ماتشاء باسمه فأن سيادة الامة تمارسها الامة الاسلامية في جميع اقطارها واقاليمها[13].

ان الامة بهذا الحجم وهذه الصفة هي وحدها التي تمثل الشريعة باجمعها فهي وحدها صاحبة السيادة التشريعية التي لايجوز ان يدعيها حاكم ايا كـان او أي مجلس يمثل شعبا واحدا من شعوب هذه الامة واذا سمح لشعب من شعوب الامة بممارسته نوع من السيادة فانها سيادة محدودة بما يقرره اجماع الامة صاحبة السيادة العليا الشاملة[14].

-مبدا الفصل بين السلطات في الاسلام يفوق النصوص الدستورية التي تقرر في النظم الديمقراطية المعاصرة لانه يقوم في الاسلام على الفصل العضوي بين الهيئة التي تتولى التشريع وبين الهيئات السياسية جميعها ابتداء من رئيس الدولة وبرلمانها الى غيرهما من الهيئات التنفيذية والادارية، فاستقلال التشريع عن الدولة وهيئاتها السياسية كما هو مقرر في الاسلام لم تصل الى مثله أي من النظم الديمقراطية القديمة او المعاصرة، فالدولة في الاسلام هي الدولة الوحيدة في العالم التي لايجوز لها ان تدعى ان القانون تعبير عن ارادتها كما يقال في جميع كتب القانون الوضعي القديم والحديث[15].

الحكم في الاسلام :

مفهوم الحاكمية[16]:

لقد اختلفت الاراء حول تحديد هذا المفهوم وتأصيله وتحديد مدى اسلاميته وملائمته للظروف، فثمة اتجاه يرى ان هذا المفهوم اسلامي يعبر عن جوهر النظرية الاسلامية السياسية والقانونية وانه يجد جذوره في الاصول المنزلة والتراث الاسلامي[17]، وهناك اتجاه اخر يرى ان هذا المفهوم ليس مفهوم اصولي وانما هو افراز لظروف تاريخية واجتماعية معينه وان اول من طرحه هم الخوارج اعتراضا على واقعة التحكيم بين الخليفة على بن ابي طالب(رضي الله عنه) ومعاوية بن ابي سفيان ثم عاد طرحه في العصر الحديث

ابو الاعلى المودودي نتيجه الاحوال السياسية والاجتماعية التي كانت تعيشها الاقلية الاسلامية في شبه القارة الهندية[18].

والحقيقة ان مفهوم الحاكميه هو مفهوم اسلامي اصيل قرره جميع الاصوليين في مباحثهم عن الحكم الشرعي وعن الحاكم فقد اتفقوا على ان الحاكم هو الله، والنبي محمد ﷺ مبلغ عنه فالله تعالى هو الذي يامر وينهى ويحلل ويحرم ويحكم ويشرع وقول الخوارج(لا حكم الا لله) قول صادق في نفسه، حق في ذاته، لكن الذي انكر عليهم هو وضعهم الكلمة في غير موضعها ولهذا رد امير المؤمنين علي رضي الله عنه على الخوارج بقوله(كلمة حق اريد بها باطل) فقد وصف قولهم كرم الله وجهه، بانه كلمة حق ولكن عابهم بانهم ارادوا بها باطل[19].

تعريف الحاكمية :

الحاكمية في اللغه جذرها اللغوي(حكم) وهي تاتي بمعنى القضاء و(حكمه) في ماله(تحكيما) واحتكموا الى الحاكم وتحاكموا و(المحاكمة) المخاصمة الى الحاكم[20].
والحاكمية في الاصطلاح :هي افراد الله سبحانه وتعالى بالالوهيه وتقدير ربوبيته وحده تعالى شانه وهي اخص خصائص الالوهية[21]، وهي تعني لاشريعه الامن الله ولا سلطان لاحد على احد لان السلطان كله لله[22].

انواع الحاكمية :

يلاحظ ان الحاكمية وردت في الاصول على نوعين:

A-الحاكمية التكونية(القدرية) وهي اراده الله الكونية القدرية التي تتمثل في المشيئة المحيطة بجميع الكائنات، فكل ماكان ويكون لايخرج عن سلطان هذه الارادة

ولا يند عنها لانها تعني القضاء الكلي الناتج عن العلم الالهي العام المترتب على الحكمة الكونية الالهية

B-الحاكمية التشريعية : وهي تلك التي تتعلق بارادة الله الدينية، وتتمثل هذه الارادة في تصور عقدي عن الله والكون والانسان ونظرية الشريعة العامة حيث تكون العبادات جزء منها بالاضافة الى النظرية الاخلاقية[23].

ولما كانت الحاكمية كما يعرفها بعض المختصين تعني ان الله هو الحاكم أي مصدر جميع الاحكام الشرعية بما تتضمنه من تصور عقدي عن الله والكون والانسان والشريعة حيث تكون العبادات جزء منها والاخلاق، نجد مستويات تتعلق بالمبدا خاصة اذا كان يحمل معنى التصديق والالتزام والخضوع وتنصرف هذه المستويات الى المعاني التالية :-

1. مستويات داخل المفهوم :- وينصرف الى مضمون ومكونات الحاكمية(شرعية، عقدية، قانونية، اجتماعية، سياسية)
2. جهات تطبق الحاكمية والعناصر الخاصة بها(الفرد، الامة، النظم العلماء والامراء والرعية)
3. معنى يغلف المستويين السابقين ويتعلق بالحكم الذي ياخذ الخارج على احكامها(الكفر-الفسوق-الظلم)[24].

مصادرالحاكمية :

ويقصد بها طرق ومناهج التوصل الى الحاكمية والتعرف عليها وهي مصادر ثلاثه وفقا لدلالات لفظ الحاكمية في اللغه والاصول، الكتب المنزلة، الانبياء وسنتهم، العلم الذي ينقسم الى، الاجتهاد لمعرفة حاكمية الله التشريعية، العلم الذي يهدف الى التعرف على سنن الله في الانفس[25]، أي التعرف على حاكمية الله الكونية التي تتمثل في مجموعة من

القوانين او السنن القائمة على علاقة السببية والاطراد قال تعالى ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾(سورة فاطر،43).

وينحصر دور الانسان في هذا النوع من القوانين في التعرف اليها ومحاولة استخدامها لصالح الافراد والمجتمعات بقصد عمارة الارض بمعناها الواسع وتحقيق وظيفة الاستخلاف ويلاحظ ان ثمه علاقه تكامل بين سنن الله في الانفس والكون وبين الاحكام التكليفية لاحداث النتيجة المطلوبة التي يحقق بها الانسان وجوده في هذه الحياة فقوله تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ ﴾(سورة الشمس،7،8)، لايعني ترك النفس على هواها فقد جاء تكليف في الايه التي تليها مباشرة قال تعالى : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾(سورة الشمس 9،10)، كما تتمثل الحاكمية التشريعية بمكوناتها المختلفة[26]، منطلقا وقاعدة واطارا ضابط للبحث والتعرف على حاكمية الله الكونية.

ادوات تحقيق الحاكمية :

هناك اداتين اساسيتين لتحقيق الحاكمية أولهما الادارة السياسية او الحكم بالمعنى السياسي[27]، وعناصر الرابطة السياسية التي تتأسس على الحاكمية وتهدف الى تحقيقها تتكون من الخليفة واهل الحل والعقد والرعية، والادارة الاخرى هي الادارة القضائية وتكتسب اهمية خاصة لما تقتضيه الحاكمية التشريعية من ان تكون التشريعات والقوانين منبثقة من مصادرها وما يرتبط من وظيفة للقاضي والمفتي والمجتهد بالاضافة الى ما يمكن ان يرتبط بها من ولايات مثل ولايه الحسبة والمظالم التي يناط بها المحافظة على قيم الجماعة ومرجعيتها[28].

وتجد مستويات الحاكمية سندها في تفاوت الايمان والكفر وما يجمع عليه جمهور اهل السنة والجماعة في ان الايمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويدل قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(سورة الانفال،2)، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾(سورة الاحزاب،22)، وقوله تعالى : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾(سورة المدثر،31)، والايمان كما قال السلف من اهل العلم اعتقاد بالقلب وقول باللسان و عمل بالجوارح يستلزم الطاعة والانقياد قولا وعملا[29]، والحاكمية وفقا لهذا التصور لها جانبان، الاول جانب اعتقادي، فهي عقيدة التزام وتصديق وعمل، ونفي هذا الجانب أي عدم الايمان بحاكمية الله ووجوب ما انزل والاستهانة به كفر ينقل عن الملة لانه يحمل معنى الجحود، و الثاني جانب امتثالي، أي ترجمة ذلك الاعتقاد الى سلوك وممارسات وان كان مقتضى من مقتضيات الحاكمية ولازما من لوازمه يجب الاعتقاد بوجوبه الا ان عدم الاتيان به لايعد كفرا ينقل عن الملة[30].

ان العمل ركن من اركان الايمان ولكن مقدار العمل الواجب لاظهار الحقيقة الايمانية يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والضرورات الشرعية وهو مقدار ما يحدده الظرف والمجتمع وحكم المؤمنين المخلصين، فلا يمكن تطبيق احكام الاسلام دفعه واحدة على الفرد والمجتمع في الامة والدولة في هذا الزمان، لان هناك احكاماً تنطبق على افراد بعينهم دون غيرهم[31].

فالاحكام الاسلامية تنقسم باعتبارها الماهية والكيفية الى قسمين احدهما ماهية تلك الاحكام وثانيها كيفية تنفيذ تلك الاحكام وهذان القسمان ينقسمان باعتبار الفاعل الى ثلاثة اقسام هي، احكام خاصة بالمسلم كفرد، احكام خاصة بالجماعة كجماعة من الامة الاسلامية، احكام خاصة بالدولة ونظمها. وفميا يخص الجاهلية فانه يمكن التميز نوعين من الجاهلية جاهلية اعمال وجاهلية اعتقاد وعلى اساسها يبنى الحكم على الفرد المقترف لاعمال توصف بانها اعمال جاهلية[32].

وعليه يمكن القول ان الفرد او الامة المسلمة او النظام السياسي قد تكون فيه خصلة من خصال الجاهلية لكن هذه الخصلة لاتنفي عن أي واحد منهم مسمى الايمان وعليه يمكن التفريق بين النوعين السابقين للجاهلية[33].

العدالة في الفكر الاسلامي:

يعتبر الاسلام العدالة مبدأ اساسي[34]، يجب تحقيقه في مظاهر النشاط الانساني لقولة تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾النحل، 90)

ويؤكد القران الكريم في مواضيع كثيرة على اقامه العدل كهدف في كل مجتمع اسلامي ومن هذه الايات قوله تعالى : ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾(المائدة، 42) وكذلك قوله تعالى : ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾(المائدة، 48)، والعدل في اللغه يعني التسويه[35]، في المعاملة لذا دعى الاسلام الى الاستمساك به لانه في الوقت نفسه يعني المساواة.

اما العدل من حيث المعنى فيقصد به تنظيم الحياة السياسية في المجتمع بين الفرد والفرد وبين الفرد والجماعة وبين الراعي والرعية[36]، اما من جهه اخرى فتعني العدالة[37]، فسح المجال امام الافراد للافصاح عن ارائهم وفي ان يلعبوا دورهم السياسي كما يجب فكلما كان الايمان بالعدل اقوى في نفوس الناس كلما كانت فرص نجاح بناء مجتمع عادل اقوى. وهذا ما قصده الرسول ﷺ حينما قال "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف"(صحيح مسلم) وان اقامة العدل بين الناس افرادا وجماعات ومجتمعات ودولا ليست من الامور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم او الامير بل ان اقامة العدل بين الناس تعد من اقدس الواجبات في الدين الاسلامي وهذا ما جعل الامة تجتمع على وجوب العدل تطبيقا لقوله

تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾(سورة النحل، 90).فقد اوجب الله سبحانه وتعالى اقامه العدل على النفس واقامه العدل على الغير وهذا ابلغ في التاثير في النفوس[38].

اما العدل من حيث المضمون فيعني الموازنة في العلاقات السياسية بين الافراد انفسهم من جهة وبين الافراد والجماعات من جهة اخرى عن طريق توازن العلاقات حيث تحقيق العدالة يؤدي الى انعدام الظلم السياسي وان العدالة من اعظم فضائل الاسلام وواجب حتى للاعداء وهذا ما بينه القران الكريم في قولة تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(سورة المائدة، 8)، وما بينه بالسنة النبوية الشريفة في قول الرسول الاعظم محمد ﷺ[39] «سبعه يظلهم الله في ظلة يوم لاظل الا ظله امام عادل ...».

والعدل يعني تنفيذ حكم الله وفقا لما جاءت به الشرائع السماوية والعدل في هذا المعنى يعني المساواة وهذا ما اعتنى به ابوبكر الصديق رضي الله عنه في اول خطاب له كان قد القاه بعد البيعة حيث قال «الا ان اضعفكم عندي القوي حتى اخذ الحق منه واقواكم عندي الضعيف حتى اخذ الحق له » وهذا المعنى ما عبر عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما بعث رسالة الى ابي موسى الاشعري اذ ولاه القضاء فقال له «أس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف في عدلك » وهذين المعنين هو ما اشتمل عليه الحديث الشريف الوارد عن الرسول الكريم ﷺ عندما قال «انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمه بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[40]، وهذا هو العدل الذي يأمر به الاسلام وان الاسلام في ظل الفكر الاسلامي كان ثورة على الظلم والاستبداد واستغلال الانسان القوي اخاه الضعيف بالربا والتغرير في

المعاملة وسائر ضروب الظلم والخسف[41]، اما الاركان والمقومات التي قامت عليها العدالة :

A :- الحرية السياسية :والحرية في نظرية الحكم الاسلامي تعتبر الركيزة الاولى لاحلال العدالة الاجتماعية السياسية لانها تقوم على القاعدة التي تقول ان الحرية جزء اساسي من تقدم وسعادة الافراد والمجموع في وقت واحد، ولقد منحت التشريعات الاسلامية الفرد حريته مالم تكن خطرا على مجموع الافراد الذين يكونون الامة او المجتمع[42].

ومن الحرية ترحيب الاسلام بالمعارضة وحرية ابداء الراي في المعضلات ليتمكن المسلمون من الوصول الى الحق والصواب وان المسلم ينتقد ويبدي ارائه بصراحة في الامور[43]، وذلك لان هذا يعني ان الحرية لاتخضع لتنظيم ولالفلسفه عامة بل على العكس تنظمها فلسفه عامة تقوم في اساسها على القانون المتمثل في الشريعة الاسلامية وان تكون هذه الحرية موجهه نحو الفضيلة والخير الانساني[44]، وتتمثل الحرية كذلك بحرية المجموع أي تفاعل الاراء في المجتمع ليؤدي الى التكوين راي عام يمثل هذا المجموع وهذا ما يطلق علية تسمية الأرادة العامة ولذلك جاء قول مؤسس الدولة الاسلامية الرسول محمد ﷺ مامعناه ان السعادة تظل ملازمه للامة مابقيت تحكم بالحق والعدل.

B :- المسؤولية : ألزم الاسلام كل فرد بتبعات معينة وحدد مسؤوليته فيها ليتحقق الامن في المجتمع وتسود الطمانينة فيه وقال رسول الله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في اهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعيه وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته »[45]، ومعنى هذا ان كل مسلم مسؤول عن اعماله وتصرفاته من الامام الى الراعي أي ان الفرد والجماعة

سواء في المسؤولية امام الله والمسؤولية ركن اساسي من اركان نظرية الحكم الاسلامي والتي لايمكن تفهمها الامن خلال النظر اليها كسلسلة متكاملة الحلقات.

ومعنى هذا ان المسؤولية العامة تتداخل في المسؤولية الخاصة وهذا مايجعل النظر الى المجتمع كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا وبذلك يمكن القول ان المجتمع وفق نظرية الحكم الاسلامي او نظرية العدالة هو مجتمع متكامل متماسك قاعدته التكافل الاجتماعي أي بمعنى ان الفرد يكفل المجتمع والمجتمع يكفل الفرد وهي مسؤولية القائد السياسي والمواطن معا والمسؤولية تقوم على منطق الحرية والترابط بينهما[46]، وهذا يمثل الوجه السياسي من العدالة الاجتماعية.

C :-القيادة الجماعية: وتتمثل في نظرية الحكم الاسلامي بمبدا الشورى، والشورى تعني تقليب الاراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا واختبارها من اصحاب القول والافهام حتى يتوصل الى الصواب فيها، وللشورى اهمية كبرى في أي تنظيم كان او أي جماعة من الجماعات، وتتركز عليها كل دولة راقية تنشد لرعاياها الامن والاستقرار والشورى ليست من الامور التنفلية التي تترك لرغبه الحاكم فان شاء استشار وان شاء ترك[47].

والشورى في الاسلام واجبة على كل حاكم او مسؤول او امير،﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ والقيادة الجماعية تقوم على مبدأ ذي اهمية فهو يمنع الاستئثار بالسلطة من قبل أي فرد والقيادة الجماعية تمثل لنا الحكم الذي يقوم على التوافق والرضا بين الحاكم والمحكوم وهذا هو الذي يجعل النظرية الاسلامية في الحكم نظريه تقوم على الحرية والاتفاق وهذا ماأكد عليه الرسول ﷺ[48].

المساواة في الفكر الاسلامي[49] :

المساواة مصدر ساوى شيء شيئا اذا كانا متماثلين، والمساواة الاسلامية الناشئة عن الاخوة يراد بها تساوي المسلمين في الانتساب الى المجتمع الاسلامي وفي التهيئو والصلاحية لكل فضيلة في الاسلام اذا وجدت اسبابها واتسمت بها مواهب اصحابها، ولقد جاء الاسلام ينادي بان الناس سواسية كاسنان المشط وانه لافرق بين غني وفقير وحاكم ومحكوم وسيد ومسود كلهم في نظر الشرع سواء، ومنع التفاخر بالاباء والتطاول على الناس اعتمادا على الانساب حيث ان الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يضع جميع الانساب ولايقيم لها وزنا ولايرفع الا من انتسب اليه سبحانه بعقيدة التوحيد والعبادة والطاعة ومن ذلك قولة تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾(سورة المؤمنين ، آيه:101).

والمساواة في الحياة السياسية الاسلامية تعني ان لاتمييز بين الافراد على اساس الجاه او الغنى او اللون او العنصر، وتعني المساواة كذلك المعاملة المتساوية امام القانون أي المساواة تعني لافرق بين انسان وانسان في الحياة الا بما يمتازون على غيرهم من كفاءة وخدمة للمجتمع ومن خلال التمعن في النظرية السياسية الاسلامية في الحكم يرى انها تقوم على الخير وتؤمن بقيمة الافراد وتعمل على اسعادهم وهذه بحد ذاتها ركيزة اساسية لمفهوم العدالة الاجتماعية السياسية وهذا ماأكده الدستور الاسلامي على ان لافرق بين اعجمي وعربي الابالتقوى والمقصودبه من الناحية السياسية المساواة في المعاملة القانونية والسياسية ولهذا كله جاء المفكرون والساسة ليؤكدوا اهمية هذه الناحية في الحياة السياسية، وان من يتمعن في دراسة الخطاب الذي القاه ابو بكر الصديق رضي الله عنه عقب البيعة يتبين لنه كيف ان مبدأ الانصاف في الوقوف بجانب المظلوم واخذ الحق من الظالم يتمثل اعلى درجات المساواة فكرة وتطبيقا[50].

ان الاسلام هو الدين الذي لم يكتف بتعليم اتباعه فكرة الاخاء والمساواة وتلقينهم مذهب ان الناس سواسية كاسنان المشط تعليما نظريا مجردا وانما اخذ المسلمين به اخذا عمليا، وادبهم به تاديبا، ومرنهم عليه تمرينا وشرع لهم احكام قائمة على المساواة واخرى عليهم الواقعات واراهم الحادثات[51]. ومن ابرز المساواة في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة هي المساواة بين الرجل والمراة ومن صورها هو مساواتها للرجل في الحقوق وما يؤكد هذا قوله تعالى في كتابه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾(سورة النحل، آية:72) حيث كانت المراة قبل الاسلام شبه رقيقة ان لم تكن رقيقة بالفعل حيث لم يكن لها حق يعترف به ولكن بعد مجيء الاسلام رفع شان المراة ورد اليها كرامتها واقر بحقوقها وانزلها المنزلة اللائقة، ويتجلى هذا التكريم للمراة ماقرره الله من تشريعات منها[52]:

1. قرر الله سبحانه وتعالى مساواة المراة للرجل في الجنس وانها مغرس للنوع الانساني وبمقتضى هذا تستحق كل اكبار واحترام
2. ان مساواة المراة للرجل في الجنس يعني كذلك مساواتها له في تكاليف الايمان والعمل الصالح
3. ان باب الرقي الروحي مفتوح امامها وانها تستطيع ان تنال من ذلك ماينال الرجل
4. ان باب طلب العلم مفتوح امامها، حيث جعل الله طلبه عبادة، ومدارسته تسبيحا والبحث عنه جهادا، وبذله لاهله قربى، وبهذا يقيم الاسلام الموازين بالقسط بين البشر جميعا، والمساواة المطلقة حققها الاسلام لجميع الانام في

العقائد والعبادات وفي المعاملات على حين ضلت المبادى والنظريات الحديثة عن هذا ضلالا بعيدا[53].

وتتضح بجلاء قاعدة المساواة التي قررها الاسلام بل وفرضها على الناس جميعا في عصر كانت تقوم الحياة فيه على اساس التفاضل بالجاه والمال والتفاخر بالشرف واللون قصدا الى رفع مستوى الجماعة وتكميلا للشرائع السماوية السابقة بما تقتضيه الشريعة الاسلامية الجامعة لكل المبادى والنظريات بوصفها الشريعة الخاتمة لتعاليم السماء، والاستمرار الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وهذا ما اكده الرسول ﷺ وهو يخاطب الناس في حجه الوداع "ايها الناس ان ربكم واخد وان اباكم واحد كلكم لادم وادم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا احمر على ابيض ولا ابيض على احمر الا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم فاشهد الافليبلغ الشاهد منكم الغائب "ومن الامثله العملية التي تظهر فيها اصالة المساواة وعمقها ابو بكر الصديق رضي الله عنه كان يقسم المال بين الناس بصورة متساوية ولا يفضل احدا على احد في العطاء السنوي[54].

ضمانات عدم الجور في النظام السياسي الاسلامي:

ان العدل هو الدعامة التي يجب ان تشيد الامم والشعوب بنيانها عليه بدون ادنى خوف من تداعي ذلك البنيان، لان الظلم هو اكبر معول لهدم بينان اية امة، فالعدل هو السبيل الوحيد لان تاخذ بقية الدعامات مكانتها الحقيقية في تشييد بنيان الامه لانه قوام الحياة ودعم لكيان الشعوب وانتظام سياستها وسيادتها، ان ارادة الله المتجلية في شريعته هي صاحبة الشرعية والمشروعية العليا في الدولة الاسلامية بما تتضمن من قوانين ومن مبادىء ومقاصد عامة وليس لاي جهاز في اجهزة الدولة الا ان يلتزم في تشريعه الاستنباطي او في

قراراته بمقتضيات التشريع الالهي وماصحبه من قيم ومقاصد عليا ليس لاي صاحب سلطة ان يخرج من عمله الشخصي او في امره ونهيه عن حدود الله.

وهكذا يكون النظام الاسلامي اول نظام قام على اساس الشرعية والمشروعية وجمع بينهما في مصدرين الكتاب والسنة وبذلك وكل الاسلام امر المراقبه الشرعية الى الشعب كله انه الامين على شرع الله فواجب عليه ان يبادر في مقاومة السلطة الجائرة ودفعها بكل ماامكنه من وسائل الدفع، اذ الظالم لايستحق الطاعة والامتثال وانما القضاء على الاستبداد والانتقال بالانسان من طور الرعية الى طور المواطنين حتى يكون طرفا في تسير شؤون بلاده وفقا لقوانين يساهم في وصفها بصفة مباشرة او غير مباشرة تضمن له حقوقه وتحميه من تجاوزات الحاكم[55].

ان التاريخ يروي لنا كيف ان العالم القديم كان الحكم فيه حكما تعسفيا استبداديا لم يكن فيه الناس الااتباعا مسخرين لخدمة السلطان الذي كان مقدسا لان يستمد سلطته من الالهة لذا ينبغي الخضوع له، والاذعان طاعة وتنفيذاً لاوامره فهو ظل الله في ارضه، ولقد حكم اولئك الملوك شعوبهم حكما غاشما قاسيا ومستبدا، كان الشعب فيه ازاء ملكه مثل العبد ازاء سيده[56]، فالملك والامير والسلطان هو كبير الاسرة وربها وابوها وهو سيد الشعب وحكيمه وهبة السماء للوطن والامه الامر الذي يسوغ له الاستبداد في الراي وفي ممارسة السلطة وقمع أي راي مخالف او نصيحة لانه فوق النصيحة والمشورة والقانون فهو اعلم بمصلحة الامه نفسها، ومن هنا حق له مصادرة رايها ومعاقبتها اذا تجرأت وقدمت رأيا لايتطابق وراي الحاكم[57].

ففي ظل العدل يسعى المواطنون الى اعمالهم وهم مطمئنون الى ضمان حقوقهم مما يورق ثمار الحرية والمساواة والعزة والكرامة وتحقيق التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية باحلى صورها ونقيض الظلم، فهو يهدم النفوس ويكبلها ويهدم معها ترابط

الامه ويمزقها اشتاتا ويعرقل عملية التنمية في جميع المجالات لانتشار الفساد في ارجاء البلاد[58]، اما في الاسلام نجد ان قيمة العدل عالية متالقة في ديننا الاسلامي فهي تتصدر كل القيم والثوابت التي يدعو اليها الدين فهو المقصد الاول للشريعة، وكل السبل التي تكفل تحقيقه هي سبل اسلامية شرعية وكفى بذلك دليلا على المكان الارفع للعدل في فكر الاسلام والعدل في العرف الاسلامي ضد الجور والظلم فاذا كان العدل هو الحق، فان مجاوزة الحق هي الظلم والجور[59] وليس هدف النظام الاسلامي اطلاق الحريات غير المنضبطة بل هدفه تحقيق العدل والقسط فالاستبداد لايقابل الحرية كما هو في الفكر الديمقراطي بل يقابل العدل وهو العدل الشامل كما اراد الله تعالى للانسانية[60].

ان المصدر الاول للتشريع هو القران الكريم والقران هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ بلسان عربي مبين وهو المعجزة البيانية الخالدة حيث اعتمد القرآن منهجا واقعيا في تشريعه للاحكام ويقوم هذا المنهج على الترابط بين النص القرآني المشرع والواقع الاجتماعي الذي يراد تطبيق النص فيه بحيث لايكون هناك مشقه على الناس ولايجوز لاي قانون وضعي ان تتصادم احكامه مع المصدر الالهي الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، اما السنة فهي المصدر الثاني من المصادر التشريعية وهي الاصل الثاني من اصول الاحكام الشرعية[61] والتاصيل في منهج الشريعة هو رد الشيء او الامر الى اصله[62]، ويقصد به المسلمون الاحتكام في المسائل والقضايا كلها الى اصلي الشريعة الاساسين القران والسنه واذا كان الاسلام قد جاء بالنصوص الشرعية الثابته في القران والسنه فلان هذه النصوص تمثل المنطلقات الاولى الهادية التي يستطيع الفكر ان ينطلق من خلالها في مسلمات سلمية تبعد صاحبها عن الزيغ والضلال ومع هذا فهناك حرية واسعة في النص الشرعي الاسلامي[63]، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقة وظله في ارضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ اتم دلاله واصدقها[64]. ان الشريعة مبناها واساسها على ...

الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة.

توصيات الفصل الرابع:

خرجت الدراسة بالتوصيات التالية:-

1. ينبغي العمل في اتجاهين على الصعيد الدولي فمن جهه ينبغي على البلدان الاسلامية ان تفكر في طريقة مشتركة تهدف الى التقليص ثم القضاء على تبعتها الاقتصادية والثقافية والتجارية والمالية والتقنية للخارج كما تستطيع هذه البلدان ان تشترك في اتخاذ اجراءات ترمي الى تحسين معدلات التبادل التجاري وتقليص ديونها الخارجية وذلك بتدعيمها لقدراتها التفاوضية على الصعيد الدولي ورفع القدرة الشرائية على صادراتها.
2. على العالم الاسلامي أن يبادر بحملة اعلامية متواصلة لشرح الوجه الحقيقي للاسلام تنطلق في معظمها من البلدان القريبة فالكتب والمقالات والمداخلات الصحافية بكل انواعها والتي تتسم بالعداء وخلط المفاهيم، فضلا عن التحاليل السطحية المملوءة بالمغالطات، كل هذه الحملات تتناوب باستمرار وتسعى الى ابراز الاسلام كعامل تهديد وتقرنه بالعنف، وتخلط عن قصد بين الاسلام والمسلمين.
3. أن واجب البلدان الاسلامية وخاصة مثقفوها الحضور بقوة في المجال الاعلامي، ليس لابراز هشاشة الحملات التوجيهية التي يتعرض لها الاسلام وانما ايضا لتقديم الابعاد الحقيقية للاسلام وبكل موضوعية.

4. لابد للمسلمين اذا ارادوا النهوض والرقي والعيش بطمأنينة وكرامة ان يعودوا الى دينهم الحق، يستنطقون مصادره ونصوصه في كل مايعترضهم من مشاكل وفي كل ما يستجد من احداث ليجدوا فيه العلاج الشافي وان لا ينخدعوا بالشعارات الزائفة، فالفكر الاسلامي فكر سامي منبعه الوحي الالهي.

مصادر وهوامش الفصل الرابع:

1. مع من تحب ومع من تكره، في سلمها وحربها، فهي لا تتعامل بوجهين ولا تتكلم بلسانين، ولا تقبل ان تصل الى الحق بطريق الباطل ولا ان تحقق الخير بوسائل الشر. يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الاسلام، ص10-24.

2. فهي ترفض الفلسفة المكافيللية التي ترى ان الغاية تبرر الوسيلة، كالذي ياكل الربا ليبني به مسجداً، او التي تزني لتصرف على الفقراء "فليتك لم تزني ولم تتصدقي". المصدر نفسه.

3. من حديث رواه مسلم عن ابي هريرة، وهو من احاديث الاربعين النووية الشهيرة، وفي حديث اخرمتفق عليه "ولا يقبل الله الا الطيب". المصدر نفسه، ص12-20.

4. ويشير بذلك الى الذي يجمع المال عن طريق السحت والباطل ثم ينفقه في طريق الخير.

5. د.يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الاسلام، دار الشروق، القاهرة 1997، ص 13-30.

6. المصدر السابق، ص30-32.

7. ولهذا كان ظلم اليتامى والمساكين اشد من ظلم غيرهم، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (سورة النساء، آية:135).

8. وهذه الآيات وان نزلت في شأن اهل الكتاب، جاءت بلفظ عام يشملهم ويشمل المسلمين معهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولا يتصور ان يحكم الله بالكفر او الظلم او الفسق على من لم يحكم بما انزله من اليهود والنصارى، ويعفي من ذلك المسلمين، فعدل الله واحد، وليس ما انزل على محمد ﷺ، دون ما انزله على موسى وعيسى عليهما السلام. القرضاوي، مصدر سابق.

9. د.يوسف القرضاوي، من فقه الدولة في الاسلام، دار الشروق، القاهرة،1997، ص33.

10. فالدولة الاسلامية لا يهمها الشكل الذي تتخذه، ولا الاسم الذي يطلق عليها، وان كانت تاريخياً يعبر عنها بالامامة والخلافة. المصدر نفسه.

11. ايا كانت الجهه التي تمارسها سواء كانت برلمانا منتخبا انتخابا حرا او مزيف او رئيس الدولة او مجلسا عسكريا او مدنيا يمارس السلطة التشريعية

12. ولقد بقيت هذه المبادئ العليا السامية التي يتعلق بها الفلاسفة والعلماء بدون الزام فعلي للهيئات التشريعية، او من له السلطة السياسية سواء كان دكتاتوراً او مجلساً عسكرياً ...الخ.

13. لان سيادة الامة لها حق الاجماع، والاجماع الذي يصدر عن هذه الامة الكبيرة او ممثليها من المجتهدين والعلماء هو وحده الذي يعتبر مصدراً للاحكام الشرعية.

14. القرضاوي، مصدر سابق، ص39.

15. ولن تجد في الاسلام كله حاكماً واحدا اصدر قانون في ظل الشريعة الاسلامية سواء كان حاكما عادلا او مستبدا بخلاف الدول المعاصرة حيث يملك كل من يدعى السيطرة على الدول ان يغير القوانين بل الدساتير ويصدر منها ما يوافق هواه.

16. برز في الفترة الاخيرة على مستوى الفكر السياسي الاسلامي مفهوم الحاكمية الذي طرحه بعض المفكرين الاسلاميين وتلقفته بعض الحركات الاسلامية واتخذت منه محورا وهدفا لمواجهه واقع النظم السياسية القائمة وواقع المجتمعات المسلمة.

17. وان دور ابو الاعلى المودودي وسيد قطب لم يكن الاكشفا لمفهوم اصولي موجود.

18. A-وليد سالم محمود، المشاركة السياسية للحركة الاسلامية في النظم العربية المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد،2002، ص62.

B- هشام احمد عوض جعفر، الابعاد السياسية لمفهوم الحاكمية، رؤية معرفية، ط1، المعهد العالمي للفكر الاسلامي فرجينيا،1995، ص39.

19. يوسف القرضاوي، من هدي الاسلام، فتاوي معاصرة، ج2، دار الوفاء، المنصورة، 1993، ص 645.

20. محمد بن ابي الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، 1982، ص148.

21. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط3، ج4ن دار احياء التراث العربي، بيروت،1961، ص215.

22. سيد قطب، معالم في الطريق، بيروت، 1961، ص29.

23. هشام احمد عوض جعفر، مصدر سابق، ص67و68.

24. المصدر نفسه، ص108 و69.

25. النفس والمجتمع والكون.

26. العقيدة، الاخلاق، الشريعة.

27. الذي يدور حول الافعال التي يكون الناس معها اقرب الى الصلاح وابعد عن الفساد فهذه الاداة تتأسس على الحاكمية بمكوناتها وتهدف الى التحقيق مضمونها بما يجسد حضور عقيدة الاسلام وشريعته واخلاقه. هشام احمد عوض جعفر، الابعاد السياسية لمفهوم الحاكمية، رؤية معرفية، ط2، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينا، 1995، ص69.

28. ولما كانت الحاكمية وهي تحمل معاني التصديق والالتزام والخضوع لها مستويات ثلاث فاننا نجد ان التفاعل بين الانسان والفرد والمجتمع وحالة التسليم والخضوع(الايمان وعدمه)يحدد بشكل كبير المستوى والمحصلة المترتبة على هذا التفاعل. المصدر نفسه ص106.

29. وعليه فالحاكمية تتبع الايمان وجودا وعدما وحكما يجب فهمها وفق عناصر الرؤية الاسلامية للايمان، على الرغم من التفاعل والتكامل بين مستويات الحاكمية ومكوناتها، يبقى التميز بينها استنادا الى تفاوت اركان الايمان في قيمتها اذ يكتسب التصديق مرتبة اعلى، و اذا فقد ينهدم الايمان. المصدر نفسه، ص108.

30. والاوصاف الثلاثة(الكفر-الفسوق-الظلم)هي اعتبارات مختلفة لحال الحاكم بغير ما انزل الله فيوصف بالكفر لانكاره وجحوده ويوصف بالفسق لخروجه عن الحق ويوصف بالظلم اذا وضع الحكم في غير موضعه او جورة فيه عامدا لكن مرحله الفسوق والظلم يمكن ان تنتهي الى المرحله الكفر في حاله الاستمرار عليها

والتعمد فيها لان التصديق لابد ان يحمل معنى الامتثال والطاعة.المصدر نفسه، ص111.

31. اذا توفرت فيهم شروط مخصوصة ومعينه تتطلبها تلك الاحكام فيمكن الاخذ من احكام الاسلام حسب ما تقتضيه الاحوال والمرحله الحياتية للفرد او الجماعة او الدولة.

32. وتشمل، جاهلية الاعمال(جاهلية الفسوق والعصيان)وهي تلك التي لاتخرج صاحبها من الملة وصاحبها لايكفر الا بالشرك لقولة تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(سورة النساء، آية : 48)، وجاهلية الاعتقاد وهي لاتصدر عن مجرد سلوك بل عن عقيدة تستحل ذلك السلوك وتخرج صاحبها من الملة.المصدر نفسه، ص112.

33. هشام احمد عوض جعفر، مصدر سابق، ص242

34. د. عبد الحميد براهيمي، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي، مركز دراسات الوجدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ص32.

35. د. محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الاسلامية، مكتبة الانجلو مصرية، ط3، القاهرة، 1960، ص283.

36. والمقياس في تنظيم هذه العلاقة ينبثق من الجسر الذي يربط ما بين الفرد والفرد والفرد والجماعة وهو جسر العدل. د.رواء زكي يونس الطويل، الاقتصاد الاسلامي في مواجهة التحديات، مجلة الايمان، العدد17-18، السنة الخامسة، اربيل، العراق،2004.

37. د.فاضل زكي محمد، الفكر السياسي العربي بين ماضيه وحاضره، ط2، دار الحرية، بغداد، العراق 1976، ص161 و162.

38. فالعدل هو الغاية العامة وغاية الغايات من الحكم الاسلامي فالعدل ورد صريحا في القرآن بقوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(سورة النساء ، آية : 58).

39. البخاري، صحيح البخاري، ج8، دار ابن كثير، ط3، بيروت، 1407هـ 1987م، ص20.

40. المصدر نفسه، ص16.

41. ومهما اختلفت الفرق الاسلامية فانها لم تختلق في الدعوة للحق والعدل والعدالة السياسية والاجتماعية شأنها شأن أي نظرية اخرى تقوم على اركان ومقومات عدة. د.صلاح الدين الناهي، العدالة في تراث الرافدين وفي الفكرين اليوناني والعربي الاسلامي، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، لبنان،1984، ص56.

42. أي ان كل مواطن يستطيع ان يتصرف في اموره التصرف الذي لايسيئ فيه الى نفسه ولا الى غيره ولايضر بحريه الاخرين ولا يؤثر على مصالحهم وان حرية الفرد الخاصة تنتهي عند الحد الذي تبدا منه الحرية العامة. ناجي معروف، ص256.

43. لان المسلم لايرضى بتأليه الاشخاص ولايرضى لنفسه حياة العبودية والتحكم به واذا اساء المسلم استعمال حريته الشخصية فان الاسلام يتدخل في امره لايقافه عند حده.المصدر نفسه، ص257.

44. ناجي معروف، اصالة الحضارة العربية، مطبعة التضامن، ط1، بغداد، العراق 1389هـ1969م، ص258-260.

45. البخاري، مصدر سابق، ج2، ص848.

46. لان القائد السياسي لايستطيع ان ينفرد في مسؤوليتة دون ان يستند الى رضا وتأييد المواطنين وهذا الرضا بحد ذاته هو فن المجتمع السياسي في الدولة. د.فاضل زكي، ص165-166.

47. د.محمد عبد القادر ابو فارس، النظام السياسي في الاسلام، دار القرآن الكريم، ط1، الكويت، 1404هـ 1984م، ص89-98.

48. حيث يروي لنا ابن تيميه ان الرسول محمد ﷺ لم يكتف بتطبيق مبدا الشورى في جميع قراراته وانما اكد عليه كمبدأ اساسي من مبادى نظريه الحكم الاسلامي. د.فاضل زكي، 167-169.

49. ان من اهم المزايا الفطرية والمتطلبات الذاتية التي يتضمنها الاسلام لصلاح المسلمين ولتحقيق خير المجتمعات الانسانية قاطبة ميزة المساواة لان المساواة في الاسلام هي اول اثار الاخوة واصدق شواهدها. شبكة المعلومات الدولية، الانترنت، www. balagh. com.

50. وهذا ما جاء في قوله (الا ان اضعفكم عندي القوي حتى اخذ الحق منه واقواكم عندي الضعيف حتى اخذ الحق له) وان التميز ما بين الافراد في المجتمعات الاسلامية قد تحدد من حيث الاساس في الحالتين مهمتين هما الكفاءة و الخدمة. د.فاضل زكي، ص166.

51. علي عبد الرزاق، الاسلام واصول الحكم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1978، ص72.

52. السيد سابق، اسلامنا، دار الكتاب العربي، ط1، مصر، 1381هـ 1961م، ص195-196.

53. المصدر نفسه، ص196.

54. ناجي معروف، مصدر سابق، ص64-66.

55. د. علي بن حسين المحجوبي، حقوق الانسان بين النظرية والواقع، مجلة عالم الفكر، العدد 4، الكويت، 2003، ص16-17.

56. ولم تختلف الحكومات الملكية في الغرب او الشرق عن بعضها في ممارسة الاستبداد وكان كل منها يعطي تسويغا قيمياً لهذه الممارسة، يدخل في اطار الدين او الاخلاق او العرق الاجتماعي. فائز صالح محمود، دراسة في ملامح الفكر السياسي العربي الاسلامي في عهدي النبوة والراشدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية،1989، ص70.

57. علي المؤمن، النظام السياسي الاسلامي الحديث، دار روافد النشر والطباعة، بيروت، لبنان، 2002، ص163.

58. خديجة النبراوي، موسوعة اصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، من نبع السنة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1424هـ 2004م، ص45.

59. محمد عمارة، الاسلام وحقوق الانسان، ضرورات لاحقوق، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2004-2005، ص63.

60. وفي كل مجالات الحياة فالعدالة السياسية لاتنفصل عن العدالة الاجتماعية والعدالة الاقتصادية وغيرها وعلية فان الاسلام جاء بضمانات لعدم الاستبداد. علي المومن، ص172.

61. د.محمد فاروق النبهان، المدخل للتشريع الاسلامي، ط1، دار العلم، بيروت، لبنان، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص82-89.

62. د. رضوان السيد، التأصيل والتجديد في الفكر الاسلامي المعاصر، مجلة الندوة، العدد 4، المجلد 8، عمان، الاردن، 1997، ص14.

63. د.النبهان، مصدر سابق، ص60.

64. ابراهيم النعمة، شريعتنا والحياة، ط1، موصل، العراق 1423هـ 2002 م، ص34.

الفصل الخامس

مفهوم الاقتصاد

في ظل المبادئ الروحية للاسلام

الفصل الخامس
مفهوم الاقتصاد في ظل المبادئ الروحية للاسلام

ان الاقتصاد الاسلامي جزء من قيم المعاملات التي يحكمها التشريع الاسلامي، فلا يمكن فصله عن هذه المعاملات واعتباره عملا مادياً صرفاً، لاسلطان للتوجيه الأخلاقي عليه. ان الفرد المسلم في تعامله مع الآخرين ينظر الى رقابة الله عليه في هذا التعامل، ولو أن القانون أو النظم الوضعية أخلته من بعض المسؤوليات التي يلاحظها الاسلام[1].

فالضوابط الأخلاقية للاقتصاد الاسلامي تسبق النظرة المادية، وتفرض على الانسان التقيد بها، والا فقد بطل عمله، وكان كسبه غير طاهر، ويكون ما أكله عن طريق الحرام سحتاً لايباركه الله تعالى، وله في الآخرة عذاب عظيم[2].

والاقتصاد الاسلامي اقتصاد فريد من نوعه ومستقل عن غيره[3]، فهو يستمد اصوله من التعاليم الاسلامية(ومنذ خمسة عشرة قرناً دون أن تتغير أو تتبدل)، وان وجود بعض الملكية ويبيح الغنى، اذا أدى الغني ماعليه، بينما يقول آخرين ان الاقتصاد الاسلامي اقتصاد اشتراكي، لأنه يدعو الى توزيع الثروات وعدم حصرها بأيدي الأغنياء، وهذه الأحوال جميعها لاعلاقة لها بالاقتصاد الاسلامي، مهما قاربت الحقيقة أو جانبتها، لأن هذا الاقتصاد أرسخ قدماً من الاقتصادات الموجودة[5].

يلاحظ ان الكتب الفقهية الاسلامية تبحث في كيفية ادارة شؤون الدولة من الناحية المالية والاقتصادية، وفي طرق الجباية للأموال وسبل انفاقها وتنمية مواردها والسهر على تحسين معايش البشر في شتى المجالات الحيوية، ومن هذه الكتب، كتب الخراج والادارة المالية لأبي يوسف ويحيى بن آدم القرشي وأبي يعلي والماوردي وأبي عبيد القاسم بن سلام

وغيرهم كثير، وكتب الخراج والمالية في الاسلام تعتبر كتباً اقتصادية تؤرخ نظرة الفقهاء والاسلاميين في معالجة الشؤون المالية والاقتصادية للدولة وطرق تنميتها وتوزيعها. فيوضح ابن خلدون في مقدمته كثيراً من التوجيهات الاقتصادية التي يمكن أن تعتبر بداية لعلم الاقتصاد الحديث وبذلك يعتبر رائد هذا العلم، اذ لم يسبقه فيه أحد من غير المسلمين[6].

من جهة ثانية نرى ان علم الاقتصاد بالمفهوم الحديث لم يظهر الا في القرن الثامن عشر، وقد أخذ بالتطور حتى وصل الى ماعليه الآن، وهذا لايعني أن علم الاقتصاد لم يكن له اصول يقوم عليها في العصور القديمة والوسطى، وانما كان هذا العلم بدائياً ويرتكز على الظواهر الاقتصادية التي كانت تستوقف نظر المفكرين كتقسيم العمل وتوظيف النقود وتقنين الملكية وتوزيع الثروات[7].

كما يبحث علم المالية في كيفية اشباع الحاجات العامة عن طريق الموارد العامة، فالمالية العامة ذات شقين، الأولى الحاجات العامة أي حاجات المجتمع والثانية الموارد العامة باعتبارها وسيلة اشباع الحاجات العامة، ويتدخل الفن الاقتصادي في استغلال الموارد وترتيب أهميتها وأولويتها[8].

لقد فرض الاسلام على كل مسلم أن يجعل لله حقاً في ماله، سواء كان ذلك زروعاً، أو حيواناً من ابل أو بقر أو غنم أو عروض تجارة، أو ذهباً أو فضة، أو مالاً مقوماً من أي نوع، بشرط ان يفيض عن حاجة المسلم من النفقة عليه وعلى عياله ومن تجب عليه نفقتهم، والا يكون مطالباً به في دين أو غيره[9].

وقد حدد وجوه صرف هذه الأموال التي تجتمع لدى بيت المال، وجعل مصارفها الفقراء والمساكين ومن انقطعت بهم السبل، ومن أغرقهم دين لم يكن مسبباً عن معصية

الله، وغيرهم مما هو ثابت ومعروف[10]. لقد طالب الله سبحانه وتعالى المسلمين بدفع الزكاة في مواضع كثيرة، ولم ترد آية في القرآن تدعو المسلمين الى اقامة الصلاة الا مقرونة بالزكاة، فالزكاة والصلاة في الاسلام ركنان أساسيان ودعامتان متينتان بني عليهما الاسلام.

ان المادية لاتتغلغل بين صفوف المسلمين لأن الدين الاسلامي يكفل للمسلمين التساند الاجتماعي، ولأن واجباً محتوماً على كل فرد منهم أن يأخذ بيد أخيه، وأن يقف حاجزاً بينه وبين الحاجة وما تستدعيه ضرورات الحياة[11]. فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾. كما قال في كتابه الكريم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، كما قال ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾.

لقد ضمن الاقتصاد الاسلامي للفرد الملكية الفردية، فيمكن لكل فرد أن يقتني من المال ماتمكنه من انشائه السبل المشروعة ومصالح الجماعة، وليس عليه وراء ذلك الا أن يؤدي الفرض، وفي كل حالة يستطيع أن يتصرف في هذه الأموال مما يراه وتبقى بعده تركته لورثته، في حدود القوانين الاسلامية التي جاءت في نصوص القرآن في مواضع كثيرة منه.

تنبع مبادئ الاقتصاد الاسلامي من مبادئ الاسلام الذي دعا جميع المسلمين الى التطوع بالانفاق وشجعهم على التبرع لأعمال الخير قال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾. ونهاهم في كثير من المواقف عن الافراط والتفريط، أي أنه نهى عن الاسراف في

نفس الوقت الذي نهى فيه عن التقتير قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾.

ان احترام الملكية الفردية في الاقتصاد الاسلامي ووضع القواعد العامة للمواريث، هو أكبر الدوافع التي تحفز الممولين الى الاستثمار والنشاط في الانتاج، ويدعو الى السهر على المصالح وبذل الجهود القوية في التوسع في النشاط الاقتصادي، كما أنه في نفس الوقت يحمي هذه الأموال من أن تعبث بها يد التبذير[12]، فعندما يرى الفرد أن أمواله التي بذل في جمعها صحته وجهده ووقته سوف تؤول الى جهة ما لاينتفع بها بنوه بطريق مباشر، فليس هناك مايحفزه على ادخارها ويدفعه الى المحافظة عليها، ولايمكن أن نقول أن قواعد التكافل الاجتماعي قد تغني عن ذلك، لأن الطبيعة البشرية هي التي تدفع الآباء الى المحافظة على بنيهم وجمع الأموال في سبيلهم[13].

كذلك جعل منع الزكاة اثم ديني واجتماعي خطير، حيث شن الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ حرب شعواء على مانعيها[14]. والأموال المزكاة ضربان ظاهرة وباطنة، فالظاهرة مالايمكن اخفاؤه كالزرع والثمار والمواشي والباطنة ماأمكن اخفاؤه من الذهب والفضة وعروض التجارة[15]. ويتحدث علماء الاقتصاد عن اعادة توزيع الدخل القومي عن طريق رفع انفاق الطبقات ذات الدخل المنخفض، وارتفاع القوى الشرائية للطبقات ذات الدخل المنخفض لمواجهة أعباء الحياة وارتفاع الأسعار، وتمويل القوى الشرائية من الطبقات ذات الدخل الأعلى الى ذوات الدخل الأدنى من طريق فرض الضرائب على الطبقات العليا واتاحة الخدمات للطبقات الدنيا[16].

لقد أوجد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الضريبة ولم يكن لها وجود أيام الرسول ﷺ والخليفة أبو بكر الصديق ﷺ، لكون بداية نشأة وتكوين الدولة الاسلامية لاتسمح بوجود هذه الضريبة، اما بعد ذلك وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالضبط وفي أبان

الفتوحات الكثيرة واتساع الدولة الاسلامية ظهرت الضريبة، وكانت مورداً من موارد الدولة المالية، فقد فرضها عمر بن الخطاب ﷺ وقيدها بقيود تتفق مع عدالة الاسلام، فجعلها متنوعة المقادير، تختلف باختلاف المكلفين[17].

فكانت الضريبة على المسلمين ربع العشر وعلى الذميين نصف العشر وعلى الحربيين العشر، وقد كانت هذه الضريبة تخفض أو ترفع حسب حاجة البلاد لها، فمثلاً أصدر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حين دخوله الحجاز أوامره الى عماله بأن يأخذوا من الحربيين نصف العشر من الزيت والحبوب، وباعفائهم أحياناً. ثم فرضت ضريبة على الأرض وغيرها من أنواع الملكية[18]. ولم تكن الدولة الاسلامية أول دولة وضعت الخراج على رعاياها، فقد عرف منذ عهد النبي يوسف عليه السلام، حيث جاع المصريين أثناء القحط فباعوا عليه كل ما اقتنوه من ذهب وفضة وماشية ولم يبق لهم الا الأرض فباعوه اياها بالخبز، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الأرض ملكاً للحاكم يملك رقبتها ويملك الأهالي منفعتها على شرط تسديد الخراج[19].

هوامش ومصادر الفصل الخامس :

1. د. غريب محمد سيد أحمد، الاقتصاد الاسلامي، دراسة في علم الاجتماع الاقتصادي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1981، ص 130.

2. محمود محمد بابلي، الاقتصاد وفي ضوء الشريعة الاسلامية، مطبعة المدينة، الرياض، 1976، ص 56.

3. يحاول من تأثر بالعقلية الأجنبية أن يقرب الاقتصاد الاسلامي لأحد النظامين الاقتصاديين العالميين، الرأسمالي الشيوعي.

4. د. غريب محمد سيد أحمد، مصدر سابق، ص 131.

5. محمود محمد بابلي، مصدر سابق، ص 55.

6. نفس المصدر السابق، ص ص 32 - 34.

7. المصدر السابق، ص 35.

8. د. غريب محمد سيد أحمد، مصدر سابق، ص 132.

9. وقد يبلغ ذلك الحق عشر المال (10٪).

10. د. محمد عبد المنعم خفاجي، الاسلام ونظريته الاقتصادية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 50.

11. لقد كفل الاسلام التساند الاجتماعي للمسلمين ومايقيهم شر الحاجة ويدفع عنهم مصاعب الأيام، فنرى المسلم مريضاً أن يكون قريباً من ربه، بأسهل وسيلة لذلك لأن الله تعالى يسر على عباده هذه التكاليف ولم يحملهم شيئاً فوق طاقتهم بل راعى

سبحانه وتعالى الرأفة بعباده فقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾.

12. وقال تعالى أيضاً في كتابه الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) ﴾.

13. لقد احترم القرآن الملكية الفردية في حدود مصالح الجماعة وصانها بقواعد وحدود لاتجعلها عرضة للتلف ولا للضياع ونظم انتقالها الى الأبناء والمستحقين، ففي قواعد المواريث وتحديد الأنصبة فيما تركه الوالدان والأقربون قل منه أو كثر، قال تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) ﴾ كما قال تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾

14. د. خفاجي، مصدر سابق، ص 53.

15. ابن الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1973، ص 113.

16. M. L. Seth , The ory and Practice of Economic Planning , S, Chand Co. New Delhi , 1969 ; PP. 59 - 62.

17. بدوي عبد اللطيف عوض، النظام المالي الاسلامي المقارن، المجلس الأعلى وليس لوالي الصدقات نظر في زكاة المال الباطن، وأربابه أحق باخراج زكاته منه الا أن يبذلها ارباح الأموال طوعاً فيقبلها منهم ويكون في تفريقها عوناً لهم، ونظرة المختص بزكاة الأموال الظاهرة ان يأمر أرباب الأموال بدفعها اليه. وللمالك أن يدفع الى كل واحد منهم وله ان يقتصر على صنف واحد، ولايجوز أن يدفع الزكاة

الى ذمي، ولايبني بها مسجداً، ولايكفن بها ميت، ولايشتري بها رقبة تعتق ولاتدفع الى غني، ولايدفع المزكي زكاته الى أبيه وجده وان علا، ولا الى ولده وولد ولده وأن سفل، ولا الى امرأته، ولاتدفع المرأة الى زوجها عند أبي حنيفة، وقال ابو يوسف (ومحمد) تدفع اليه، انظر أبو الحسن القدوري الحنفي، الكتاب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 1963، ص 155.

18. أ. هـ. هانسون، المشروع العام والتنمية الاقتصادية، ترجمة محمد أمين ابراهيم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1963، ص 147.

19. غريب محمد سيد أحمد، مصدر سابق، ص134-137.

الفصل السادس

تطبيق الاقتصاد الاسلامي

الفصل السادس

تطبيق الاقتصاد الاسلامي

مقدمة الفصل السادس:

من عظيم رحمة الله تعالى بنا، وفيض كرمه علينا، واحسانه الينا، ان شرع لنا من الدين مافيه من صلاح البشرية وسعادتها في المعاش والمعاد. ولما كان الضعف البشري والاحتياج الفطري للغير عند بني الانسان يقضيان بان يتعامل الانسان مع اخيه الانسان في مجالات شتى من الحياة، فقد اولت شريعة الاسلام تنظيم العلاقات بين الناس جل اهتمامها كي تقوم على قواعد مستقرة، واسس ثابتة تكفل تحقيق ما نشدته الحكمة الالهية، من تعارف البشر وتحابهم، واستئصال شأفة الخلاف والنزاع والعداوة والبغضاء وخير دليل على ذلك رسم اطار علاقات الناس فيما بينهم بحيث يشغل حيزاً يفوق كثيراً ذلك الذي تشغله العبادات التي تنظم علاقة الانسان بخالقه سبحانه، سواء في ايات القرآن او في الهدي النبوي الشريف او في كتب الفقه الاسلامي.

من ناحية نرى ان صندوق النقد الدولي قرر انشاء مجلس للخدمات المالية الاسلامية والاخذ بعين الاعتبار بتعاليم القرآن الكريم في المعاملات المالية الدولية ان. المؤسسة الجديدة سيكون من بين مهامها الاساسية تكييف القوانين والمقاييس الدولية في مجال المالية مع مبادئ الشريعة الاسلامية التي تحرم مثلاً الارباح على القروض وتعتبرها ربا، هذا ما صرح به مسؤول كبير في صندوق النقد الدولي بمدينة "واشنطن" في الولايات المتحدة ومن المنتظر ان يكون المقر العام لمجلس الخدمات المالية الاسلامية بمدينة "كوالالمبور" بدولة ماليزيا[1].

اهمية الفصل السادس :

بعد ان حيل بيننا وبين الجهاد بالنفس فعلينا بالجهاد الاقتصادي، ومن اسلحته التضحية بالمال لتمويل شراء السلاح، وللانفاق منه على شؤون الجهاد الاخرى، ومن اسلحته كذلك المقاطعة الاقتصادية التي تهدف في المقام الاول الى اضعاف اقتصاد اعداء الامة جميعاً، كما تستهدف تقوية اقتصاد الامة العربية والاسلامية حتى لاتكون عالة على اعدائها، ويضاف الى ذلك الاضرار بالمصالح الاقتصادية للعدو بكافة الوسائل وتدميرها، وتحريض العاملين في كل مكان على عدم التعاون معه.

واذا كان الكافرون والمشركون واليهود ينفقون اموالهم للاعتداء على الاسلام، فعلى المسلمين ان ينفقوا اموالهم في سبيل الله لحماية المسلمين، وقد اشار الله الى ذلك في سورة الانفال فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (سورة الانفال، آية:36) وحث الله المؤمنين على الانفاق في سبيل الله، فقال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة، آية:261).

مشكلة الفصل السادس :

تخضع عملية بناء الامن الاقتصادي الاسلامي اليوم لاشكاليات داخلية وخارجية وباتت تخضع لضغوط المتغيرات الدولية والاسلامية التي تركت اثاراً واسعة النطاق على حركة الاقتصاد الاسلامي المتجه نحو الداخل والمتجه نحو الخارج وقد رافق تلك التطورات والتغييرات توجه الاقتصادات الاسلامية لتطبيق برامج وسياسات الانفاق

الانكشافي وسياسات التكيف الاقتصادي التي ادت الى مزيد من ارهاق الاقتصادات الاسلامية وتكبدها تكاليف اقتصادية واجتماعية باهظة، وتعميق الاختلالات الهيكلية وما رافق ذلك من انكشاف خطير وتدهور في معدلات الاداء الاقتصادي وزيادة درجة تأثرها بالمتغيرات الدولية، وبكونها اصبحت من اكثر الاقتصادات النامية اندماجاً في منظومة الاقتصاد الرأسمالي العالمي، ولابد من الانطلاق عند بحث الامن الاقتصادي الاسلامي من مسلمة اساسية وهي ان الامة الاسلامية تمتلك الامكانات الاسلامية والقاعدة الموردية والثروة المالية لكي تتجاوز مخلفات وازمة الحاضر وتحقق تطلعات المستقبل، واذا كانت البلاد الاسلامية لاتفتقر الى الموارد الرأسمالية والطبيعية والبشرية الكافية لدفع عجلة النمو ورفع معدلاتها الى مستويات اعلى بكثير مما هي عليه فانها تفتقر الى التنسيق الكافي لتحقيق الاستغلال الامثل لتلك الموارد وتطوير مفاهيم انمائية بعيدة عن الرؤية الضبابية وبعيدة عن المثاليات. ان تحقيق الامن الاقتصادي الاسلامي بحاجة الى رؤية اسلامية شمولية لمستقبل حركة الاقتصاد الاسلامي لتجاوز تناقضاته وبحاجة الى رؤية اسلامية شمولية لمستقبل الاقتصاد الاسلامي على وفق ارادة اسلامية حاسمة وجهود تنموية مشتركة. ان نقطة الانطلاق الرئيسية في مواجهة مختلف التحديات الداخلية والخارجية التي تفوق تحقيق الامن الاقتصادي الاسلامي، يكمن في التحول من اليات التنمية عبر التكامل الدولي الى اليات التنمية الاسلامية البينية، من خلال احداث مزيد من الترابط العضوي بين الاقتصادات الاسلامية وبناء هياكل متكاملة قومياً وقطرياً، وبناء وتوطين قاعدة اسلامية تكنلوجية تكون اساساً لتصنيع الصناعة وتحقيق اكبر قدر من التنمية العربية المعتمدة على الذات.

انطلاقاً مما جاء في اعلاه لابد من صحوة اقتصادية اسلامية لازالة الرؤى الضبابية التي تكتنف الفكر التنموي الاسلامي وبما يؤدي الى تحديد المنهج الاسلامي التنموي

المستقل وتحديد الاولويات التي من شأنها تمكين الاقتصاد الاسلامي من مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين والتي تأتي في مقدمتها تحقيق الامن الاقتصادي الاسلامي.

ان واضعي الاسس الاقتصادية الاسلامية مطالبون بحل الاشكاليات التي تواجه بناء الامن الاقتصادي الاسلامي تلك الاشكاليات التي تعمق من تكامل الاقتصادات الاسلامية مع الاقتصاد العالمي عبر اليات التكامل الدولي وتقلص من امكانات التكامل الاقتصادي الاسلامي البيني، ومطالبون كذلك بتكريس كل الامكانات الاسلامية لنجاح الاقتصاد الاسلامي المستقل الكفيل بصيانة الامن الاقتصادي الاسلامي، ومطالبون بتشخيص القوى الفاعلة التي شكلت مسيرة الاقتصاد الاسلامي الماضي والتي ستشكل عناصر رئيسية في المستقبل، خاصة وان الاقتصاد الاسلامي يتعرض مع تعمق تحولات نهاية القرن العشرين لشتى اشكاليات الانفتاح الانكشافي، ولانواع متعددة من التحديات في ضوء التوجه المتزايد لبعض الاقتصادات الاسلامية لتبني المشاريع الكونية والاقليمية اللاقومية[2].

بذل المال تجارة مع الله لن تبور:

ان بذل المال فريضة شرعية، وضرورة عقائدية، ولقد جاء مقترنا بالنفس في العديد من الايات ومنها قول الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[3]، وقوله تعالى في سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]"(سورة الصف، آية:10-13) ويؤكد رسول الله محمد ﷺ على الجهاد بالمال بقوله: من جهز غازياً في

سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في اهله بخير فقد غزا[5]. كما حذر النبي ﷺ المتخاذلين المترددين عن التضحية من اجل نصرة دين الله بالعذاب الشديد فقال ﷺ: ومن لم يغز ولم يجهز غازياً او يخلف غازياً في اهله بخير اصابه الله تعالى بقارعة قبل يوم القيامة[6]. ليس الجهاد الاقتصادي شعاراً رناناً ولاخطبة عصماء ولامتاجرة بمصطلح الجهاد، بل هو جهاد عملي ويجب تنفيذه ليكون واقعاً ملموساً فعالاً يشفي به الله صدور قوم مؤمنين ويغيض به اسرائيل ومن على شاكلتها من اعداء الاسلام والمسلمين.

كيفية تحقيق المنفعة وتعظيم الاشباع:

أولاً- الاستشعار التام بانه وقفة مع النفس البشرية التي تحب المال، واختبارها: هل تضحي بهذا المال من اجل دين الله الذي هو اغلى ما عند المسلم ؟هل تضحي بالمال الذي تحبه من اجل الله الذي نحبه ؟انها وقفة مع النفس: ماذا قدمت لغد يوم يسألها الله لماذا لم تغز ؟ولم تجهز غازياً؟[7]

ثانياً- الاستشعار التام بانه نصرة لاخواننا المجاهدين في سبيل الله الذين يقدمون انفسهم رخيصة من اجل جعل كلمة الله هي العليا وكلمة الكافرين هي السفلى، فهو فريضة شرعية وواجب عقائدي ووطني. فاذا كان الاسرائيليون والامريكان والملاحدة بعضهم اولياء بعض، فماذا يجب علينا في المقابل؟ يقول الله تعالى في هذا المقام: والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير[8]. وقد طلب الله من المؤمنين ان يكون بعضهم اولياء بعض في قوله تعالى: الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض[9].

ثالثاًـ الاعتقاد بان الجهاد الاقتصادي هو اضعف الايمان لمن لايستطيع الجهاد بالنفس ففي حالة عدم استطاعة الشباب والرجال والنساء الذهاب للجهاد مع اخوانهم فان اضعف الايمان هو الجهاد بالمال والمقاطعة الاقتصادية والاضرار بمصالح الاعداء وفي مقدمتهم اسرائيل وامريكا ومن على شاكلتهم، كما انه فرصة لمن يريد ان يأخذ ثواب المجاهدين حتى ولو كان في بيته[10].

رابعاًـ الايمان بان اخواننا المجاهدون في فلسطين وغيرهم يضحون بكل شيء من اجل حماية العقيدة، فالصراع بيننا وبين اليهود صراع ديني، فاخواننا في فلسطين يقتلون من اجل تحرير الارض الاسلامية وتطهير المسجد الاقصى، وليس للعنصرية والتفاخر. فاذا لم نساعدهم بما نستطيع فقد خنا الله ورسوله[11].

خامساًـ يعتبر الجهاد الاقتصادي من قبيل الواجب الديني الوطني، فما لايتم الواجب الابه فهو واجب، وفي هذا المقام يقول الدكتور يوسف القرضاوي: من الواجب شرعاً على المسلمين ان يظلوا مقاطعين لاسرائيل ولمن يمدونها بالمال والسلاح، وفي مقدمة هؤلاء الولايات المتحدة الامريكية، لان كل درهم او دينار يصل اليهم يتحول في النهاية الى رصاصة في صدر اخواننا في فلسطين، والشعار المرفوع هو: كل قرش يدفع لشراء سلعة صنعت في اسرائيل او امريكا يرتد رصاصة في جسد طفل مسلم[12].

سادساًـ الايمان بان تحرير ارض فلسطين هو تحرير لانفسنا وحماية لاوطاننا وتحرير المسجد الاقصى هو تحرير لمقدساتنا، وان التخاذل والتفريط واليأس والخنوع خيانة كبرى، ولايجوز ان يخاف المسلم الا الله وحده، وهذا من صفات النفس المؤمنة التي وصفها الله بقوله: الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم

فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذوفضل عظيم[13].

سابعاً-الايمان بان النصر على الاعداء ليس بكثرة العدة والعدد فقط بل القيم الايمانية، وصدق الله تعالى القائل :كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين[14].

مبادى تمويل التنمية الاقتصادية الاسلامية :

1. **نظام التمويل بالمشاركة**:انبثق هذا النظام المالي من النظام الاخلاقي الاسلامي المبني على انشاء نظام اجتماعي اساسه المساواة في الحقوق والواجبات، وقد اعطى بدوره نظاماً اقتصادياً اسلامياً مبنياً على المشاركة في الانتاج عن طريق اقتسام الارباح او الخسائر.وكان من الطبيعي للمؤسسات الاقتصادية الاسلامية ان تقوم وفق مبدأ المشاركة، بعد ان اقرت الشريعة الاسلامية تحريم مبدأ الفردية من خلال تحريم المعاملات الربوية[15]، وقد ادى هذا التباين الحاصل بين التحريم القطعي للمعاملات الربوية من جهة، والحاجة الملحة للمال من جهة ثانية الى جعل الباحثين المسلمين يستلهمون من تقنيات نظم المضاربة الاسلامية التي تجمع بين الرأسمال وعمل نظام تمويل اقتصادي معاصر مبني على المشاركة، ومن ثم جعلوه بديلاً للنظام التقليدي المبني على التمويل بالفائدة وابتكروا من اجل ذلك مؤسسة مالية تحمل اسم المصرف الاسلامي، تجاوزت في حدود صلاحياتها حدود الوساطة المالية لتصبح بالاضافة الى ذلك شريكاً مالياً او شريكاً استثمارياً اوشريكاً تجارياً من خلال استثماراتها المباشرة، او مشاركتها المالية اووساطتها المالية في مجال الاستثمار، وبذلك تجمع مؤسسة واحدة خبرة المصرف التقليدي وخبرة الهندسة المالية والخبرة

التقنية في المجالات الاقتصادية التي يختار التخصص فيها والخبرة الاجتماعية من حيث ادارتها لصناديق اجتماعية مثل صندوق الزكاة اوصندوق الوق او صندوق الحج[16].

2. **الوظيفة التربوية:** تساهم المصارف الاسلامية في تقليص الهوة داخل المجتمعات الاسلامية بين السلوك الاجتماعي والسلوك الاقتصادي عن طريق تخليق الحياة الاقتصادية، وقد شاع داخل الاوساط الاقتصادية الغربية ان السلوك الاقتصادي يخضع كما تصوره النظريات الاقتصادية للمعايير العلمية، ولاعلاقة لها بالاخلاق، وهو المبدأ الغربي الذي جعل الانسان الاقتصادي في عزلة عن باقي عناصره الاخرى الروحية[17].

وتنقسم مصادر التمويل الاسلامية الى نوعين:

أ. **شركات الاستثمار:** ويأخذ هذا النوع شكل شركات قابضة(Companies HOLDING)، وتقوم هذه الشركات بتمويل المشاريع الاستثمارية ذات الحجم الكبير من اموال المساهمين، مثل شركات الاستثمار التابعة لمجموعة "البركة" والشركات التابعة لدار المال الاسلامية، والشركات الاسلامية المحدودة للخدمات الاسلامية في سويسرا، وشركات الاستثمار المزمع انشاؤها من طرف المصرف الاسلامي للتنمية في المغرب والبوسنة والهرسك وسوريا[18].

ب. **شركات توظيف المال:** وتتميز عن الاولى من حيث تعاملها بالاقساط الصغيرة على اجال قصيرة، وانفتاحها على اعداد هائلة من العملاء صغار الحجم. وتذكر من جملتها مؤسسة الهلال في انجلترا والحجاز والريان والسعد في مصر خلال

الثمانينات، وقد عرفت بعض هذه المؤسسات ازمات كبيرة في مصر استغلت دعائياً لمحاربة الانتشار السريع للمصارف الاسلامية في هذا البلد[19].

عرض تقويمي لمصادرتمويل التنمية الاسلامية:

بدأت تجربة المصارف الاسلامية في مصر سنة 1963 من خلال انشاء صناديق ادخار دلتا النيل، وقادت هذه التجربة الى انشاء اول مصرف اسلامي منظم بشكل محكم في دبي سنة 1975الى ان تحققت حالياً اسلامية النظم المصرفية في ثلاث دول هي ايران، باكستان، والسودان، بينما عرفت 21دولة منها 10 دول عربية نظاماً مزدوجاً من مجموع46 دولة اسلامية، تتعايش فيها المصارف الاسلامية مع المصارف التجارية.

لقد تخطت هذه المصارف الدول الاسلامية لتنتشر في شكل شركات تمويل بالمساهمة في ثمانية دول غير اسلامية موزعة على 4قارات هي اسيا وافريقيا واوروبا وامريكا، حيث اصبحت متواجدة في بريطانيا والمانيا والدنمارك ولكسمبورج والنمسا وسويسرا وافريقيا الجنوبية وهولندا، وهكذا وصل عددها سنة 1997الى 166 مؤسسة مالية اسلامية، وصارت 186حالياً، منتشرة في 28دولة برأسمال يفوق 23مليار دولار وباستثمار يبلغ 100مليار[20] بل ان سرعة انتشار المعاملات المصرفية الاسلامية اثار اهتمام 3مؤسسات مصرفية دولية فتحت حسابات لزبائنها توظف وفق المبادى الاسلامية وهي L, union Des I, ABN AMRO Bank وCity Bank وBanques Suisses في هولندا[21].

وهكذا يمكن الاقرار بان المصارف الاسلامية اجتازت مرحلة التجربة، ودخلت مرحلة النضج من خلال توسيع قاعدة المعاملات المصرفية اللاربوية بفضل الجهد المتواصل الذي يقوم به الاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية على ذلك المستوى التنظير، وكذلك على مستوى التوسع مع ضرورة التحكم في عناصر المخاطرة[22].

العبء الذي تتحمله مصادر التمويل الاسلامية :

ان خدمات المصارف الاسلامية متعددة يمكن تصنيفها على النحو التالي:

اولاً : الخدمات الاستثمارية:

تتبنى مبدأ المشاركة بالنسبة للمصرف الاسلامي، وهو ما يعني صلاحية الاستثمار المباشر او الاستثمار عن طريق المساهمة، والاستثمار المباشر يخص بشكل اساسي توظيفات مالية (اسهما على الخصوص) او عقارية الاانه يبقى ضعيفاً مقارنة بمساهمات المصارف الاسلامية في مجال الاستثمار عن طريق المشاركة والمرابحة والمضاربة والمزارعة وغيرها، وادخلت اساليب حديثة على العقود التقليدية مثل المشاركة المتناقصة والايجار والاقتناء، وهو ما سمح بتوسع مجال الاستثمارات المصرفية وتكييفها مع متطلبات السوق.

ثانياً الخدمات الاجتماعية:

وبموازرة ذلك تقوم المصارف الاسلامية بخدمات اجتماعية ذات طابع خيري محض، وبخدمات اجتماعية اقتصادية مربحة.فالاولى أي الخيرية :تتمثل اساساً في زكاة المصارف واوقافها الخيرية وقروضها الحسنة وهي وان كانت حساباتها متوفرة تبقى اهميتها قليلة مقارنة بالخدمات الاجتماعية ذات الطابع الاقتصادي.والنوع الثاني أي المؤسسات الاقتصادية تبرز من خلال ادارة اموال الزكاة ذلك ان العديد من المصارف الاسلامية تدير صناديق الزكاة مثل مصرف فيصل المصري الذي يدير مليار دولار من اموال الزكاة، ومصرف فيصل السوداني والمصرف الاسلامي الكويتي وتستعمل هذه المصارف عادة اساليب حديثة لادارة هذه الاموال، واصبح شائعاً توجيه هذه الاموال لبناء مؤسسات اجتماعية لمصارف الزكاة المنصوص عليها شرعاً[23]، كما ان بعض المصارف الاسلامية تقوم

بفتح حسابات توفير للحج، تحتاج بدورها الى ادارة لتوظيف هذه الاموال وتمكين المودعين من ارباح هذه التوظيفات.

ثالثاً الخدمات المصرفية التجارية العادية:

الى جانب الخدمات الاقتصادية والاجتماعية تقوم المصارف اسلامية بالعديد من الخدمات التي تقوم بها المصارف التجارية مثل :

- فتح حسابات (صناديق الايداع والسحب والالية، واصدار البطاقات الالكترونية....الخ)-اصدار وبيع الشيكات بالعملات الوطنية والدولية، واصدارالشيكات السياحية.-القيام بعمليات صرف العملة.-الشراء والبيع الفوري او الاجل للذهب والفضة والمعادن الثمينة الاخرى.
- انشاء الشركات وبيع الاسهم.-تقديم الخدمات المتعلقة بشراء وادماج الشركات.
- الوساطة في عمليات المقايضة.-تسيير العقار لحساب الزبائن.كراء الخزانات....الخ.

المبادى واسس عمل المصارف[24] الاسلامية :

المبدأ الاول :التحريم القطعي الواضح للربا:حيث ان فعالية المعاملات الربوية لاتسقط المسؤولية عن الانسان المسلم كفرد وكامة وكدولة، ولاتبيح له التنازل عن حدود الله بحجة استئناس العالم كله بها وتبنيها، وهذا التحريم اساسه تحريم المعاملات المبنية على الغرر، أي مبادلة مال قار(أي قرض محدد ونسبة فائدة محددة) بمال متغير (أي قرض محدد

ونسبة ربح مجهولة).فالاسلام لايقر الابمعاملة القار بالقار او المتغير بالمتغير، أي اقتسام المتغير من الربح او المتغير بالخسارة.

والبعد الثاني لهذا التحريم هو بعد خلقي واجتماعي، حيث ان عملية التعاقدية التي تنفي اساس اقتسام الربح والخسارة تعني حتماً وجود تمانع بين الناس أي :تأسيس المعاملات على فردية المصالح، وبالتالي نفي مبدأ التكافل وتقاسم المصلحة لتحقيق بناء الامة الاسلامية[25].

المبدأ الثاني :لافارق بين الربا والفائدة اسلامياً: فالشريعة الاسلامية لاتفرق بين الربا والفائدة كما هو الشأن بالنسبة للفكر الليبرالي، أي بين نسبة فائدة عالية ونسبة فائدة معتدلة، وذلك قياساً على المبدأ الشرعي الذي يؤكد ان ماحرم قليله فكثيره حرام.حتى لايفتح باب التحاليل على الحدود الاسلامية.فالممنوع هو مبدأ الغرر في المعاملات الربوية وليس مستواه والمحارب هو مبدأ التمانع في المعاملة وليس مستواه. وبالتالي فليس من مهمة المبدأ ان يتكيف مع الواقع، بل على الواقع ان يتكيف مع المبدأ فالمبدأ ثابت بثبوت خصائص الانسان وغرائزه ونزوعه الى الخير والشر وبثبوت القيم الانسانية التي تحكم سلوكه الايجابي على المستوى الفردي والجماعي، والتي لاتخضع الى التقادم وبالتالي الى عملية الاجتهاد[26].

تفعيل التنمية الاقتصادية الاسلامية :

ان المتوقع من طبيعة العمل المصرفي الاسلامي مساهمة فعالة في مجال التنمية من خلال التأثيرات التالية:

اولاـالمصارف الاسلامية اداة رئيسية لتوسيع قاعدة الادخار الوطني وخصوصاً الجزء الذي لاتطاله المصارف الاسلامية لاسباب دينية..فعلاوة على ذلك كون نسبة كبيرة

من المسلمين قدرهم الدكتور احمد النجار، وهو احد مؤسسي المصارف الاسلامية بنسبة 90٪ من الشعوب الاسلامية لايتعامل اصلاً مع المصارف لاسباب مختلفة، منها بلا شك الامية مما يترك ارضية خصبة قابلة للاستغلال كما..نجد كذلك ان بعض الناس يرفضون مبدئياً التعامل مع المصارف الربوية[27].

ثانيا-ان تكون المصارف الاسلامية اداة لتوسيع قاعدة الاستثمار لنفس السبب فقد دلت دراسة قام بها مكتب البحث (المجموعة الدولية للمال والاعمال BF) في الغرب حديثاً ان 6٪ من اصحاب مؤسسات المقاولات يرفضون القروض الربوية رغم حاجتهم لها، وانهم مستعدون لاستخدام التمويلات المبنية على المشاركة، وقد ساهمت اسلمة المصارف في بعض الدول الاسلامية في تحريم الادخار الاستثماري.ففي السودان مثلاً تضاعفت الودائع الاسلامية 20 مرة فيما بين غضون خمس سنوات من بدء تطبيق التجربة في الوقت الذي ارتفعت فيه الودائع تحت الطلب بشكل بطيء[28].

ثالثا-تساهم المصارف الاسلامية مبدئياً في مقاومة التضخم وبالتالي استقرار الاقتصاد الذي يعتبر اساس التنمية، ذلك ان نمو الكتلة النقدية في الاقتصاد القومي الذي يمكن ان يتحول الى تضخم مرتبط في نظام التمويل بالمشاركة بنسبة الارباح من الودائع الاستثمارية، وليس مرتبطاً بنسبة الفوائد المترتبة على القروض، أي هو مرتبط بالانتاج الحقيقي وليس بانتاج الاموال عن طريق الفوائد المصرفية.وهذا ماجعل الخبراء الاجانب ومنهم خبراء المصرف الدولي يتعرفون بطابع الاستقرار المميز للنظام المالي الاسلامي، هذا بالاضافة الى ان الخسائر المحتملة المترتبة على الانتاج المنظم الربوية تتحول الى فوائد مصرفية، وهي بالاضافة الى ان الخسائر يتحملها المستهلك عن طريق رفع الاسعار بينما توزع في النظام المصرفي الاسلامي بين 3 أطراف مساهمة وهي :المستثمر والمصرف والمودع[29].

رابعاًـ خصوصية المصارف الاسلامية كذلك من خلال امكانيات التمويل التي تغطيها عادة المصارف التجارية، خاصة في المجالات التي تحمل طابع المخاطرة مثل تمويل المشاريع الفلاحية(30).

خامساًـ الدور التنموي للمصارف الاسلامية يظهر كذلك من خلال الخدمات الاجتماعية المتعددة التي تقوم بها هذه المؤسسات والتي يمكن تصنيفها الى مايأتي :

1. خدمات اجتماعية مجانية في شكل :قروض حسنة، ومساعدات خيرية ممولة من زكاة المصارف نفسها، او من تخصيصها لاوقاف مالية في وجه من وجوه الخير.
2. خدمات اجتماعية ذات طابع اقتصادي عندما يكون مصدرها صناديق مالية مهمة تقتضي توظيف هذه الاموال في مشاريع لها مردودية اقتصادية.

وبذلك تساهم المصارف الاسلامية، وهي من المؤسسات المالية القلائل المؤهلة لذلك في جباية الزكاة وتوظيف اموالها(31).

الزكاة وعدالة توزيع الدخل القومي :

يشترط في المال الذي تجب فيه الزكاة ان يكون مملوكاً ملكاً تاماً وان يكون المال تحقيقاً او تقديراً، بالفعل او بالقوة كما يشترط ان يبلغ المال مقداراً محدداً تفصيلاً في كل مال من اموال الزكاة وهو النصاب، الذي يعتبر من بلغه في ادنى مراتب الغنى، لان الزكاة تفرض على الاغنياء(32).

ويشترط ان يمر على ملك المال حولاً هجرياً أي اثنا عشر شهراً، وهذا الشرط انما هو بالنسبة للانعام والنقود وعروض التجارة التي يتم اخراج الزكاة فيها عن رأس المال ونمائه،

وتعتبر السنة فيها مدة معقولة لتحقق نماء راس المال وربح التجارة، كما تلد الماشية وتكبر الصغار. اما الاموال التي لاتجب الزكاة في اصلها وانما تجب على الانتاج والدخل فلا يشترط لها الحول، ويكون وجوبها وقت تحقق النماء، وذلك كما في الزروع والثمار بالنسبة للارض والغسل بالنسبة للنحل، والالبان بالنسبة للماشية، والبيض بالنسبة للدجاج، والحرير بالنسبة لدودة القز، وكما في المعادن والركاز والثروة البحرية[33].

والى جانب هذه الاموال التقليدية اجمع علماء المسلمين وفقهائهم على وجوب الزكاة في كل انواع المال النامي المستحدثة من مختلف الاموال المغلة، ومن انواع القيم المنقولة التي تدر دخولاً وفيرة، ومن الدخول المتحصلة من العمل بانواعه..ومن ذلك مختلف انواع المستغلات التي لاتتخذ للتجارة وانما تتخذ للنماء فتغل لاصحابها كسباً من خلال تأجيرها اوبيع مايتصل من انتاجها مثل العقارات التي للكراء والمصانع التي تعد للانتاج والسيارات والطائرات والسفن التي تنقل الركاب والبضائع والامتعة. كما تجب الزكاة في كل انواع المال المستفاد الذي لايكون نماء لمال عند المزكي، بل استفادة بسبب مستقل كالهبة وكسب العمل والمهن الحرة وانواع الاوراق المالية كالاسهم التي تتخذ للاتجار او للاستثمار والافادة من عائدها السنوي[34]، بينما ينخفض هذا المقدار الواجب على الى ربع العشر (2.5٪) في الاموال التي تفرض فيها الزكاة على كل من رأس المال والدخل لمحافظتها على راس المال وتشجيع على التنمية. ويرعى في القدر الواجب اخراجه الجهد المبذول لتحقيق النماء، ويكون المأخوذ في الزكاة من اوسط المال، مراعاة لمصلحة اخذ الزكاة ودون اجحاف بارباب الاموال[35].

الجهات التي تصرف فيها الزكاة:

في القراءن الكريم عناية خاصة ببيان الجهات التي تصرف لها وفيها الزكاة، فلم يتركها لحاكم يقسمها كما لم يدعمها لمطامع الطامعين، وانما حصرها في اصناف ثمانية دون غيرها من فئات المجتمع، هي حق لهم وليست منة من احد عليهم، لم يسقط منها سهم، وان تغير مفهوم بعضها مع تطور المجتمعات وتغير احوالها. وحرمت الزكاة على اصناف اخرى هم الاغنياء والاقوياء المكتسبون والملاحدة والكفار واولاد المزكي -وان نزلوا- ووالده -وان علوا- وزوجته وال النبي ﷺ[36].

اولا-الفقراء والمساكين: هم اول المصارف وهم المعدمون وغير القادرين على كفاية حوائجهم الاصلية ومن يعولون بعيداً عن التكاسل والتواكل وفي ذلك محاربة فعلية للفقر.

ثانيا-العاملون على الزكاة:هم الجباة والخزنة والحراس الذين يحفظونها والكتبة والحاسبون والموزعون الذين يفرقونها على اهلها، وذلك دليل على ضرورة ايجاد اداة منظمة للزكاة.

ثالثا-المؤلفة قلوبهم: لاستمالتهم الى الاسلام او تثبيتهم عليه او كف شرهم عن المسلمين او رجاء نفعهم في الدفاع عنه او نصرهم على عدوهم.

رابعا-في الرقاب: هو تحرير العبيد والاماء من نير العبودية والرق على انواعها.

خامسا- الغارمون: هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم به سواء اكان تحملهم للدين لمصلحة الغير، كما في اصلاح ذات البين -او لمصلحة انفسهم فيعطون بقدر مايغطي الدين على ان يكون في طاعة وامر مباح.. كما ذهب الفقهاء المعاصرون الى جواز اقراض

المحتاجين من سهم الغارمين قروضاً حسنة، ترد الى بيت مال الزكاة كمساهمة في محاربة الربا.

سادساً-في سبيل الله:هي الطريق الموصل الى مرضاة الخالق من العلم والعمل.ويرى جمهور العلماء ان المراد الانفاق على المعرفة في كل جهاد يراد به ان تكون كلمة الله هي العليا، سواء اكان جهاداً فكرياً او تربوياً او اقتصادياً او سياسياً كما يكون عسكرياً.

سابعاً-ابن السبيل:قال جمهور العلماء هو المسافر الذي يجتاز من بلد الى بلد وقد نفذ نفقته.وامثلة ابن السبيل التي اقرها الفقهاء المعاصرون:الطلاب والصناع والفنيون والمتفوقون الذين يحتاجون بعاث لخارج للتخصص في علم نافع، اوللتدريب على عمل منتج يعود اثره بالخير على الدين والامة. وكذلك من يجبر على مغادرة وطنه ومفارقة ماله واملاكه، ومن كان غائباً عن ماله غير قادر عليه، وان كان في بلده.

وتبين احكام موارد ومصارف الزكاة الاثر العميق الذي تضطلع به في المجتمعات التي تطبقها، فضلاً عن الاثار الاجتماعية العميقة من التقريب بين طبقات المجتمع وازالة البغض والشحناء من نفوس الفقراء في مواجهة الاغنياء[37]، كذلك تسهم الزكاة في توفير حد الكفاية لكل افراد المجتمع وتحقيق التكافل الاجتماعي بينهم، وبين جيرانهم من المسلمين، طالما كان في حصيلة الزكاة فائض عن حاجة المجتمع الذي جمعت منه[38].

وتنقسم الزكاة الى نوعين:

1-زكاة الفطر:

ترتبط زكاة الفطر بالاشخاص ولاتتعلق بالاموال.وتسمى صدقة الفطر وزكاة الصوم وزكاة رمضان وقد فرضت في السنة الثانية من الهجرة، وهي السنة التي فرض فيها صيام رمضان، وتجب زكاة الفطر على كل مسلم حر عن نفسه وعمن تلزمه نفقتهم كزوجة

واولاده وخدمة الذين يتولى امورهم ويقوم بالانفاق عليهم، ووقت ادائها هو قبل صلاة عيد الفطر، تطهيراً لصيام الصائم واغناء للمساكين والفقراء من ذل الحاجة والسؤال يوم العيد.

2-زكاة المال الشرعية:

ذكرت الزكاة الشرعية في لغة القرءان الكريم والسنة بالصدقة لدلالتها على صدق الايمان والتصديق بيوم الدين وقد تكررت كلمة الزكاة في القرءان 32 مرة، منها تسع وعشرون مرة معرفة، وقد ذكرت في ستة وعشرين موضعاً مقترنة بالصلاة في نفس الاية التي ذكرت فيها الصلاة، كما ذكرت مرة في سياق واحد مع الصلاة وان لم تكن في ايتها[39].

الزكاة للاصلاح هي حق الله المعلوم في مال المسلم يفرض على مجموع القيمة الصافية للثروة النامية والقابلة للنماء التي حال عليها الحول القمري او عند حصدها وتقع داخل النصاب المحدد وتجبى في الجزء الاكبر منها من قبل الدولة، وتنفق بواسطتها بهدف تمليك جزء معين من المال المعين الى المصارف التي عينها الله في كتابه الكريم. وقد اجمع الفقهاء المسلمون على وجوب الزكاة على كل مسلم حر مالك للنصاب ملكاً تاماً، كما ذهب جمهور الفقهاء الى وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون لتعلقها بالمال، وعدم وجوب فريضة الزكاة على غير المسلم لصفتها الدينية الواضحة[40].

ترشيد الاستهلاك:

يشيع بين الناس حديث "نحن قوم لاناكل حتى نجوع، واذا اكلنا لانشبع" فما مدى صحة هذا الحديث؟ وكيف نفهمه؟هل هو دعوة الى الزهد والتقشف؟ ام ماذا ؟وما هو الحد الادنى من الاستهلاك ؟ ومن المسؤل عن توفيره ؟وهل للاجيال القادمة حق في الموارد الحالية للمجتمع ؟لقد حث الله سبحانه وتعالى على التمتع بالطيبات التي وهبها

للانسان فقال عز وجل ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ ولكنه قيد ذلك بقوله عز وجل ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا ﴾ وقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ وقوله ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ فما هو معيار الاسراف والتبذير ؟وكيف يمكن تحديده ؟[41].

يعتبر الاستهلاك احد مكونات الدخل القومي لاي بلد، كما انه احد مؤشرات الرفاهية في المجتمع، وتصب كل دراسات سلوك المستهلك في محاولة معرفة محددات الاستهلاك، وتوازن المستهلك، كما يعتبر الاستهلاك مفهوماً منافساً للادخار، حيث يعتبر الاخير تأجيلاً للاستهلاك في الوقت الحاضر الى استهلاك مستقبلي، وبمعنى اخر على مستوى الاقتصاد الكلي هو تنازل الجيل الحالي عن جزء من الاستهلاك الحالي لصالح الاجيال القادمة، وذلك لان الدخل يمكن تقسيمه الى استهلاك اضافة الى ادخار ولابد من تحقيق موازنة معقولة بين الاثنين تؤدي الى الوصول الى مستوى الاشباع المطلوب[42].

ويمكن تقسيم الاستهلاك الى قسمين رئيسيين:

1. الاستهلاك المستقل عن مستوى الدخل التلقائي :وهو ذلك الجزء من الاستهلاك الذي يرتبط بالدخل الشخصي للمستهلك، الذي لابد ان يحصل عليه الفرد حتى وان كان دخله صفراً، وذلك اما بالسحب من مدخراته ان وجدت او بالاقتراض، باختصار فان هذا القسم يمثل الحد الادنى الضروري من الاستهلاك اللازم للحياة.
2. الاستهلاك المعتمد على مستوى الدخل :وهوذلك الجزء من الاستهلاك الذي يرتبط بدخل المستهلك فكلما زاد دخله ازدادت انواع وكميات السلع والخدمات التي يستهلكها وبالتالي فهي علاقة طردية موجبة بين الدخل والاستهلاك[43].

العوامل المؤثرة على الاستهلاك:

وتعتمد الزيادة او النقصان في مستوى الاستهلاك على ثلاثة عناصر اساسية هي

اولاً-الثروة: وتعرف بانها الفرق بين الاصول "الممتلكات" والخصوم "الالتزامات" وهي تختلف عن الدخل في كونها مفهوماً تراكمياً بينما الدخل مفهوم تدفقي (شهري-سنوي) وتعتبر الثروة ذات تأثير ايجابي على الاستهلاك، فاذا افترضنا شخصين لهما نفس المستوى من الدخل فاننا نتوقع ان الشخص صاحب الثروة الاكبر فيهما سينفق على الاستهلاك بصورة اكبر من الاخر، وابرز مثال على ثروة الافراد هو امتلاكهم لاسهم الشركات مثلاً، حيث يؤدي ارتفاع اسعار هذه الاسهم الى ارتفاع ثروتهم وبالتالي زيادة الانفاق على الاستهلاك وتنعكس هذه الزيادة في شكل ارتفاع الاستهلاك المستقل عن مستوى الدخل، لانه غير مرتبط بالدخل.

ثانياً-التوقعات: يعتمد الاستهلاك ايضاً على توقعات الافراد المستقبلين حيال ثروتهم ودخولهم، فاي تغير في مستوى التوقعات سينجم عنه تغيير في مستوى الاستهلاك وعليه يميل الافراد الى تقليص الاستهلاك في ظروف التشاؤم وعدم التفاؤل والعكس صحيح.

ثالثاً-الضرائب: وتنقسم الى نوعين ضرائب مقطوعة أي قيمة ثابتة مستقلة عن المستوى الدخل وضرائب الدخل التي تزداد بازدياد الدخل وتنخفض بانخفاضه ويؤدي رفع هذه الضرائب بنوعيها الى تخفيض الاستهلاك المعتمد على مستوى الدخل وبالتالي تخفيض الاستهلاك الاجمالي(44).

البيع بالتقسيط تكافل اجتماعي:

ان المستهلك صاحب الدخل المحدود الذي يحتاج الى سلعة تسد حاجة من حاجاته او توفر له اسباب العيش الكريم او تجلب له الكسب والنماء احياناً من غسالة او ثلاجة او سيارة وغير ذلك من الادوات والالات الكهربائية والميكانيكية والاثاث، يقصد التاجر الذي يبيع هذه الادوات بالتقسيط فيخبره بثمنها اذا اراد ان يدفع حالا، وثمنها اذا اراد ان يدع مقسطاً، وهو بطبيعة الحال اعلى من الثمن الحال، فاذا مااختار المشتري الثمن المؤجل بالقسط وتم الاتفاق على ذلك كانت تلك صورة بيع التقسيط. ولما كانت البيوع اكثر ميادين التعامل تداولاً، اذ لا ينفك عنها انسان في اغلب ايام حياته، ولايستغني عنها انسان فقير اوغني، لذا كانت حقيقة بمزيد من الاهتمام، وبتوجيه فائق العناية كي يكون الناس على بصيرة من امرها، ووضوح في الاقدام على ابرامها[45].

ومن البيوع التي عرفها الناس منذ القدم، وتعامل بها المسلمون في الخوالي من عصورهم، مايعرف ب"بيوع الاجال" وهي التي يكون فيها احد العوضين مؤخراً عن مجلس العقد خروجاً عن الاصول المقررة التي تشترط وجودهما عند الاقدام على اجراء عقد البيع تحقيقاً لمقصود العقد وحسماً لمادة النزاع. صورة المسألة الفقهية.

ان بيع التقسيط يحقق مصلحة تعودعلى كل من البائع والمشتري، اذتتمثل مصلحة البائع في تيسير السبل وفتح الابواب لانفاق سلعته، اما المشتري فتظهر مصلحته في حصوله على السلعة التي تمس حاجته اليها، ولايملك ثمنها في الحال بان يدفع الثمن مؤجلاً على دفعات تتناسب وقدراته المالية علاوة على مايعطيه الاجل من فرصة لانماء المال او كسبه فيدفع الثمن دون عنت او ارهاق[46].

ويطلق التقسيط في اللغة على معان منها :

1. التفرق وجعل الشيء اجزاء، يقال قسط الشيء :أي فرقه وجعله اشياء، والدين جعله اجزاء معلومة تؤدي في اوقات معينة.

2. الاقتسام بالتسوية:يقول الليث:تقسطو الشيء بينهم أي اقتسموه بالتسوية وفي العباب على القسط والعدل وفي اللسان على العدل والسواء. فهو بهذا المعنى تجزئه الشيء الى اجزاء متماثلة كتأجيل دين بخمسمائة دينار الى خمس اسابيع على ان يدفع منه مائة دينار كل اسبوع.

3. التقتير، يقال :قسط على عياله النفقة تقسيطاً اذا قتر عليهم.وقال الطرماح:

كفاه كف لايرى سيبها مقسطاً رهبة اعدامها

4. والقسط حصة والنصيب، ويقال:تقسطاً الشيء بيننا: أي اخذ كل حصته ونصيبه.ويقال: وفاه قسطه: أي نصيبه وحصته(47).

ومن المعاني التي يمكن اعتبارها بيانا للمراد بيع التقسيط في المفهوم الشرعي "ان بيع التاجر السلعة مدفوعة الثمن فوراً بسعر، ومؤجلة او مقسطة الثمن بسعر اعلى ". والتقسيط :تأجيل اداء الدين مفرقاً الى اوقات معينة "الثمن المقسط هو ماشترط اداؤه اجزاء معلومة في اوقات معينة". ويبدو للناظر في هذه المعاني ان بيع التقسيط من المنظور الشرعي هو بيع السلعة بثمن مؤجل اعلى من الثمن الحال، على ان يكون دفع ذلك الثمن مفرقاً الى اجزاء معينة.وتودى في ازمنة محددة معلومة.فالتأجيل هو تأخير دفع ثمن السلعة الى زمن مستقبل سواء كان ذلك الزمن شهراً ام عاماً، وسواء اكان البائع يقبض الثمن جملة واحدة ام على دفعات. اما التقسيط وهو تأجيل دفع الثمن على ان يقبضه المشتري على دفعات.وعليه يمكن القول بأنه يوجد بين التأجيل والتقسيط علاقة عموم وخصوص

مطلق، ففي كل تقسيط التأجيل، فألتأجيل هو العموم المطلق، وقد يكون في التأجيل تقسيط وقد لايكون. فالتأجيل اخص من التأجيل[48].

لقد ذكر المختصون بالقانون تعريفات متعددة للبيع بالتقسيط منها "ان البيع الذي يكون سداد الثمن فيه مجزأً الى عدة اقساط، على ان يكون جزءاً من هذه الاقساط لاحقاً على تسلم المشتري للبيع".

ومنها "انه العقد الذي يكون موضوعه الاستيلاء على الشيء في مقابل دفع اقساط معينة في مدة معينة يصبح المشتري في نهايتها مالكاً للشيء".

ويلاحظ ان المعنى القانوني لبيع التقسيط يتفق مع المعنى الشرعي في وجود عنصر التأجيل في دفع الثمن، وفي كون الثمن على دفعات، الاانه اضاف بعض القيود والشروط التي لم ترد في المعنى الشرعي منه اشتراط تساوي المقادير التي يلتزم بها المشتري للبائع في كل دفعة. و واشتراط ان يكون الانتهاء من سداد الثمن الكامل للسلعةفي مدة زمنية معقولة و اشتراط ان يبدأ دفع اول الاقساط بعد قبض المشتري للسلعة و تقييد انتقال ملكية المشتري للسلعة بدفعه كامل الثمن في نهاية مدة الاجل اللازم لدفع الاقساط. وسوف تكون هذه الشروط وغيرها موضع بحث وتحليل ومناقشة في ضوء حكم الشرع[49]. و ان الاسلام، هو دين الواقع ومنهج التيسير ورفع الحرج، راى ان الحاجة قد تدعو الى مجافاة القاعدة العامة وصولاً لغاية مثلى، وهدف خيرونبيل، فكان ان اجاز تأخير تسليم المثمن او الثمن عن مجلس التعاقد.[50].

مصادر وهوامش الفصل السادس:

1. نشر هذا الخبر بتاريخ13/ 5/ 2002، عرب.ان 2002، ايطاليا، جنوا.
2. انظر المصادر التالية :

أ- معن بنور، نحو تجسيد المشروع الحضاري النهضوي في الواقع العربي، مجلة المستقبل العربي،269،7،2000.

ب-ناصيف حتي، البيئة الاقليمية من منظور المشروع الحضاري النهضوي، مجلة المستقبل العربي،269،2000.

3. الحجرات،150.
4. الصف،10-13.
5. اخرجه الشيخان.
6. متفق عليه.
7. أ.د.حسين شحاته، الجهاد الاقتصادي فريضة شرعية وضرورة عقائدية،29/ 5/ 2002، ص2.
8. الانفال،73.
9. الانفال،72.
10. أ.د.حسين شحاته، مصدر سابق، ص3.
11. نفس المصدر السابق.
12. نفس المصدر السابق، ص3.
13. ال عمران،173-174.

14. البقرة،249.

15. بذلك تكون وحدة البناء المؤسساتي مطابقة لوحدة التصور الاقتصادي المنبثقة بدورها من وحدة التصور الاجتماعي المنبثقة من وحدة التصور الاخلاقي والسلوكي داخل المجتمع الاسلامي.

16. ويبقى المبدأ الاساسي هو مبدأ المشاركة في الربح والخسارة التزاما بالقاعدة الشرعية "الغنم بالغرم" أي:ان رأس المال المتداول هو رأسمال مخاطرة توزع نتائجه مبدئياً بعد عملية الانتاج لاقبل هذه العملية مثلما يحدث في عملية التمويل بالفائدة.

17. أ.د.عمر الكتاني، دور المصارف وشركات التمويل الاسلامية في التنمية 2002، الانترنيت، ص4.

18. أ.د.عمر الكتاني، مصدر سابق.

19. نفس الصدر السابق، ص1.

20. موزعة على الشكل التالي:تمويل تجاري 30٪، تمويل صناعي 19٪، تمويل فلاحي 13٪، تمويل خدمات13٪، تمويل عقار12٪، قطاعات اخرى12٪ اما نوعية العقود التي تتعامل بها هذه المؤسسات فهي مقسمة على الشكل التالي:مشاركة 15٪، ايجار10٪، مضاربة 9٪، مرابحة 45٪، انواع اخرى21٪.

21. كما سجل ظهور ابحاث وبرامج تكوينية اكاديمية في الاقتصاد الاسلامي في جامعات كبرى مثل هارد فورد والسوربون وبرمنجهام، كما قام المصرف الدولي بدراسة حول النظام المالي الاسلامي خلص فيه الى ان النظام المبني على المشاركة اكثر استقراراً وتوازناً من النظام المالي المبني على سعر الفائدة.

22. عمر الكتاني، مصدر سابق، ص3.

23. نجد كذلك ادارة صناديق الوقف وتوظيفها لحساب مؤسسة الوقف، ولتسيير الاملاك الوقفية فقد تكون هذه المؤسسة غير مؤهلة لتوظيف الاموال كما هو الشأن بالنسبة للمصارف وقد يخصص المصرف نفسه حساباً مالياً مهماً موقوفاً على المشاريع الخيرية كما فعل المصرف الاسلامي للتنمية حيث يخصص هذا المصرف الدولي الاسلامي غلافاً مالياً يصل الى 800مليون دولار وقفاً على المشاريع الخيرية في العالم الاسلامي يقضي بالطبع تسييراً مالياً محكماً.

24. ويعرف المصرف الاسلامي على النحو التالي:المصرف الاسلامي مؤسسة تسعى لتقديم خدمات استشارية ومصرفية متميزة عقائدياً لعملائها وفقاً لاحكام الشريعة الاسلامية من خلال فريق عمل ذوي ولاء وكفاءة والتزام ذاتي بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية والارتقاء المعاشي والتكافل الاجتماعي داخل المجتمعات الامة الاسلامية.

25. أ.د.عمر الكتاني، دور المصارف وشركات التمويل الاسلامية من التنمية، 14/ 5/ 2002، ص2.

26. نفس المصدر السابق، ص2.

27. أ.د.عمر الكتاني، مصدر سابق، ص6.

28. نفس المصدر السابق، ص7.

29. المصدر السابق.

30. والمؤسسات المالية الاسلامية في مصر تنشط كثيراً في هذا القطاع وقطاع الصناعة التقليدية بالاضافة الى القطاعات المختلة الاخرى، وهكذا نجد مثلاً مصرف فيصل الاسلامي السوداني اضافة الى تمويل قطاعات الصناعة والفلاحة والصناعة التقليدية يساهم كذلك في تميل قطاعي النقل والتجارة الخارجية، كما نجد قابلية

المصارف الاسلامية لتمويل القروض الصغيرة التي اكتشف دورها في مقاومة الفقر والبطالة ومقاومة الهجرة العشوائية الى المدن الكبيرة والتي لايتوفر لاصحابها ضمانات كافية للحصول عليها من المصارف التجارية، وقد تكون البديل العملي للقروض الصغيرة الربوية التي تقوم بها المؤسسات المالية الربوية المختصة نخاصة المؤسسات الدولية.

31. أ.د.عمر الكتاني، مصدر سابق، ص8.

32. الزكاة هي الركن الثالث للعقيدة الاسلامية وهي عبادة ذات طابع مالي والزكاة في اللغة هي الزيادة والنماء، والزكاة الشيءاذا نما وزاد وزكا فلان اذا صلح فهي ترد ايضاً بمعنى التطهير وقد وردت بمعنى البركة والنماء والطهارة والصلاح في القراءن الكريم والحديث الشريف.

33. د.نعمت عبد اللطيف مشهور، الزكاة موارد ومصارف، 2002.

34. وقد فصلت الشريعة الاسلامية بمصادرها المختلفة في كل مال من الاموال الواجب اخراجه في كل انواع منها، كما ونوعاً ويتناسب القدر الواجب في كل مال من اموال الزكاة مع الوعاء المفروض فيه، فهو يعمل الى العشر (10٪) ونصف العشر 5٪في الاموال التي لاتفرض فيها الزكاة الاعلى الدخل والثمار.

35. د.نعمت عبد اللطيف مشهور، مصدر سابق، ص3.

36. نفس المصدرالسابق، ص3.

37. وتوفير مناخ من الاستقرار السياسي والاجتماعي، فان للزكاة اثار اقتصادية بعيدة يعكف الدارسون المعاصرون على رصدها ومن اهمها: دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال محاربتها للاكتناز والحث على الاستثمار والانفاق ومن خلال التأثير في مستوى التشغيل والتخفيف من التقلبات الاقتصادية.

38. د.نعمت عبد اللطيف مشهور، مصدر سابق، ص4.

39. وقد كتب رسول الله صلى الله عليه ويلم في زكاة المال توضح انها فريضة دينية ملزمة، تأخذ من اموال اغنياء المسلمين لترد على فقرائهم، وعلى الوالي قتال من يمنع هذا الحق حتى يعطيه، وتفصل نصوص السنة النبوية احكام الزكاة وادائها عن كل نوع من انواع المال.

40. د.نعمت عبد اللطيف مشهور، مصدر سابق، ص2.

41. علي عبد العزيز، الاستهلاك قاعدة ذهبية، الانترنيت،2002، ص1.

42. نفس المصدر السابق، ص1.

43. علي عبد العزيز، مصدر سابق، ص2.

44. نفس المصدر السابق، ص2.

45. د.محمد عقلة الابراهيم، حكم بيع التقسيط في الشريعة القانون،4/ 9/ 2002، ص1.

46. د.محمد عقلة الابراهيم، مصدر سابق، ص5.

47. ومن خلال استعراضنا لهذه المعاني يظهر ان المعنيين الاول والثاني هما اقربها الى المعنى الشرعي الاصطلاحي لبيع التقسيط، فهما يفيدان ان تفريق الشيء الى اجزاء على وجه من العدل والمساواة، واذا كان الشيء المقسط هو الدين فالمراد جعله اجزاء معلومة تؤدى في اوقات معينة.

48. د.محمد عقلة الابراهيم، مصدر سابق، ص4.

49. المصدر السابق، ص5.

50. وقد شاع هذا النوع في زماننا كثيراً، وشمل مختلف السلع دقيقها وجليلها لما فيه من مصالح لكل من البائع والمشتري، ولما كان تأجيل الثمن عن زمان العقد يرافقه زيادة في الثمن.

51. ومن خلال استعراضنا لهذه المعاني يظهر ان المعنيين الاول والثاني هما اقربها الى المعنى الشرعي الاصطلاحي لبيع التقسيط، فهما يفيدان ان تفريق الشيء الى اجزاء على وجه من العدل والمساواة، واذا كان الشيء المقسط هو الدين فالمراد جعله اجزاء معلومة تؤدى في اوقات معينة.

52. د.محمد عقلة الابراهيم، مصدر سابق، ص4.

53. المصدر السابق، ص5.

54. وقد شاع هذا النوع وشمل مختلف السلع دقيقها وجليلها لما فيه من مصالح لكل من البائع والمشتري، ولما كان تأجيل الثمن عن زمان العقد يرافقه زيادة في الثمن تعويضاً للبائع عن تأخير قبضه وحرمانه من استثماره.

الفصل السابع

دور الزكاة في المجتمع

الفصل السابع
دور الزكاة في المجتمع

مقدمة الفصل السابع:

لقد ورد ذكر الزكاة في القرآن الكريم(32) مرة، منها 27جاءت مقرونة بالصلاة[1]، فضلاً عن ان الرسول محمد(ﷺ) شرح في أحاديث عديدة مفهوم الزكاة وآلياتها ومغزاها، بوصفها منظومة لتوزيع الخيرات وتحقيق التضامن الاجتماعي وحماية الفئات الاجتماعية المحرومة[2]، وبذلك يبين الدور الاساسي للزكاة ومكانتها الهامة في نظام اقتصادي اسلامي يهدف الى تحقيق العدل والحرية.لذا فالزكاة فريضة على المسلم تؤدى الى بيت المال وفق قدر معلوم شرعاً ومحدد سلفاً، وهي بمثابة ضريبة من جهة ومنحة ومعونة من جهة اخرى حسب المؤدي أو المستلم، وهي جزء من الية النظام المالي الاسلامي تتكافل مع الاحكام المالية الاخرى في ارساء قواعد العدالة الاجتماعية وتحسين ظروف العيش للطبقات المحرومة وتقليص الفوارق[3]

وكما منع الاسلام تعطيل عناصر الانتاج، حرم كنز النقود وتعطيلها عن أداء دورها في النشاط الاقتصادي، اذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾[4] ولم يكتف الاسلام بتحريم الاكتناز وتعطيل الثروات بل خطا خطوة عملية في تحريك هذه النقود والثروات وذلك من خلال فرض الزكاة كل حول، فيمن بلغ نصاباً من رأس المال النقدي، استثمره صاحبه أم لم يستثمره[5].لذا وجب تنمية احوال اليتامى كما كان المفروض في الاخرين الايهملوا اموالهم ويتركوها دون استثمار[6].

ان عدالة التوزيع وضمان نصيب الفقراء وذوي الحاجة هو ما سيحقق الرفاهية المنشودة لمجموع المجتمع، ولم يكتف المذهب الاقتصادي الاسلامي بالتأكيد على زيادة الانتاج، بل حرص على تحقيق العدالة في التوزيع وكفالة العيش الكريم لافراد المجتمع استناداً الى مبدأ حد الكفاية(7).

ان للزكاة اثار حسنة فمن الناحية الاقتصادية تعالج الفقر وتحقق حد الكفاية بدلاً من حد الكفاف وتحد من غنى الاغنياء كي لايكون دولة بينهم عن طريق نقل جزء من القوة الشرائية من الاغنياء الى الفقراء، وهي اداة تسهم في معالجة البطالة وتعمل على الحد من الاكتناز وتسهم في القضاء على الديون من خلال سهم الغارمين عن طريق تخصيص نصيب الثمن من مصارف الزكاة الثمانية ولذلك فالزكاة تماماً عكس الربا اذ تعمل على عدالة التوزيع من اليد الواحدة الغنية الى ايادي المحرومين.

ومن الناحية الاجتماعية(8)، تعمل الزكاة على معالجة الخلل والتخبط النفسي الذي يصيب الاغنياء او الفقراء فهي وسيلة لاذابة الطبقية(9)، ولكل فرد في المجتمع الاسلامي حد الكفاية وليس حد الكفاف، وقد عبر الرسول(ﷺ)عن حد الكفاية بقوله:"انه توفير القوام من العيش" أي ما تستقم به حياة الانسان ويصلح امره ويكون ذلك باشباع احتياجاته التي تجعله يعيش في مستوى المعيشة السائد(10).

اهمية الفصل السابع:

الزكاة فريضة على المسلم تؤدى وقف قدر معلوم شرعاً ومحدد سلفاً، وهي بمثابة ضريبة، وعلى الاغنياء ان يؤدوا الزكاة، الااذا كان عليهم دين. فالزكاة حق معلوم ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾، ويشدد القرآن الكريم والسنة على مبادئ الشمولية في الزكاة، فقد حدد الله المستفيدين من الزكاة ﴿ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا

﴿ وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ والاموال التي تجمع في اطار الزكاة تصرف بحسب تعاليم القرآن الكريم والسنة ولاتترك لتقدير الاغنياء ولا لتصرف الدولة.

ان الزكاة حق الله على الناس وركن الاسلام الثالث، فهي الى جانب كونها عبادة، فهي فريضة على المسلم.وهي حق الفقراء في اموال الاغنياء، ويندرج ذلك ضمن المبدأ السماوي الذي جعل مافي الارض جميعاً ملكاً لله، وما الملكية الخاصة الاوكالة من الله للناس.وهذا لايعني ان الاغنياء مفضلون على الفقراء ولكنهم مطالبون بانفاق جزء من مداخيلهم على الفقراء والمساكين.وباعتبارها حق الله وفريضة دينية وحقاً للفقراء تسمح بتطهير الاغنياء والذين يؤتونها وبتدعيم التضامن والحماية الاجتماعية[11].

ان للزكاة دوراً خاصاً في المجتمع الاسلامي، وهي تختلف عن الضرائب التي تقطع من ذوي الدخل المحدود، وحتى من الفقراء، لتنفق في ما بعد في مجالات معينة[12] ولوان الطابع الالزامي للزكاة يرخص القوة العمومية لاقطاعها اذا دعت الضرورة الى ذلك ويعاقب مانعوها بصراحة، الاانها فريضة دينية تعني للمسلم الحقيقي الابتعاد عن الاكتناز والبخل والتبذير، وهي مع الصلاة تمثل احدى الخصائص التي تميز المسلمين عن سواهم، لان الكافر لايمكنه الاندماج في المجتمع المسلم (الااذا تاب واقام الصلاة واتى الزكاة)، ﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[13].لاينحصر دور الزكاة في كونها مساعدة مادية تمنح للفقراء بل تهدف خصوصاً الى استئصال الفقر بتوفير منافذ عمل دائمة وتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي.

مشكلة الفصل السابع:

تنبع مشكلة البحث من التناقضات في المجتمع الاسلامي، فالبلاد الاسلامية تنقصها الاموال ومع ذلك فأغلبها تلجأ الى الاسواق المالية العالمية للاقتراض وبأسعار باهظة، تلك الاموال التي اودعتها بلدان اسلامية اخرى تتوفر فيها فوائض مالية.من ناحية فالبلاد الاسلامية لاتنقصها الاراضي الخصبة والانتاج الزراعي سواء المتحقق او الممكن، ومع ذلك نرى ان الزراعة همشت واهملت في هذه البلدان الى درجة ان عجزها الغذائي الذي تغطيه الواردات المتزايدة قد بلغ حجماً مخيفاً.

ان العالم الاسلامي لايفتقر الى المؤهلات، فالموارد الطبيعية والمواد الاولية الاستيراتيجية، فالموارد من كل نوع، ولكنها غير مستغلة، او مستغلة في غير محلها، او بحد أدنى من قدراتها ...والعالم الاسلامي تنخره شقاقات وصراعات تضاف الى هذه الكوارث، التخلف والفقر وسوء التغذية والامراض والجهل، مما يزيد من حدة الوضع المادي والثقافي والمعنوي. وللخروج من هذا المأزق لاجدوى من التقليد الاعمى الايديولوجي والثقافي والسياسي، ولافي النظريات الاقتصادية التقليدية، فهي لاتوفر الحلول للخروج من هذا الوضع وحالة الاستلاب اللذين يوجد فيها العالم الاسلامي الان.

لقد بلغ المسلمون هذه الدرجة من البؤس والتخلف نتيجة ابتعادهم عن تعاليم الاسلام، لذا فان مفاتيح الخروج من هذا المأزق هو القرآن الكريم والسنة وتاريخ الحضارة العربية الاسلامية وتاريخ الفكر الاقتصادي الاسلامي، لذا يجب تنظيم ادارة الزكاة وتسيرها وفق المناهج الفعالة الحديثة، وتفادي الربط البيرقراطي، والاجراءات الادارية العقيمة، وذلك بتبني تنظيم مرن، ويمكن ان ناخذ هذه الادارة شكل صندوق للزكاة يتمتع بالشخصية المعنوية واستقلالية التسيير دون اية وصاية، كما يكون صندوق الزكاة في

شكل هيئة مرنة لها فروعاً لامركزية في كل انحاء البلاد.ويتم الاتصال بين الصندوق وفروعه الجهوية بوسائل اتصال حديثة وفعالة.

هدف الفصل السابع:

يهدف البحث الى بيان اهمية الزكاة في تحقيق التنمية والاستثمار في المجتمع الاسلامي بالاضافة الى تحقيق العدالة الاجتماعية في ظل الرفاهية من خلال ايجاد فرص عمل ومساعدة المحتاج والفقراء والمساكين وتسديد الديون. ان التغيرات التي حدثت في العالم الاسلامي منذ اربعة عشر قرناً تستدعي تكييفاً لهذا النوع من الزكاة، مع الظروف الحالية، اذ يواجه العالم الاسلامي تحديات ثقافية وتكنولوجية واقتصادية وسياسية تتطلب ابعادها حلولاً ملائمة للحفاظ على الهوية الحضارية الاسلامية في عالم متقلب، يتميز بسيطرة القطب الواحد.

يهدف البحث الى القاء الضوء حول توفير موارد مالية من الزكاة، ليس لمواجهة الغزو الثقافي الموجه ضد البلدان الاسلامية فحسب بل كذلك لتحويل المبادرات الثقافية والاعلامية في البلدان الغربية يهدف شرح الوجه الحقيقي للاسلام ومهمته الاساسية لوضع حد اوعلى الاقل تقليص عداء هذه البلدان تجاه الاسلام. كذلك مواجهة حملات التغير وعودة قوية للصهيونية.

الزكاة والعدالة والمجتمع الاسلامي:

ان الزكاة عبادة وحق الله على عباده وفرض عين، وهي ضريبة يراد منها تفادي تكديس الثروات في المجتمع، وتؤخذ من الاغنياء وتنفق من اجل تحسين ظروف الحياة

للفئات المحرومة وكل من لايملك الوسائل اللازمة لاشباع حاجاتهم، كالمأكل والملبس والمسكن والعلاج الصحي والحماية الاجتماعية و...الخ[14].

من ناحية ثانية حث الاسلام على العمل، وساوى بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال، وحثت السنة النبوية كذلك على العمل وعلى مسؤولية الفرد لتوفير حد الكفاية، اذ يقول الرسول(ﷺ)"ماأكل احد طعاماً قط خيراً من عمل يده وان نبي الله داؤود كان يأكل من عمل يده "[15]. كما حث الاسلام على رفع كفاءة العمل وزيادة مهارة العامل اذ يقول سبحانه وتعالى :﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾"ان خير من استأجرت القوي الامين"[16].

كما كرم الاسلام العلم والمشتغلين به وحدد مساره في تعلم العلم النافع فيقول سبحانه وتعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ومن الجدير بالذكر هنا ان المتفرغ للعبادة لايعطي من الزكاة ولاتحل له لان مصلحة عبادته قاصرة عليه، اما المتفرغ لطلب العلم النافع وتعذر عليه الجمع بين الكسب وطلب العلم فانه يعطى من الزكاة قدر مايعينه على اداء مهمته وما يشبع حاجته ومنها حاجته الى كتب العلم[17]. حيث يعتمد الفقهاء على معنى الزكاة في انها تهدف الى مساعدة الفقراء والمساكين شكراً لله على نعمته وتطهيراً للرزق المكتسب، وعليه فالزكاة تفرض على جميع الاغنياء، وعلى الولي[18] ان يؤتي الزكاة بالنيابة عمن اناب وفقاً للشروط المنصوص عليها في الشريعة فنية الولي تنوب عن نية المالك عديم الاهلية القانونية وتحل محلها[19].

ويرى العلماء ان الزكاة يجب ان تكفيهم لسد حاجتهم الاساسية مدة سنة، ويختلف من يستحق الزكاة الى قادرين على العمل بدنياً او فكرياً ويحتاجون الى فرص عمل في مختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، والذين لايقدرون على العمل مثل المسنين والارامل والمعوقين واليتامى، ويحتاجون للمساعدة سنوياً، ومساعدتهم واجبة لان الامر

يتعلق بتوفير وسائل العيش لاناس غير قادرين على العمل ولكسب عيشهم بوسائلهم الخاصة.

(المسلم اخو المسلم فلا يضره ولايخذله)[20]، فالزكاة لاتكمن في منح اموال لمن لايملك، وانما تهدف الى تحسين ظروف العيش للطبقات المحرومة وتقليص الفوارق الصارخة وتنظيم نشر التقدم وبثه في الشبكة الاجتماعية، فالزكاة تمثل تنظيماً للحماية الاجتماعية[21].فالعالم الاسلامي يعلم الوحدة والاخوة والتضامن والعدالة الاجتماعية والسلم والتسامح والاتزان والانضباط، ولكن البلدان الاسلامية يسودها الشقاق والتوزيع الغير عادل للثروات والامراض الاجتماعية وتجب الزكاة لمجموعة من الفئات حيث حددت الاية 60 من سورة التوبة 8 فئات لها حق الاستفادة من الزكاة بدءاً بالفقراء والمساكين، وحدد الفقراء لمن لايمد يده للتسول مع انه في حاجة ومن لايتوفر على النصاب(الحد الادنى للعيش ومن لايملك الوسائل لتغطية حاجيات عائلته من المأكل والملبس ومن لايملك وسائل العيش ولو كان لديه اثاث وسكن.ويعتبر مسكيناً من كان في حالة فقر مدقع ومن دفعه بؤسه للتسول ومن لايملك شيئاً.

اما الفئة الثالثة فهم القائمون على ادارة الزكاة، وقد نص القرآن الكريم بوضوح على هذه الفئة للاهمية التي يوليها لتنظيم موارد الزكاة وتسييرها والتي لايصح ان تترك لتقدير اومبادرة فردية ولو كانت عن حسن نية.

اما الفئة الرابعة فهي المؤلفة قلوبهم ويحددهم الفقهاء بالذين اسلموا ويحتاجون الى العون والمساعدة، والذين فيهم امل للدخول في الاسلام، وغير المسلمين الذين يمكن كفهم عن مهاجمة المسلمين او الذين يراد كسب صداقتهم لحماية المسلمين والدفاع عنهم.

والفئة الخامسة (في الرقاب) حيث امر الاسلام بتحرير العبيد مما يدل على فرض الاسلام على وضع حد للرق.

والفئة السادسة الغارمون وهم في الشريعة الاسلامية كل فرد ذي نية حسنة لايقدر على تسديد دينه ولايتوفر بعد انقضاء مدة القرض على النصاب، أي الحد الادنى من الموارد لسد حاجياته الاساسية.

والفئة السابعة هي في سبيل الله وان عبارة (في سبيل الله) جاءت في القرآن الكريم اكثر من سبعين مرة وقد اجمع العلماء في ذلك على تمويل الجهاد يدخل في اطار الزكاة في سبيل الله، والتكفل بالمجاهدين مضمون من طرق صندوق الزكاة، لاتصرف الزكاة في النفقات ذات المصلحة العامة كبناء السدود والطرق والمدارس والمساجد...الخ.

والفئة الثامنة ابن السبيل وقد نص القرآن الكريم والسنة على حسن معاملة ابن السبيل[22].

الزكاة وتنشيط الاستثمار:

ان من شروط الزكاة التي اجمع عليها العلماء والفقهاء هي ان يكون الانسان مسلماً وان يكون مؤدي الزكاة راشداً وسليم العقل والملكية الحقيقية للثروات والنمو الحقيقي او المحتمل للثروات وان يفوق المال النصاب وان يكون فائضاً في الثروة. وعليه فان الزكاة تمثل امتحاناً للاغنياء، فضلاً عن اعتماده المساعدة التي يجب ان تعطى للفقراء وعلى توفير الشروط الضرورية للقضاء على الفقر في المجتمع.

وينبغي التذكير ان الزكاة لايراد بها افقار الاغنياء مادامت تمثل نسبة ضئيلة من ثرواتهم، الاان هذه الثروات المكتسبة اذا لم تستعمل في الدائرة الانتاجية في شكل استثمارات

تتعرض للانقراض بفعل الزكاة على مر الزمن لذا نجد الدين الاسلامي يحث كثيراً على الاستعمال الانتاجي للثروات في مختلف النشاطات الاقتصادية[23].

ويتجلى دور الزكاة في تنشيط الاستثمار، فعلى المستوى الخاص، يرى المستثمر ثروته تنمو رغم ادائه فريضة الزكاة، وعلى المستوى العام نرى الاستثمارات تساهم في توفير فرص عمل ودخول اضافية، وتزيد في نمو الثروة الاجمالية للمجتمع ورفع المبلغ الاجمالي للزكاة، بفعل تكاثر عدد المزكيين وزيادة الثروات، ويقارن الشيخ القرضاوي النمو بالربح والفائدة، أي المردود او الفائض الذي تنتجه الاستثمارات[24].

ويجب ان يأخذ بنظر الاعتبار ان الاملاك الموجهة لاستعمال فردي اوعائلي كالمسكن والاثاث والسيارة واللباس واخرى معفاة من الزكاة باعتمادهم على السنة، كذلك فان الاملاك الاخرى التي تدخل في باب النمو الحقيقي او المحتمل تكون فيها الزكاة مستحقة ومنها المواشي من غنم وبقر وابل والتي تنمو بفعل التكاثر وجميع المنتجات الزراعية التي يضمن نموها العمل والاستثمار والمواد المعدنية بما فيها المحروقات والتي اصبحت مساهمتها في النمو الاقتصادي مهمة جداً.يضاف الى باب النمو الذهب والفضة والنقود التي تستخدم في مختلف قطاعات النشاط الاقتصادي كالتجارة والصناعة والصناعات التقليدية وتحقق فائضاً اوتكنز[25].

ان الذهب والفضة والنقود اذا اكتنزت تخضع للزكاة،[26].وفي هذه الحالة فان مردوداتها المحتملة هي التي تأخذ في الاعتبار، لذا نبذ الاسلام الاكتناز والاشكال المختلفة من النفقات المفرطة والتبذير والتي تمثل معوق يعرقل النمو والرخاء الاجتماعي[27].

مما سبق يتبين ان تحليل العلماء يستند الى القرآن الكريم والسنة، مثلاً قال تعالى ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [28] وقال تعالى :﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِى

﴿أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[29] كما قال الرسول ﷺ "الزكاة لاتنقص من المال"[30].وعليه فان الهدف الاساسي للثروة هو تحويل النمو الاقتصادي وتوسيع رقعة الانتاج بتنمية الانشطة الاقتصادية وتشجيع الاستثمارات.

كما اوجب الاسلام على اولياء اليتامى استثمار اموال القصر ومختلي العقل، في مختلف النشاطات التجارية والزراعية والصناعية، بقصد تحقيق الفوائد لتدفع منها الزكاة على مجمل الثروة، مما يعني ان راسمال الابتدائي لهؤلاء محفوظ من الانتقاص، بل انه مؤهل للنمو في الوقت ذاته الذي يوفر فيه مبلغ الزكاة.ويستدل العلماء في ذلك الى حديث رسول الله ﷺ[31] "اخبرهم ان الله اوجب عليهم الصدقات تؤخذ من اموال اغنيائهم وتعطى لفقرائهم)[32]، وهذا يدل على انه اذا كان الفقراء بمافيهم القصر ومختلو العقل سيستفيدون من الزكاة، فكذلك الاغنياء يجب ان يدفعوها جميعاً، وبذلك لايقبل استثناء سواء من الاغنياء او الفقراء.

الزكاة علاج الفقر:

ان النظم الاقتصادية التقليدية عاجزة عن ايجاد الحلول المناسبة التي تمكن البلدان الفقيرة من الخروج من دائرة البؤس والتخلف، حيث تعتبر ان النمو الاقتصادي ومكافحة الفقر شيئان متصادان، على اعتبار ان تمويل البرامج الاجتماعية وتمويل المداخيل الفقراء يتم عن طريق زيادة الضرائب وتقليص دخل الاغنياء، وهذا لايشجع الادخار والنمو الاقتصادي، والخدمات الاجتماعية التي تستفيد منها الطبقات المحرومة، تحد من الفاعلية الاقتصادية وتشكل عبئاً تعود آثاره سلباً على المجتمع برمته فضلاً عن الفقراء فهذه التحويلات تساهم في تقليص النمو ثم تفاقم البطالة.

ان النمو الاقتصادي في هذه الانظمة مبني اساساً على الفوارق الاجتماعية، لان هذه الانظمة الاقتصادية هي من تصميم الاغنياء انفسهم، من ناحية ثانية نرى الاسلام يقدم المبادئ والمقاييس لضبط سياسات تنموية تتكيف مع الزمان والمكان، وبحسب تطور الظروف التاريخية والبشرية والعلمية والتقنية، والتي اساسها احترام مبدأ العدالة الاجتماعية، وخاصة في مجال توزيع الدخل[33].

الزكاة تحقق الرفاهية:

ان تحقيق الاكتفاء الاقتصادي والسلم الاجتماعي يشكلان هدفان اساسيان تنطلق منهما التنمية الاقتصادية، وبهذا يمكن تحقيق رفاهية اقتصادية واجتماعية دائمة، حيث ان استئصال الفقر المدقع هو من اولويات اهداف النظام الاسلامي[34]. ويتبين دور الدولة في تفادي تمركز الثروة بين يدي اقلية من الناس، في الحد من الفوارق في المداخيل والثروات التي تحدثها قوى السوق.

يبرز دور الزكاة هنا في كونها وسيلة نفوذ قوية بين يدي الدولة، لمساعدة الفقراء فضلاً عن تنظيم خطط ترمي الى توفير فرص عمل دائمة في مجالات الانشطة الانتاجية المختلفة، والتي ستؤدي الى ارتفاع الانتاج الاجمالي وزيادة انفاق الاسر عن طريق حصولها على مداخيل ثابتة شهرية، ويؤدي ذلك بدوره الى زيادة الاستثمار فزيادة الانتاج، ان الزكاة تقوم بدور ايجابي في مواصلة النمو الاقتصادي والتنمية، والذي يحقق اعلى درجة من الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة والاستجابة لاهداف تنموية محددة بدقة[35].

توصيات الفصل السابع:

1. تشجيع الاجتهاد في مجال الزكاة، اذلابد من ذلك، لوضع حد لبعض المواقف والاجراءات القانونية التي تتصف بالغموض والتناقض، اذ لايمكن الاقتصاد على التطبيق الحرفي لشروط الزكاة كما جاء قبل اربعة عشر قرناً، فيجب مراعاة ظرف الاقتصاد الحالي ومتطلبات المجتمع التي طرأت عليها تغييرات عميقة، فاذا اقتصرنا على الاحاديث التي تتعلق بالقطعان والموارد النقدية والشعير والقمح والتمور والزبيب...الخ أي الثروات المذكورة قبل اربعة عشر قرناً وحدها، واذا التزمنا حرفياً بهذه الاحاديث ستكون ثروات عدة ومعفاة من الزكاة بحجة انه لم يأت ذكرها في النصوص، وهذا طبعاً مخالف للمبادئ العامة التي تنص عليها القرآن والسنة، والتي تفرض الزكاة على جميع انواع الثروات، دون أي تحديد[36].

2. يجب وضع برنامج عمل على الامدين المتوسط والبعيد، بقصد تحسين ظروف العيش للفئات المحرومة بالاستعانة بايرادات الاحصاء والاعلام والتي ستكون اداة مهمة لمعرفة الوضع الحالي للثروات وتقدير نسبة نموها في المستقبل القريب والبعيد. بهذا يتم المقارنة بين الثروات الفعلية للزكاة وثرواتها المحتملة من جهة، واستعمالها في الاتجاهات الثمانية التي نص عليها القرآن من جهة اخرى.

3. يتميز الاقتصاد بتداخل مختلف قطاعات النشاط واندماجها، وهذا التداخل والاندماج بين النشاطات جعل من الصعب وضع حدود بين مختلف دوائر الانتاج الصناعي والزراعي والحيواني والتسويق، والثروة هي نتيجة التوقيق بين عنصري العمل ورأس المال فضلاً عن عناصر اخرى مساعدة مهما كان نوع النشاط، والنشاطات بدورها ترمي الى هدف محدد هو البحث عن الربح ونمو لثروات،

لذلك من المفروض ان تخضع شروط الزكاة للقاعدة ذاتها، وعليه يجب عدم التمييز بين نسب الزكاة حسب طبيعة النشاط.

4. يجب جدولة ثروات البلد التي تخضع للزكاة، عن طريق جمع المعلومات بدقة وبطريقة علمية ويقع ذلك على عاتق هيئة تشرف عن مشؤوليتها في احصاء الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله، وحصر جبايتها بدقة.

هوامش ومصادر الفصل السابع:

1. وردت الزكاة في السور والايات التالية :القرآن الكريم، سورة البقرة الايات 43-83-110-177،277، سورة النساءالايتان77-162، سورة المائدة 12،55، سورة الاعراف156، سورة التوبة 11،18،71، سورة الكهف الاية81، سورة مريم الايات 13-31-55، سورة الانبياء الاية 73، سورة الحج الايتان41-87، سورة المؤمنون الاية 4، سورة النور الايتان 37-56، سورة النمل الاية 3، سورة الروم الاية 39، سورة لقمان الاية 4، سورة الاحزاب الاية 33، سورة فصلت الاية 7، سورة المجادلة الاية 13، سورة المزمل الاية 20، سورة البينة الاية5، عن د.عبد الحميد ابراهيمي، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت،1997، ص63.

2. صحيح البخاري، ج2، كتاب الزكاة، ص ص271-338، وصدقات الفطر، ص ص339-343،1985.

-د.عبد الحميد براهيمي، المصدر السابق.

3. د.سعاد قاسم هاشم، الزكاة ودورها التحفيزي للنشاط الاقتصادي، بحث مقدم الى مؤتمر الاقتصاد الاسلامي الاول، الاقتصاد الاسلامي، الانتماء في مواجهة العولمة، موصل،2002.

4. سورة التوبة، الاية 34.

5. ولهذا يقول ﷺ: "تجروا في مال اليتيم حتى لاتأكله الزكاة".

6. م.د.تقي عبد سالم العاني، الاسلام والمشكلة الاقتصادية، مجلة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة، العدد الاول، السنة الثانية، بغداد2000، ص12.

7. وذلك من خلال ماأقره الاسلام من اسس في مجال التوزيع حيث اعتبر كل من العمل والحاجة اساساً ملزماً لتوزيع الدخل والثروة على ابناء المجتمع.للمزيد انظر:د.ابراهيم الطحاوي، الاقتصاد الاسلامي مذهباً ونظاماً، دراسة مقارنة، مجمع البحوث الاسلامية، القاهرة 1390هجرية، ص234.

8. وتضع بدل الكراهية محبة وتعاوناً واخاءاً وتكاتلاً وضماناً، فهي تناقش في طريق الخير وتقوية العلاقات والروابط بين مختلف الشرائح.

9. م.قيصر عبد الكريم الهيتي، اسهام الفكر الاقتصادي في الاسلام في التصدي للاجرام من خلال تحريم الربا وفرض الزكاة، بحث مقدم الى المؤتمر الاقتصادي الاسلامي، الانتماء في مواجهة العولمة، المحور الثالث :العبادات المالية، موصل،27-28شعبان 1423هجرية،2-3تشرين الثاني،2001م.

10. شمس الدين الرولي، نهاية المحتاج، مكتبة ومطبعة الحلبي،1938، ج6، ص159
-يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، بيروت، ج2، ص571.

11. د.عبد الحميد براهيمي، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي، مصدر سابق، ص72.

12. القرضاوي، فقه الزكاة :دراسة مقارنة لاحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، ج2، دار الارشاد للطباعة والنشر،1969، ص ص77-88.

13. القرآن الكريم، سورة التوبة، اية 14.

14. فالاسلام يعتبر الثروة امانة مقدسة وضعها الله في يد الانسان نعمة منه ليستعملها في ابواب الخير والتقدم من اجل ابراز الحقيقة وانتصارها والمساهمة في تحسين اسباب العيش للفقراء والمساكين ووضع نظام اجتماعي عادل يسوده التضامن والانسجام والسلم الاجتماعي.كما نبذ احتكار الثروة من قبل اقلية من الناس قال تعالى :﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾، القرآن الكريم، سورة الحشر، اية7.

15. رواه البخاري.كما قال ﷺ ، اذا قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة واستطاع الاتقوم الساعة حتى يغرسها فليغرس منغرسها فله بذلك اجره، اخرجه البخاري واحمد.

16. سورة القصص، الاية 26، ويقول ﷺ :من ولي من احد المسلمين شيئآ فولي رجلاً يجد من هو اصلح منه فقد فاز الله ورسوله"رواه الحاكم.

17. أ.د.تقي عبد سالم العاني، الاسلام والمشكلة الاقتصادية، مجلة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة، العدد الاول، السنة الثانية، بغداد،2000، ص12.

18. يعتقد بعض الفقهاء بالطابع الالزامي للزكاة بما في ذلك القصر ومختلوا العقل والذين تعهد ادارة اموالهم الى اوليائهم.

19. د.عبد الحميد براهيمي، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الاسلامي، مصدر سابق، ص57.

20. حديث صحيح، وقال ﷺ "المسلم اخو المسلم لايظلمه ولايسلمه".

21. وهكذا وجب على المجتمع الاسلامي ان يقوم بوضع نظام للضمان الاجتماعي والحماية لاغاثة الفقراء والمساكين الذين يشكون من نقص بدني واطعامهم ومعالجتهم، في ذات الوقت عمل مبادرات للقضاء على البطالة واستئصال الفقر.

22. ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾القرآن الكريم، سورة التوبة، الايات58-60.

23. د.عبد الحميد براهيمي، مصدر سابق، ص77.

24. يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ج2، مؤسسة الرسالة، دار الارشاد للطباعة والنشر، بيروت، 1969، ص139.

25. د.عبد الحميد براهيمي، مصدر سابق، ص78.

26. ليس كونها تنمو بعينها وانما لانها تمثل عاملاً قابلاً للنمو.

27. فالذهب والفضة والنقود ليست معنية بالزكاة لكونها مماثلة للمنتجات الزراعية او البضائع الاخرى ولكنها اذا استثمرت استطاعت ان، تساهم بشكل فعال في نمو الثروة.

28. القرآن الكريم، سورة سبأ، اية 39.

29. القرآن الكريم، سورة الروم، اية39.

30. رواه الترمذي.

31. حينما كان يخاطب معاذآ (رضي الله عنه) قبل سفره في مهمة الى اليمن.

32. 3032- صحيح البخاري، ج3،1985، ص ص333-334.

33. للمزيد انظر:د.براهيمي: مصدر سابق، ص ص157-170.

34. Ahmad ,lslam Lpoverty and income Distribution ,and lQBAL ed ,Distr.butive justice and Need fulfilment in an Islamic Economy.

35. للمزيد انظر:براهيمي، مصدر سابق، ص ص178-202.

36. لقد حث رسول اله ﷺ على الاجتهاد، كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري، والذي مفاده ان الانسان الذي يجتهد اذا اصاب فله اجران واذا أخطأ فله اجر واحد.

الفصل الثامن

بناء شخصية الشباب
استعداداً للتنمية

الفصل الثامن
بناء شخصية الشباب
استعدادا للتنمية

مقدمة الفصل الثامن:

ان خير ماتعتد به الامم في حربها وسلمها هو الشباب، فهو في حاضرها درعهاالواقي وقوتهاالضاربة وهويتها الفائزة.وطاقتها المحركة ولسانها الناطق وعقلها المتحرك. ووعيها المتحفز وعواطفها الجياشة وفي مستقبلها حامل مسؤليتها، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

وتعتني اغلب الامم بمرحلة الشباب عقليا وعلميا وثقافيا وروحيا واجتماعيا وبدنيا وعسكريا. فهي المطمئنة على مستقبلها وكيانها وآمالها. وتستمد عناية الامم بهذه المرحلة من وضع المناهج التي تعد الشباب وتحتويه وتحميه. فتعتمد الامم في تنفيذ مناهجها على من يؤمن بها وبخطورة مسؤليته حيالها، وبوجوب تهيئة نفسه بها وتفانيه في خيرها، وابعاد الانتهازيين والمستغلين عن مسيرتها، لان من يعيش لنفسه وهو في موقع القيادة سيكون خطرا على ما ترسمه الدولة او ترجوه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[3].

ان على الشباب المسلم الاستعداد للمواجهة والتصدي للاخطار التي تحدق به وببلاده وقد عمل النبي محمد ﷺ على بناء الشباب واعدادهم في مواجهة التحديات، وذلك بالتزام طاعة الله وعبادته فقال ﷺ "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل،

ورجل معلق قلبه في المساجد، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما انفقت يمينه ".

كما يتحتم على الشباب اغتنام الفرص لتكوين شخصيته روحيا وجسميا ونفسيا وعقليا وخلقيا، قال رسول الله ﷺ " اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك "، اضف الى ماسبق عصمة نفوس الشباب من الميوعة والانحلال، واحصانها بالزواج، قال رسول الله ﷺ " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فأنه اغض للبصر واحصن للفرج"، كذلك محاسبة الشباب لانفسهم ومعرفة مسؤولياتهم قال رسول الله ﷺ "لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع : عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماعمل به ".

يتواجد في معظم الامم جنود مجهولة تعمل لخير امتها في دأب واخلاص يحثهم حب العمل والضمير الحي والرغبة في حث الامة على العمل الخالص بعيدا عن الاضواء، عرفتهم الامم ام لم تعرفهم، قدرهم المسؤولون ام لم يقدروهم، ولكن هولاء قد تنتكس نفوسهم حين يرون زمام الامور في قبضة نفوس تحركها الاهواء، لاتقيم للعدل ميزانا ولا للعاملين وزنا.ان تقدير العامل من الشباب يحي روح التنافس، ويضاعف العمل ويقوي روح الاخلاص، ويبعث الثقة، وللثقة اثرها في تقوية الروح المعنوية وحملها على المزيد من الجهد.

لقد اوصى رسول الله ﷺ بالشباب خيرا اذ قال : " اوصيكم بالشباب خيرا فانهم ارق افئدة لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ ". ان على

الشباب الاستقامة على منهج الاسلام وعلى تقوى الله، قال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[4]، وقال ايضا ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[5].

مشكلة الفصل الثامن:

الاسلام دين توحيد خالص، دين لايؤمن بالوساطة بين العبد وربه ولا بمشهود محسوس يركز عليه الانسان تفكيره ويصرف اليه همته ليتخيل به الاله الذي لاتدركه الابصار ويرتبط به في خياله ويتمسك بأذياله، فلا وسائط ولا مظاهر ولا صور ولا اصنام ولا هياكل و طبقة كهان ولا سدنة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[6]، ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾.

ان من المخاطر التي تهدد الشباب حاليا العولمة والغزو الثقافي والتي تعود في نشأتها واستمرارها وتسارع خطاها للتطور التكنولوجي[7]، واذا كانت التكنولوجيا مجرد وسيلة لاشباع الحاجات الانسانية[8]، الا انها الان قد يترتب عليها طمس الهوية الثقافية لشباب الامة الاسلامية للعديد من الامم[9]. وقد ينكر البعض ذلك بحجة مجاراة متطلبات العصر، في حين يعجزون عن تقديم البديل الذي يحقق النهضة مع الحفاظ على هوية الامة الاسلامية[10].

فالاسلام دين يطلب تجرداً في الخيال وسموا في الفكر ونقاء في الارادة والنية، واخلاصاً في العمل والتطبيق وانقطاعاً عن الغير، لا يتصور فوقه اكثر منه، ومستوى في الفكر والعقيدة لم تبلغ الانسانية الى مثله وقد وصف الله نفسه بها لامزيد عليه في الدقة والسمو فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.لكن الفطرة البشرية هي الفطرة

البشرية فالشباب ما يزال هو الشباب باحث عن شيء يراه بعينه فيوجه اليه اشواقه ويقضي به حنينه ويشبع به رغبته الملحة في التعظيم والدنو.

ان مجتمع التكنولوجيا الحديثة يشكل تحديا لشباب الامة الاسلامية[11] حيث يفرض ثقافة البلوجينز والهمبرغر، لذا وجب تجاوز الجانب النظري وتشخيص الواقع باعتبار ان اهم ملامحه السيطرة على المعرفة والمعلوماتية وتجاوز الصناعات الالكترونية الدقيقة[12] ذات الكلفة الباهظة نحو صناعات التحكم في الفضاء، فالعولمة ليست فقط لتلبية حاجات المجتمع الاقتصادية والتقنية وانما تتجاوز ذلك الى الحاجات الروحية والثقافية[13]، وهذا ما انتبه له وزير الخارجية الكندي الاسبق فولكز حين قال : لئن كان الاحتكار امرا سيئا في صناعة استهلاكية فأنه اسوأ الى اقصى درجة في صناعة الثقافة حيث لايقتصر الامر على تثبيت الاسعار وانما تثبيت الافكار ايضا[14].

أهمية الفصل الثامن:

ان خير قدوة يقتدي بها الشباب هي شخصية المصطفى ﷺ فقد أدب الله نبيه وصنعه على عينه منذ نشأ في مكة، فأدب النبي امته وصنعها على عينه منذ بعث، وقد حدثت عائشة رضوان الله عليها عن تربية الرسول محمد ﷺ فقالت: " كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ". تلقاه من ربه فأدب به وحمل نفسه على العمل به قبل أن يحمل غيره، وبنى به نفسه قبل أن يبني به سواه ليكون في عمله لامته القدوة الصالحة والاسوة الحسنة.

أصاخ الى أمر الله : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ فكان خير مثل لامته في العفو عند المقدرة حين قام على رأسه احد الاعداء بالسيف في غفلة من أصحابه فقال له : من يمنعك مني ؟ فقال الرسول محمد ﷺ : الله، فسقط السيف من يد الرجل فالتقطه الرسول وقال للرجل : من يمنعك مني ؟ فقال الرجل : كن خير آخذ، قال

الرسول : قل أشهد ان لا اله الا الله وأني رسول الله، فقال الرجل : لا. غير أني اقابلك ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلوك فخلى الرسول سبيله، فعاد الرجل الى اصحابه فقال لهم : جئتكم من عند خير الناس.

وقد أكمل الله بناء نبيه فكان أشجع الناس وأعدلهم وأسخاهم واصبرهم على الجوع والمكاره، وأشدهم تواضعاً، وأرحمهم بالفقراء والمساكين. بل لقد اجتمعت فيه مكارم الاخلاق كلها فلو تجسمت فضيلة من الفضائل لكانت محمداً (ﷺ) وبكل الاداب الاسلامية أدب اصحابه وبأخلاق القرآن بنى نفوسهم ففتحت اخلاقهم البلاد قبل تفتحها سيوفهم ودانت لاخلاقهم القلوب قبل أن تدين للرماح الاعناق وما أكثر الوصايا التي وصى بها الرسول محمد (ﷺ) وخلفاءه القواد المحاربين بألا يقاتلوا الشيوخ والاطفال والنساء والضعفاء.

هدف الفصل الثامن:

يهدف البحث الى دراسة دور الشباب في المجتمع والمخاطر التي تهدده كما يدرس دور الشباب في عملية التنمية، فعندما يكون مناخ المجتمع الذي يعيش فيه الشباب سالما فأن الفرد الذي يتخرج من هذا المجتمع يكون سالما وصالحا، وبالعكس عندما يكون المناخ الاجتماعي فاسدا فأن الفرد سيتربى على الفساد والافساد، وحتى الذين يريدون اصلاح انفسهم لايجدون الا فرصا ضئيلة لاصلاح انفسهم في المجتمعات الفاسدة.

ويهدف البحث ايضا الى دراسة الشباب ودوامة العولمة، والآن وفي ظل تحديات الغزو الفكري حيث يرفع الغرب مبادئ الرأسمالية في مجال الاقتصاد ومبادئ الديمقراطية في مجال السياسة، ومبادئ الحرية والتحرر التي اقتربت من الفوضى والاباحية في مجال الاجتماع عبر قنوات التواصل الحضاري، وتجعل المجتمع الاسلامي منفصلا عن قيمه

ومثله ومبادئه واخلاقه، والسبب في ذلك ان رسالة الاسلام تغزو العقول والافكار، وتنتشر في الكون بسرعة، فيدخل فيها الناس عن طواعية واختيار لانها تمتاز بالربانية، والخلود، والعالمية، والشمولية، والانقلابية، ومعطياتها التشريعية.

خصائص مرحلة الشباب :

تتصف مرحلة الشباب بصفات عدة اهمها :-

اولا: من الناحية النفسية يكون الشاب سريع الانفعال، شديد الاندماج، ذو مؤهلات قوية، طموحا، يحب التقدم والتفوق والظهور ويحاول ان يبرز في كل عمل يقوم به. وتسير الشخصية في طريقها الى التكامل بشكل تدريجي يسمح للمربي بالمراقبة والتوجيه أويدخل الشاب معترك الحياة في اواسط هذه المرحلة، ويمر بتجارب تكسبه خبرة مواجهة اعباء الحياة[15].

ثانيا: النمو الجسمي في الفترة الاولى[16] من مرحلة الشباب يأخذ اشكالا متنافرة مما يدفع شاب هذه الفترة الى القلق والاضطراب اذا لم يجد من يعينه على تقبل اوضاع التغير الجسمي وادراكا لحقيقة نموه. اما في الفترة العمرية الثانية[17] من هذه المرحلة يصبح النمو الجسمي اكثر اتزانا واستقرارا فيتلائم نمو العضلات مع نمو العظام ويستقر صوت الشاب ويتناسق شكل الانف مع الوجه وتأخذ افرازات الغدد شكلا اكثر طبيعية. ويظهر كل ذلك على شخصية الشاب فيظهر اكثر استقرارا واكثر ثقة مع نفسه ومع المحيطين به.

ثالثا: في المرحلة الاولى يتجه الشاب الى الاستقلالية والتي قد يخيل للبعض انها تمردا والحقيقة انه حينما ينتقل من العلاقات الاسرية الى علاقات الاصدقاء والزملاء انما يبحث عن السلطة في هولاء الاصدقاء والزملاء. ان تقبله لسلطة الجماعة وضوابطها حتى وان كانت لاتتفق مع رغباته الذاتية، يجد فيها السلطة المحببة الى نفسه والتي تهيئ له استقلالا

ذاتيا وابرازا لكيانه الاجتماعي. وفي الفترة الثانية من هذه المرحلة يبدو الشاب اكثر موائمة بين علاقاته الجديدة والقديمة ويعيد للاسرة ثقتها وسلطتها الاجتماعية في ارتباطه بها ويتجه في علاقته مع الاصدقاء والزملاء الى المنطق اكثر منه الى الانفعال العاطفي(18).

رابعا: يبدو الشاب في الفترة الاولى متبرما من الاوضاع المحيطة به. ويعلن تمرده في صورة عدم تقبل للاراء والافكار والاتجاهات التي تعيش فيها اسرته او مدرسته او مجتمعه او عمله. ويصبح عرضة لجذب القوى التي تنادي بتغيير الاوضاع. الا ان تصرفاته تصبح اكثر تعقلا فتربط بين الاسباب والمسببات وتتخذ القرارات في ضوء فكر منطقي اذ يفكر بعمق في هذه الاوضاع بعد ان يكون قد وصل الى مستوى من المعرفة تجعله اكثر قدرة على نقدها نقدا عاما وذاتيا.

خامسا: تبدأ مرحلة الشباب بميل شديد الى الانطلاق في المجتمع والاسهام في نهوضه ولكن ذلك يبدو له صعبا ولايدري من اين يبدأ وباي اسلحة. الا انه في الفترة الثانية يجد فرصته لممارسة الاصلاح الاجتماعي بعد ان يكون قد ادرك مجالات هذا الاصلاح بفضل ما اكتسبه من معرفة تعليمية او عن طريق ممارسته الفعلية للحياة المهنية والاجتماعية(19).

سادسا: ينطلق الشباب في الفترة الاولى نحو الجماعة ويضحي من اجلها ويتفانى في الانتماء اليها وقد يضحي بالمجتمع في سبيل الجماعة اذا لم يوجه التوجيه السليم. وفي الفترة الثانية ينتقل الشاب تدريجيا من سلطة الجماعة الى سلطة المجتمع وتصبح الجماعة اداة لانتمائه الى المجتمع اكثر منها غاية في ذاتها.

سابعا : يرغب الشاب في الفترة الاولى ممارسة وتنفيذ عديد من المشروعات والبرامج. فهو يريد ان ينتهي من مرحلة التعليم ليمارس ذلك وهو يسير بسرعة خلال هذه

المشـروعات والبرامج ثم يبطئ وقد يتوقف تماما قبل الانتهاء من تنفيذها. بينما يلاحـظ في الفترة الثانية يعمل على الانتهاء من برامجه ومشروعاته. لذا وجب تشـجيعه في الفترة الاولى ثم الاثارة وبالتالي مزيد من الانتاج في الفترة الثانية.

ثامنا : يمارس الشاب الانشطة الترويحيـة الرياضـية والاجتماعيـة والفنيـة وغيرهـا بقصد النمو بذاته الاجتماعية لذا فبطولات هذه المرحلـة تتـسم بالذاتيـة المرتبطـة بـالتعلق بالمجتمع كمثير اساس لها. اما الفترة الثانية فيتسم الترويح فيها بالشكل الاجتماعي[20].

تاسعا : تبدا المرحلة باحلام يقظة غير واقعية تتجه بالشاب الى تحقيق رغبات وآمال مكبوتة لاتحددها امكانيات او نوازع خلقية او اجتماعية. وتتحول هـذه الاحـلام في الفـترة الثانية الى آمال اكثر واقعية حيث تتضح له امكانياته وتتسع خبراته.

عاشرا: يفكر الشاب في المهنة التي يرغب العمل بهاوان كان يعمل فعلا فهـو يريـد تحسين العمل لتوفير احتياجاته الذاتية. وفي الفترة الثانية يواجه ظروفا جديـدة بالنـسبة لـه اهمها تكوين اسرة لذا يجد نفسه مطالب بالاستقرار في المهنة وزيادة كسبه.

احدى عشر: يفكر الشاب في الفترة الاولى في الاسرة التي يرغب في تكوينهـا وقـد يمارس علاقات عاطفية كمقدمة لهذا التكوين. اما في الفترة الثانية من هذه المرحلة فعادة ما تتشكل اسرته الجديدة ويجد نفسه امام مسؤوليات اجتماعية. وقد تتعثر علاقاته الاسريـة في بداية حياته. لذا يتطلب توجيها صالحا لتدعيم تماسك الاسرة.

شخصية الشباب والنضج الاجتماعي:

عند ذكر الشباب سرعان مايتبادر الى الذهن صورة الانسان الممتلئ بالقوة والحيويـة المسؤول عن تصرفاته وسلوكه. وتتشكل هذه الصورة في اطار عمر زمني يتفـاوت تقـدير مداه انكماشا وامتدادا في ضوء الاوضاع الاجتماعية السائدة، ان المجتمعات المتقدمة والنامية

تسعى الى اطالة مرحلة الشباب باعتبارها مرحلة الفتوة والنضج التي تحتاجها مثل هذه المجتمعات للنهوض بحياتها الاجتماعية والاقتصادية، لذا فالمعيار الزمني الجاري استخدامه لتحديد مرحلة الشباب يعاني من قصور في تحديد مدى محدد موحد لهذه المرحلة نتيجة تعرضه لمؤثرات اجتماعية متنوعة من مجتمع الى اخر[21].

اما معيار النضج الاجتماعي أي اعتبار مرحلة الشباب مجموعة المواصفات الاجتماعية، فان هذا المقياس على الرغم من انه لايعتمد على سن معينة فقد تمتد هذه الصفات مع الناس الى ما بعد الستين او تظهر في الاربعين او قد تتضح في سن مبكرة، فانه بعوامل اجتماعية تختلف من مجتمع الى اخر، ويلعب التوزيع الجغرافي للسكان، وخاصة توزيعه بين سكان المدن وسكان الريف في تركيب القوى العاملة من ناحية كفاءتها[22].

ويقصد بهذا المعيار مجموعة من الصفات الاجتماعية التي تشكل مستوى اجتماعي اذا ما وصل اليها الانسان اصبح شابا واذا فقدها انتقل الى مرحلة عمرية اخرى. ويتشكل هذا المعيار من مجموعة من الصفات اهمها قدرة الانسان على التعلم وتكوين العلاقات الانسانية والتكيف الاجتماعي والعمل المنتج[23].

ان شخصية الانسان هي محصلة تفاعل قوى موروثة مع قوى اجتماعية مكتسبة. فالانسان يولد بقدرات عقلية وحركية وقابلية على النمو وهيكل بدني وغيرها من العناصر الموروثة ثم يتدرج هذا الانسان في مجتمع يبدأ بالاسرة ثم الجيرة فالاصدقاء فالمدرسة فالمؤسسة الاجتماعية فالمنظمة السياسية فالعمل وغيرها من وحدات المجتمع[24]. فتتفاعل قواه الموروثة مع الظروف الاجتماعية فتحدد شخصيته في ضوء تفاعل القوى السابقة. وترتبط المحصلة بحقائق مهمة في تشكيل حياته وعلاقاته وهي:

1. ان الانسان حين ينتقل من مرحلة الى اخرى تتم خلال كل من هذه المراحل عمليات تنشئة اجتماعية فالتنشئته الاجتماعية عملية مستمرة، حيث تتمثل شخصية الفرد كثيرا من المؤثرات تشكلها وتنقلها الى المراحل التالية(25).

2. قد يبدو ان مرحلة الشباب ترتبط بمظاهر نمو مفاجئة جسمية وعقلية واجتماعية ونفسية ولكن الحقيقة ليست كذلك فقط وانما هو تحوله عن مظاهر تختلف عن مظاهر ماسبقه او يلحقه من مراحل نمو وبالتالي فمشكلات هذه المرحلة تظهر نتيجة امكانيات المجتمع على مقابلة مظاهرنمو الشباب وليس نتيجة نمو الشباب.

3. يجب ادراك حقيقة مهمة عند رعاية الشباب او توجيهه في الدراسة او العمل المناسب ان هناك تفاوت بين شاب واخر في قدراته الجسمية والعقلية والنفسية في نفس المرحلة رغم تشابه مظاهر نموهم.

4. ان مرحلة الشباب هي اشد مراحل العلاقات الجماعية في حياة الانسان فالجماعة بالنسبة له هي المجتمع الاساسي الذي يستقي منها اخلاقياته وسلوكياته وبمعنى اخر هو معرض لذوبان شخصيته في اطار الجماعة. فهو يقبل عليها ويتقبلها بصورة فريدة من نوعها.

5. في مرحلة الشباب يتداخل اعداد الانسان لتحمل المسؤولية عن طريق التعليم واكتساب المعرفة مع ممارسته للمسؤولية عن طريق العمل والمهنة وتكوين الاسرة والمشاركة الاجتماعية فقد يتعلم الانسان تعليما منظما عن طريق المدرسة ثم ينتقل الى المهنة فالاسرة الجديدة وقد لايتسع له المجال خلال هذه المرحلة للتعليم فيبدأها بالعمل والانتاج.

الشباب في دوامة العولمة وعصر المعلوماتية:

ان الاعلام هو رأس الحربة المؤثر على مستقبل الوجود القومي للشعوب والامم العربية بصفة خاصة، كما ان العولمة واقع معاش ويرى الكثير من الافضل ليس البحث عن وسائل مقاومتها وانما كيفية التعامل مع مقتضياتها وخاصة في مجالي الثقافة والاعلام[26]، فضلا عن ان النظام الرأسمالي عزز هيمنته عبر ثورة المعلومات والتقنية المعاصرة حيث تكرس نمط الانتاج الرأسمالي مما ساعد على تركيز الثروة في مؤسساته وقواه الطبقية[27] واعتبر ان الاعلام من اهم الوسائل التي بامكانها لعب دور فاعل في السياسات الاجتماعية ذات العلاقة بعمليات التغيير[28].

ان دمج الاعلام والمعلومات في اطار العولمة التي تصب في دعم اسس النظام العالمي الجديد، مما ينتج عنه التأثير في البنى الثقافية للشعوب بصورة سلبية حيث يتم توظيف الاعلام لتوسيع هذه الفجوة والقضاء على الاعلام الجماهيري وترويج الاعلام الفئوي[29]، فضلا عن ان الاعلام اصبح وسيلة يتم توظيفها لخدمة منطق العولمة واختراق السيادة القومية واشاعة الثقافة الاقتصادية وثقافة قيم، وعليه لابد من الاهتمام بالاعلام الذي يعتبر الاساس لمجتمع العولمة وتوظيفه لصالح الحفاظ على الثقافة العربية ومما فيها من المسج[30].

ان العراق ليس مجرد ارض وشعب، لابل انهما معا دلالة عنصرية التفاعل المنجز ما بين خبرة تاريخية متراكمة وادارة انسانية رشيدة منحت المكان والانسان هويته المميزة، ولذلك قال الحكماء العرب والمسلمون ان العراق جمجمة العرب، وقال قدماؤه ان من يملك العراق يملك الجهات الاربع، وقال ارنولد توينبي ان العراق مركز الارض، واشار جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا الاسبق الى ان العراق هو اخطر بقعة على الارض[31].

ان صورة النشاط الاقتصادي في العراق لم تكن مطمئنة بسبب ما عانته من مشكلات وخاصة تلك التي خلقتها ظروف الحصار الذي طال لأكثر من اثنتي عشرة سنة[32]، وكان من المتوقع والمعلن ان قوات الاحتلال الامريكي ستأتي بحلول ومعالجات سريعة، وان توفر المناخ الملائم للاقتصاد العراقي ليعاد تفعيله وانقاذه من التدهور الذي عاناه خلال التسعينات، ولكن لم تتخذ اية اجراءات ممكن ان يستشف منها بان العراق قد وقف على الطريق الصحيح، فضلا عن ظهور بعض المشكلات كانت على العكس مما توقعه الناس من دولة عظمى تتجه نحو قيادة العالم ومن الوعود التي اعلنت حول مستقبل العراق الجديد، مما تسبب في حالة احباط لدى الكثير من الشباب[33].

لقد ادى استشراء ظاهرة الشركات المتعددة الجنسيات، مع سيطرتها على الاستثمار والانتاج والتجارة الدولية والخبرة التكنولوجية مثل شركات IBM، ومايكرو سوفت وغيرها، خاصة بعد ان ساوت منظمة التجارة العالمية بين هذه الشركات، والشركات الوطنية في المعاملة[34]. وقد ارتبط مفهوم الالكترونيات وتجارتها بالعولمة، فقد جاء في تعريف العولمة انها نظام عالمي جديد يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والابداع التقني غير المحدد، دون وضع اعتبار للانظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم. ويعني سعة المبادلات بين البلدان والمناطق وسرعة انتشار قطاع التمويل والعملات المالية والمعلوماتية والثقافية وكذلك الاسواق المعولمة[35].

باسقاط منطق الحدود والحواجز الاقتصادية عن طريق العولمة الاقتصادية وباسقاط منطق الجغرافية ومنطق الاراضي عن طريق عولمة الثقافة تنتقل مقومات السيادة الاقتصادية والتكنولوجية بصورة كلية او جزئية الى سلطة القرار السياسي الاقتصادي والتكنولوجي لمؤسسات (برتن وودز) والمؤسسات الدولية الاخرى، كمنظمة التجارة

العالمية وغيرها من المنظمات والى الشركات المتعددة الجنسيات ومراكز المنظومة الرأسمالية في المرحلة الاولى في اقتصاد القرن الحادي والعشرين، وكذلك الى الشركات المتعددة الجنسيات في المرحلة المتأخرة من القرن الحادي والعشرين[36].

لقد ادت الثورة العلمية والتكنولوجية الى تضخم وانتشار نشاطات الشركات المتعددة الجنسيات في العالم ذات الكثافة التكنولوجية والعمل واستعمال الموارد، كما ادت الفوائض المالية من اليورو الاوربي والفوائض النفطية المدورة الى ظهور المصارف غير الوطنية العالمية التي ساعدت على انتشار الكثير من الشركات المتعددة الجنسيات، كما ان الشركات هذه اصبحت ملكيتها جماعية وتعود الى افراد معدودين، كما ان اسهمها تعود الى افراد من جنسيات مختلفة رأسمالية ونامية[37].

لقد كانت العولمة نتاج النشاط الواسع والمترامي الاطراف للشركات متعددة الجنسيات او عابرة القوميات المتحللة من القيود والحدود (والتي تعد العالم باجمعه ساحتها الرحبة لممارسة نشاطها الاقتصادي) واصبحت تغير المسرح الاقتصادي بطرائق جوهرية يحركها الاندفاع الواسع النطاق صوب تحرير التجارة، وأسواق راس المال، وزيادة انتاج الشركات واستراتيجيات التوزيع والتغيير التكنولوجي الذي يزيل الحواجز التي تعترض امكانيات التجارة الدولية من السلع والخدمات وحركة رؤوس الاموال[38].

الدولة في حاجة الى رجولة الشباب:

استعمل القرآن الكريم كلمة رجالاً وصفاً للمصطفين الاخيار الذين اختارهم الله من الناس وابتعثهم لقيادة الامم وتحرير الشعوب وهداية الانسانية، وتكرر هذا الإستعمال في عدة ايات من كتاب الله. قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾[39] وساق الكتاب العزيز هذه الكلمة وصفا للاطهار والابطال قال تعالى : ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ

﴿أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[40]. وقال جل شأنه : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾[41]. ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[42].

ان المجتمع بحاجة الى رجولة ليحق الحق، ويتمثل الحق في العقيدة الصحيحة، والعلم النافع، والعمل الصالح، والخلق الكريم، فضلا من الصراع في الحق والباطل ضريم، ودائما تكون الغلبة للحق، لانه الثابت النافع، كما تكون الهزيمة للباطل قال تعالى في كتابه الكريم ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[43] وقال ايضا ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[45].

الرجولة مجموعة من الصفات النفسية والخلقية والعقلية تنسقها و توجهها عقيدة تقدس الحق، وتفنى في سبيله وتعرف الواجب وتنهض لادائه مهما كلفها من نصب، وتهيم بمعالي الامور وتترفع عن سفافها. وليست الرجولة ارادة قوية تظلم وتبطش، ولا رحمة رخوة تمالىء في الحق وتجامل على حسابه ولا عقلاً محتالاً يبرر الدنية ويتلمس المعاذير لقبول الهوان والصغار قال تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[46].

والوصف بالرجولة في القرآن الكريم في هذه المواطن وفي المواقف التي يتوارى فيها الجبناء ليس عفواً، بل هو تعبير مقصود يوحي بمقومات هذه الصفة من جرأة في الحق ومناصرة للقائمين عليه قال تعالى : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[47] و﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾[48] وقال سبحانه ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[49].

وتتجلى الرجولة بأكمل معانيها وصورها الحية في الرجل الاول والنبي الاول والرسول الخاتم محمد ﷺ ، فحياته كلها كانت عنواناً على الرجولة الحقة[50] وهو القائل : "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك دونه ما تركته ". وما اشد حاجتنا في هذه الظروف التي تتعرض فيها الامة الاسلامية لغزو اقطارنا قطراً قطرا الى التذكير بموقف من المواقف الحاسمة للرسول محمد ﷺ ، اعتصم فيه بالحق، فلم ينكص عنه لقلة جنده، ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه[51] .

وقد غني تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين او ادنى منهم، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة، ولو ان رجولتهم خانتهم فتخلوا عن واجبهم واستسلموا لشهوات السلطات واثروا العافية على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية، لتغير وجه التاريخ وكانوا امثولة للاجيال من بعدهم قال تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[52] .

ونذكر في هذا الصدد موقف ابي بكر خليفة رسول الله في حروب الردة فقد اثارته ردة المرتدين واغضبته اشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع، ورفض ان يلين ويقبل منهم جزءاً من الاسلام ويتسامح في جزء اخر منه وصمم على الحرب ولم يقبل الا الاسلام كله، لم ينقص منه شيء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك قال تعالى ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[53] وقال ايضا ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[54] وقال ايضا ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾[55] .

والرجولة ليست صفة كمال في الفرد، وجودها وفقدانها فيه لاينقص في شخصيته فهي صفة اساسية فيه فالناس اذا فقدوا اخلاق الرجولة صاروا اشباه رجال غثاء. كغثاء السيل، ذباب يتهاوى، طبل اجوف، جعجعة ولا طحن، وقديما قال العرب: ترى الفتيان كالنخل وما يدرك ما النخل. والامة الاسلامية لاتحتاج الى علم، ولا تفتقر الى ثروة بقدر ما تحتاج الى رجولة وهي لم تؤت من قلة عددها ولا من ضيق رقعتها ولا من جدب اراضيها وانما اصابها الضعف والوهن ودب فيها داء الامم من تهالكها على الشهوات وتقاتلها على الجاه والمركز وشيوع الملق والنفاق بن القادة والجماهير على حد سواء، واخلاق الرجولة من اساسيات الزعامة الناجحة والقيادة الظافرة فهي تفرض على القائد والزعيم ان يفكر في امته قبل ان يفكر في نفسه، وان يرى المنصب وسيلة للخدمة العامة لا للجاه والثراء وان يتخلى عن مركزه عندما يشعر بأن غيره اقدر منه على حمل العبء والنهوض بالمسؤولية.

وكل فرد في الامة محتاج الى هذه الاخلاق مهما كان مستواه الاجتماعي ووضعه الوظيفي والمهني في المجتمع ففي الرجولة متسع للجميع وهي ميدان فسيح تتنافس فيه علماء الامة وساستها وادباءها وفنانيها ومدرسيها وطلبتها وتجارها وصناعها، واقواهم رجولة اقدرهم على خدمة امته وانفعهم للناس.

دور الشباب في عملية التنمية :

ينبغي اختيار استيراتيجية التنمية الملائمة في ظل الازمات، اذ تتعلق التنمية باطلاق الامكانيات البشرية وتوسيع خيارات الناس، ويرادف هذا حاليا مايصفه امارتياسين Amartya Sen[56] بعبارة (التنمية هي حرية)[57]، وتتطلب استيراتيجية التنمية بالضرورة ازالة تدريجية للاحتلال، فهي ببساطة لاتستطيع تتعايش معه، فأحدهما ينفي الاخر مالم تنسق بين الاثنين عملية اسقاطة سلبية وتراكمية[58].

ان الاسلام من طبيعته الحركة والنشاط، كما يجب لاهله ان يحيوا كأقوى ماتكون الحياة، وان يناضلوا كأشد ما يكون النضال، وان يكون لهم في كل ميدان عمل حتى تتحقق لهم السيادة والقيادة عن جدارة واستحقاق[59]. واسلوب الاسلام في الدعوة الى العمل متميز لايكاد يضاهيه اويقاربه أي اسلوب اخر، اذ ان غايته في الحياة هي احسان العمل واتقانه واظهار المواهب وابراز القوى الكامنة في النفس الانسانية.

قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾[60]، وقال تعالى ايضا ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[61]، وقال ايضا ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[62].

وقال النبي محمد ﷺ ليس الايمان بالتمني، ولكن ماوقر في القلب، وصدقه العمل. وان قوما غرتهم الاماني حتى خرجوا من الدنيا، ولاحسن لهم وقالوا : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل "، وقال عليه افضل الصلاة والسلام " الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والاحمق من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الاماني "، وقال ﷺ " اعملي يافاطمة : فأني لااغني عنك من الله شيئاً "، فالاسلام يلون الخطاب في الدعوة الى العمل ليستفرغ الانسان طاقته واقصى جهده فيه[63].

فضلاً عن ان الامر المؤكد من اختيار استيراتيجيات التنمية الملائمة ليس شأنا مستقلا عن الرؤية الكلية لمستقبل الاقتصاد والمجتمع والسياق الذي يحدد الاسوار الخارجية التي تقدر الحدود والقوى التي تشكل الحاضر والميراث الكامل للماضي من دون فقدان البصيرة بالاهداف الطويلة الاجل للتنمية[64]. وعليه يجب الاخذ بنظر الاعتبار منطق العولمة الذي يقوم على استيعاد الشعوب معينة بزعم الانغلاق والشمولية وعدم التسامح ورفض

الاندماج في التقاليد والقيم الامريكية واسلوب الحياة الذي تسعى الولايات المتحدة الامريكية لعولمته.

يضاف الى ذلك ان العولمة لا تسعى لتفاعل الثقافات والافراد والمجموعات الاجتماعية والشعوب، وانما الضغط لافساح المجال لنفاذ التدفقات الامريكية من سلع ومواد اعلامية دون تحقيق امكانيات التواصل الثقافي والمشاركة بدل الالحاق والاقصاء الثقافي عبر الاحتكارات العالمية الهائلة التي تسعى للسيطرة على الشعوب والبلدان الاخرى وغزو اسواقها والهيمنة على مقدراتها القومية ساعية لمسخ ثقافتها عبر تفكيك القوميات والهويات والاقتصاديات واعادة البناء على اساس سيطرة السوق وتقديس الاستهلاك الترفي والمضاربات.

استغلال اوقات الفراغ:

الفراغ بمعنى خلو اليد من العمل الجاد، وخلو العقل من الفكر الباحث هو الضياع الذي ليس بعده ضياع والفراغ بمعنى الاعتماد على الغير في كل عمل يحتاج اليه مع القدرة على الاستقلال به، او المشاركة في انجازه، والفراغ بمعنى تعطيل المواهب وقبر القدرات، اكتفاء بمواهب الناس وقدراتهم، هو الداء العياء والمرض العضال. والفراغ بمعنى الوقوف عند حد من الكسب، او حد من الخبرة مع الفسحة في العمر والقدرة على المزيد والتجديد، هو الزهد الكاذب والنقص الكبير.

والفراغ بمعنى انقضاء العمر يوماً فيوماً وعاماً فعاماً دون سعي الى تحصيل علم، او اكتساب خبرة استناداً الى حسب او نسب، او اكتفاء بمال موروث هو التسول الحقيقي والفقر المشين. و يتزايد وقت الفراغ باستمرار العمل نتيجة لارتفاع كفاءة العمل

والصناعة، وبالاخص نتيجة للزيادة المطردة في استخدام الآلات. ويتيح وقت الفراغ المتزايد وقتا يصلح للقيام ببعض الوان النشاط مثل تعليم المهارات للشباب[65].

والانسان الفارغ المكفى الطاعم الكاسي كيف يستطيب الحياة او يجد لها طعماً، وهو لايبذل جهداً ولا يغبر قدماً ولا يكد ذهناً. كيف يكسب احترام الناس وثقتهم من يعيش عالة على سواه يأتيه رزقه رغداً من كل مكان لا لكفاية نادرة، ولا لموهبة خلاقة، ولكنه لانه الحسيب النسيب ابن الاصول والاسياد. ان العربي القديم بفطرته الصافية وطبيعته السوية، وتقديره الصحيح لقيمة الوقت ابى ان يمنح الفارغ المكفى احترامه وتقديره، بل اسقطه من حسابه، ولم يعده في عداد الرجال، ولم يعول عليه في النهوض لكريهة او تحصيل مكرمه او الدفاع عن حمى بل امتهنه وشهر به في شعره السائر:

دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

وثمة مشكلة اساسية تتعلق بوقت الفراغ وفي تعريفه، وهل يعني وقت الفراغ الوقت الذي نستطيع فيه ان نقوم باي عمل نريد ؟ هل وقت الفراغ هو هدف كل عمل كما اشار آرسطو بذلك ؟ هل هو الفرص التي تتاح للناس كي يقوموا بمناشط لاتتطلبها ضرورة الحصول على الطعام، اومأوى، او ملبس ؟ ماهي المعاني المتنوعة التي يتسم بها وقت الفراغ[66].

قد يكون من المتوقع ان زيادة وقت الفراغ ستؤدى الى حياة ثقافية ارقى لغالبية الناس. وقد اوضحت الدراسات المقارنة في شغل وقت الفراغ ان الارتفاع في المكانة الاجتماعية، او الدخل، او قلة ساعات العمل وزيادة الاحساس بالأمن، لاتؤدى بالضرورة الى الاهتمام بمستويات ثقافية عالية[67].

الا ان هذه العقول الفارغة والنفوس المغلقة والحواس المعطلة والمواهب المطموسة، اوعية للتأخر والجمود والهوان، ولندع هؤلاء الذين منحوا انفسهم اجازة تفرغ للراحة طول الحياة فهم فارغون دائما لايسترحون الا من عناء الراحة لندعهم وشأنهم وكان الله في عونهم و عون امتهم الى فريق اخر يعمل ولكنه لا يعمل طول وقت العمل ولا نصفه، أو انقص منه قليلا، وينتج ولكنك لو حسبت ما ينتجه من العمل، وما يصرف من الوقت لراعك مقدار الزمن التالف والوقت الضائع[68].

فاذا لم يقترن الارتفاع في مستوى المعيشة باستثارة الرغبة في الوصول الى بعض المستويات الثقافية واكتساب قيم تحدد استخدامنا لوقت الفراغ، فان وقت الفراغ المتاح قد يؤدى الى الملل والتفكك الاجتماعي العام. وثمة دلائل تشير الى ان المجتمع الصناعي الحديث قد اصبح عاجزا عن تكوين قيم جديدة قد تشكل بفاعلية عملية القيام بالعمل وشغل وقت الفراغ في اطارعام متكامل. فاذا راقبنا الموظفين في مكاتبهم ومواقع عملهم تجد مظاهر هذا الفراغ كثيرة ومتنوعة، تجد الكثير ليس لديه عمل يشغل وقته ولهذا يبحث عن الاساليب والوسائل المختلفة لشغل هذا الفراغ[69]. ان الشخصية الانسانية تميل الى الانحلال، كذلك تميل المجتمعات الى التفكك. ويستطيع الاسلام ان يلعب دورا حاسما في المجتمع نحو تحقيق اكبر قسط من التكامل بين العمل ووقت الفراغ بقصد تحسين انماط الحياة وتقوية العلاقات المجتمعية.

وبجانب طبقة عالية من موظفين كبار سابقين لهم كفايتهم ولهم خبرتهم ولكنهم لايعملون، ولا ينتجون، ولا يشغلون انفسهم بعمل ما في انتظار تحول الاحوال وتغير الاوضاع وانتهاز الفرص لتحقيق الحلم اللذيذ والعودة الى المنصب المرموق. ولو تجاوزنا وقت العمل الرسمي الى بقية اليوم وحسبنا كم يمضي من الوقت في الجلوس في المقاهي والتردد على الاندية والسهر في المسارح والسينما واللف والدوران على الملاهي والمراقص،

لو فكرنا في هذا الوقت الضائع لوجدنا فراغا كبيراً لا يستفيد منه الفارغون في عقلهم او جسدهم ولا تستفيد منه الامة عملاً نافعاً يزيد من انتاجها ويضاعف من قوتها مئات الالاف من الساعات تضيع من عمر الامة في يوم واحد، ليس فيها عمل لا للدنيا ولا للاخرة وليس فيها رياضة بدنية ولا رياضة عقلية[70].

وهناك اسئلة اخرى يجب ان تثار فيما يتعلق بوقت الفراغ.هل يمكن اعتبارالترويح ذا صبغة علاجية لوقاية الناس من الوقوع في المتاعب ؟ او هل يمكن استخدامه كعامل ناجح في تنمية الشخصية والقيم الاخلاقية وتدعيم السعادة الانسانية ؟ ماهي العلاقة بين العمل ومعنى وقت الفراغ في مجتمع كبير، ما هو دور القيادة في تحديد وسائل شغل وقت الفراغ، وتقييم الاذواق والمهارات وتنمية الموارد وتكوين الاهتمامات من اجل التمثيل الثقافي وغير ذلك من خبرات فردية واجتماعية مشبعة ؟ ماهي العلاقة بين الاهتمامات المهنية والتوافق بين الفرد وعمله والاغراض المرجوة من شغل وقت الفراغ ؟ ماهو دور ومسؤلية تعليم الكبار بالنسبة لهذه الاسئلة ؟ يجب دراسة هذه الاسئلة وغيرها كي تعطينا افضل فكرة عن وقت الفراغ ودوره[71].

وهناك الوان كثيرة من اللهو، وفنون من الرياضة أقرها الاسلام ترويحاً عن النفس وتجديداً لنشاطها وترويحاً عن القلوب وجلاء لهمومها، هناك السباحة والرماية والفروسية، ومن مأثورات عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) :(علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً) وقال عليه الصلاة والسلام :(عليكم بالرمى فانه ليس من اللهو) وقال(كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو الا اربع خصال : مشى رجل بين الغرضين(للرمى) وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليمه السباحة) وهناك الصيد وهو رياضة ومتعة وكسب : صيد البر بالنبال والرماح والجوارح كالكلاب المعلمة والصقور، وصيد البحر[72].

الاراضي الخصبة المترامية مهملة ومعطلة، وفي حاجة الى مشروعات وايد تعمرها وتستنبتها الثروات الطبيعية المخبوءة في باطن الارض ضخمة وفي حاجة الى عقول وجهود لاستخراجها الامية والجهالة نسبتها مرتفعة وفي حاجة الى كتائب لمحوها وازالتها. وكذلك التخلف العلمي والصناعي والثقافي في حاجة الى من يتصدى لانقاذنا منه[73].

توصيات الفصل الثامن:

لقد خرج البحث بالتوصيات التالية:

1. تشغيل الشباب في فترات العطل في مشاريع اقتصاديه تدر عليهم بالاموال.
2. ايجاد فرص العمل العديدة في مختلف شؤون الانتاج لاستيعاب الملايين من العاطلين عن العمل.
3. استثمار هوايات الشباب في مختلف شؤون والحقول وذلك بايجاد النوادي التي تحتوي على مختلف الانشطة من خط ورسم وزخرفة وكومبيوتر وما اشبه ذلك.
4. الاهتمام بذوي الكفاءت العلمية بايجاد معامل مصغرة ومختبرات تجريبية في مختلف الشؤون العلمية من كهرباء وميكانيك.
5. ايجاد الفرق الرياضية المفيدة والعمل على تشجيع المسابقات الرياضية بين فرق الشباب كفن السباحة والسباق والرماية.
6. التوجه الى حل المشاكل الاجتماعية للشباب وتوفير الوسائل المادية للزواج وتسهيل امره من خلال اقامة لجان للتزويج والتبسيط في نفقات وبرامج الزواج.
7. اشاعة الاخلاق الاسلامية والفضيلة والتقوى في المجتمع لان الاخلاق السامية من اهم اسباب الوقاية.

8. التزام الاباء والامهات بالاخلاق والفضيلة والتقوى ليكونوا نموذجاً عملياً صادقاً للاولاد.

9. تطبيق القواعد الاخلاقية والقوانين الاسلامية في المجتمع كالصدق والمساواة والايثار وحسن الخلق والتعاون على البر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

10. اشاعة روح الشورى في المجتمع ومكافحة روح الاستبداد والطغيان والديمقراطية.

هوامش ومصادر الفصل الثامن:

1. سورة النور، اية 37.
2. سورة التوبة، اية 94.
3. سورة الاحزاب،، اية 72.
4. سورة الاحقاف، اية 19.
5. سورة الزلزلة، اية 7-8.
6. سورة البقرة، اية 186.
7. عبد المنعم سعيد، النظام الدولي بين النهوض والاستقرار، التقرير الستراتيجي العربي، مركز الدراسات السياسية والستراتيجية باللاهرام، القاهرة،1994، ص24.
8. د.رواء زكي يونس الطويل، جدوى استيراد الالكترونيات، مؤتمر الاقتصاد السادس، التجارة الخارجية ومستقبل التنمية،16-18 تشرين الاول 2001، قسم

الاقتصاد في كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة اليرموك، اربد، الاردن، 2001، ص4.

9. جلال امين، العولمة والدولة، مجلة المستقبل العربي، العدد 228بيروت، لبنان،1998، ص27.

10. اسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة، الرأسمالية مابعد الامبريالية، المستقبل العربي، العدد 222، بيروت،1997، ص15-16.

11. د.رواء زكي يونس الطويل، الحصانة في مواجهة العولمة وعصر المعلوماتية، مجلة المفكر الاسلامي، منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي العالمي، العدد الثاني، السنة الاولى، العراق،2002.

12. ألفن توفلر، موجة الحضارة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر، ط1، بنغازي، 1990، ص352.

13. روبرت هيليروز، رأسمالية القرن الحادي والعشرين، ترجمة كمال السيد، مركز الاهرام للترجمة والنشر،1995، القاهرة، ص60.

14. احمد محفوظ بيه، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 295،2003، ص160-167.

15. د.خير الدين شريف العمري، علم النفس والتمريض العقلي، ط1، مطبعة الجمهور، موصل، العراق،1974، ص14.

16. تمتد المرحلة الاولى من 15 الى 22.

17. تبدأ المرحلة الثانية من 22.

18. مليحة عوني القصير، د.صبيح عبد المنعم احمد، علم اجتماع العائلة، مطبعة جامعة بغداد، العراق،1984.

19. محمود حافظ مصطفى، الانسان والبيئة والتنمية، القاهرة، مصر،1972.

20. حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، دار الهنا للطباعة، ط5، القاهرة،1984.

21. د.كمال دسوقي، الاجتماع ودراسة المجتمع، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر،1971.

22. د.السيد عبد المولى، اصول الاقتصاد، دار الفكر العربي، مكتبة الحقوق، جامعة القاهرة، مصر،1975، ص210.

23. د.عادل عبد الحسين شكارة، دور الشباب العربي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، مجلة كلية الاداب، العدد 34، جامعة بغداد، العراق،1986.

24. د.عبد اللطيف العاني، مليحة عوني، د.معن خليل، المدخل الى علم الاجتماع، جامعة بغداد، العراق،1990.

25. التي تصب فيها مؤثرات مستمرة تمكنها من تنمية الشخصية الانسانية او تعديلها في اطار الاوضاع الاجتماعية التي يعيشها الانسان. كذلك مرحلة الشباب يمكن خلالها تنمية شخصية الانسان او تعديل ما اصاب هذه الشخصية من سلوك.

26. د.محي الدين حسين عبدالله الطائي، العولمة واشكالية الثنائية(اقتصاد - دولة)، مجلة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة، العدد الاول، السنة الثانية، العراق،2000، ص29-36.

27. د.رواء زكي يونس الطويل، العولمة واختراق المجتمع الاسلامي، مجلة المفكر الاسلامي، منظمة المؤتمر الاسلامي، العدد الرابع، السنة الاولى، بغداد، العراق،2002.

28. د.عبد علي كاظم المعموري، العولمة :محاولة الرأسمالية للتكيف مع ازمتها، كلية الادارة والاقتصاد جامعة بابل، العراق،2000، ص18.

29. د.رواء زكي يونس الطويل، اتجاهات التطور التقني الالكتروني في الدول العربية والنامية، مجلة كلية العلوم الاساسية، جامعة الموصل،2005، ص11.

30. ابراهيم العيسوي، التصنيع: طريق النماء ام طريق الشقاء، نشرة الرباط، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، العدد 12،1998، ص1.

31. د. عدنان ياسين، التنمية الاجتماعية في العراق: المسارات والافاق، مجلة المستقبل العربي، العدد 295، بيروت، لبنان،2003، ص69.

32. باسل جودت الحسيني، السياسات الاقتصادية في العراق: الواقع الراهن مع نظرة مستقبلية، مجلة المستقبل العربي، العدد 295، لبنان، بيروت،2003، ص88-102.

33. ان عدم عودة مؤسسات الدولة الى عملها الطبيعي وبخاصة دوائر الامن والشرطة زاد من حالة الفوضى التي عمت بغداد ومدن العراق بعد الحرب.فان غياب السلطة وعدم ايقاف المتجاوزين على القانون عند حدهم، شجع الاخرين على القيام بأعمال السلب والنهب والسطو المسلح على السيارات وبشكل مفضوح من دون خوف من أي احد. فكيف يمكن ان يبدأ أي نشاط اقتصادي تحت مثل هذه

الظروف، اذا انتشرت ظاهرة(سوق الحرامية) يبيعون كل ماسرقوه من الدولة وغيرها علناً وهم مسلحون لايأبهون بما يقومون به.

34. كيمبرلي أن اليوت، ترجمة محمد جمال امام، عرض خالد الفيشاوي، الفساد والاقتصاد العالمي، العربي، 539، الكويت، 2003.

35. حلباوي.يوسف، الثقافة في الوطن العربي مفهومها وتحليلها، 21، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992.

36. حتي. ناصيف، العرب وثورة التناقضات، مجلة المستقبل العربي، العدد 200، بيروت، 1995، ص12.

37. الطويل. رواء زكي يونس، العولمة ونقل التنولوجيا، مصدر سابق، ص94.

38. الجميلي. حميد، الهيمنة الامريكيةواقتصاد القرن الحادي والعشرين، شؤون سياسية، العدد 5، السنة الثانية، 1997، ص89.

39. سورة يوسف، اية 109، سورة النحل، اية 43، سورة الانبياء، اية 7.

40. سورة التوبة، اية 108.

41. سورة النور، اية 37.

42. سورة الاحزاب، اية 28.

43. سورة سبأ، اية 48-49.

44. سورة الانبياء، اية 18.

45. سورة الاسراء، اية 81.

46. سورة الشورة، اية 13.

47. سورة القصص، اية 20.

48. سورة يس، اية 20.

49. سورة المؤمنون، اية 28.

50. رضوان البيلي، الرجولة، مجلة الوعي الاسلامي، 7، 83، الكويت، 1971، ص4.

51. وروى ابن اسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه حضر قريشاً يوماً وقد اجتمع اشرافهم في الحجر فذكروا رسول الله فقالوا: مارأينا مثل ما صبرنا عليه من امر هذا الرجل قط سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا...لقد صبرنا على امر عظيم فبيناهم في ذلك اذ اطلع رسول الله فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول فعرف ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال:((اتسمعون يا معشر قريش، اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح)) فأخذ القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم وصاة فيه قبل ذلك ليرفؤه، ويلاطفه بأحسن مايجد من القول حتى انه ليقول: انصرف يا ابا القاسم والله ما كنت جهولا. وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين او ادنى منهم، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة، ولو ان رجولتهم خانتهم فتخلوا عن واجبهم واستسلموا لشهوات السلطات واثروا العافية على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية، لتغير وجه التاريخ وكانوا امثولة للاجيال

منْ بعدهم قال تعالى﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

ونذكر في هذا الصدد موقف ابي بكر خليفة رسول الله في حروب الردة فقد اثارته ردة المرتدين واغضبته اشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع، ورفض ان يلين ويقبل منهم جزءاً من الاسلام ويتسامح في جزء اخر منه وصمم على الحرب ولم يقبل الا الاسلام كله، لم ينقص منه شيء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك قال تعالى ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ وقال ايضا ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وقال ايضا ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾.

52. سورة ال عمران، اية 140.

53. سورة الزخرف، اية 43-44.

54. سورة الانبياء، اية 10.

55. سورة الاعراف، اية 170.

56. Amartya Sen, Development as Freedom , New York, Oxford University press, 1999.

57. اذ تعرف الحرية بمعنى واسع بحيث تشمل الحرية من الجوع، ومن القهر، ومن كل ما يقف عقبة في طريق مشاركة الناس مشاركة تامة بلا عوائق في تشكيل مستقبلهم.

58. عاطف قبرصي، استراتيجيات التنمية في ظروف الازمات، قسم الاقتصاد، جامعة ماك ماستر، كندا،2003، ص46.

59. السيد سابق، عناصر القوة في الاسلام، جامعة الازهر، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت لبنان، 1978، ص162.

60. سورة الكهف، اية 7-8.

61. سورة هود، اية 7.

62. سورة التوبة، اية 120-121.

63. السيد سابق، مصدر سابق، ص164.

64. علي قادري، اعادة بناء العراق، قسم التحليل الاقتصادي، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب اسيا، 2003، ص47.

65. جان لندن، العوامل الاجتماعية التي تؤثر في تعليم الكبار في المجتمع، مطابع دار الكاتب العربي، القاهرة،1968، ص56.

66. هذا الفراغ الذي يعيشه الفارغون بلا قيود ولا حدود أخطر ما يكون على حياة اصحابه وحياة المجتمع الذي يضمهم ويؤويهم لانه يسوقهم الى الانحراف والفساد واشباع النزوات، وبهذا الانحراف والفساد يخربون بيوتهم بأيديهم ويدمرون حياتهم ويقتلون انفسهم بأنفسهم وما يقبل انسان حر يحس بوجوده ويشعر بشخصيته ويتفهم رسالته في الحياة ان يعيش واهن العزم منحل الارادة، خائر القوى يكفيه من دنياه ان يطعم اطيب الطعام، ويلبس ارفه الثياب ويركب ارفه

المراكب ينتقل من الظل الى الشمس شتاء ويتحول عن الشمس الى الظل صيفاً ويظل يدور حياته كلها في هذا المدار.

67. ولبر هالتبك واخرون، المجتمع وتعليم الكبار، مطابع دار الكاتب العربي، القاهرة،1968، ص57.

68. وايا كان السبب في هذا:التضخم الوظيفي بلغة دواوين الموظفين ومجالس التخطيط وأدارات الاحصاء واسناد عمل الوحد الى الثلاثة او الاربعة او عدم كفاءة الموظف للعمل لأنه وضع في المكان غير المناسب او حالته النفسية واحساسه بالغبن الواقع عليه لعدم تقديره وانصافه، او الاستخفاف بالمسئولية وعدم المبالاة والامان من الحساب والمجازاة لأنه مسنود محسوب... أيا كان السبب فيوجد فراغ كبير لا يملؤه عمل ولا يسده انتاج، هناك طاقات ضخمة مهملة وقوى كبيرة ضائعة، وثروة طائلة مبددة ومصالح كثيرة معطلة.

69. تجده يضيع وقت العمل في طعام خفيف يتناوله و قهوة او شاي يشربه وصحيفة او مجلة يقلب صفحاتها وفي استقبال صديق يقضي معه الساعات الطوال في حديث، او في محادثة تلفونية لا تمت لمصلحة العمل بصلة، فاذا استنفذ هذه الوسائل والاساليب انتقل الى مكتب رئيسه يتملقه ويتزلف اليه ويشكو له كذبا من كثرة العمل او عرج على زميل له يشغله عن عمله وليس هذا قصرا على حملة الاقلام واصحاب المكاتب، بل لو راقبت قاطع الاشجار في طريق من الطرق لوجدت انه يقطع في الساعات الطوال ما يستطيع ان يقطعه في ساعة واحدة وبقية الوقت فراغ في فراغ وضياع في ضياع.

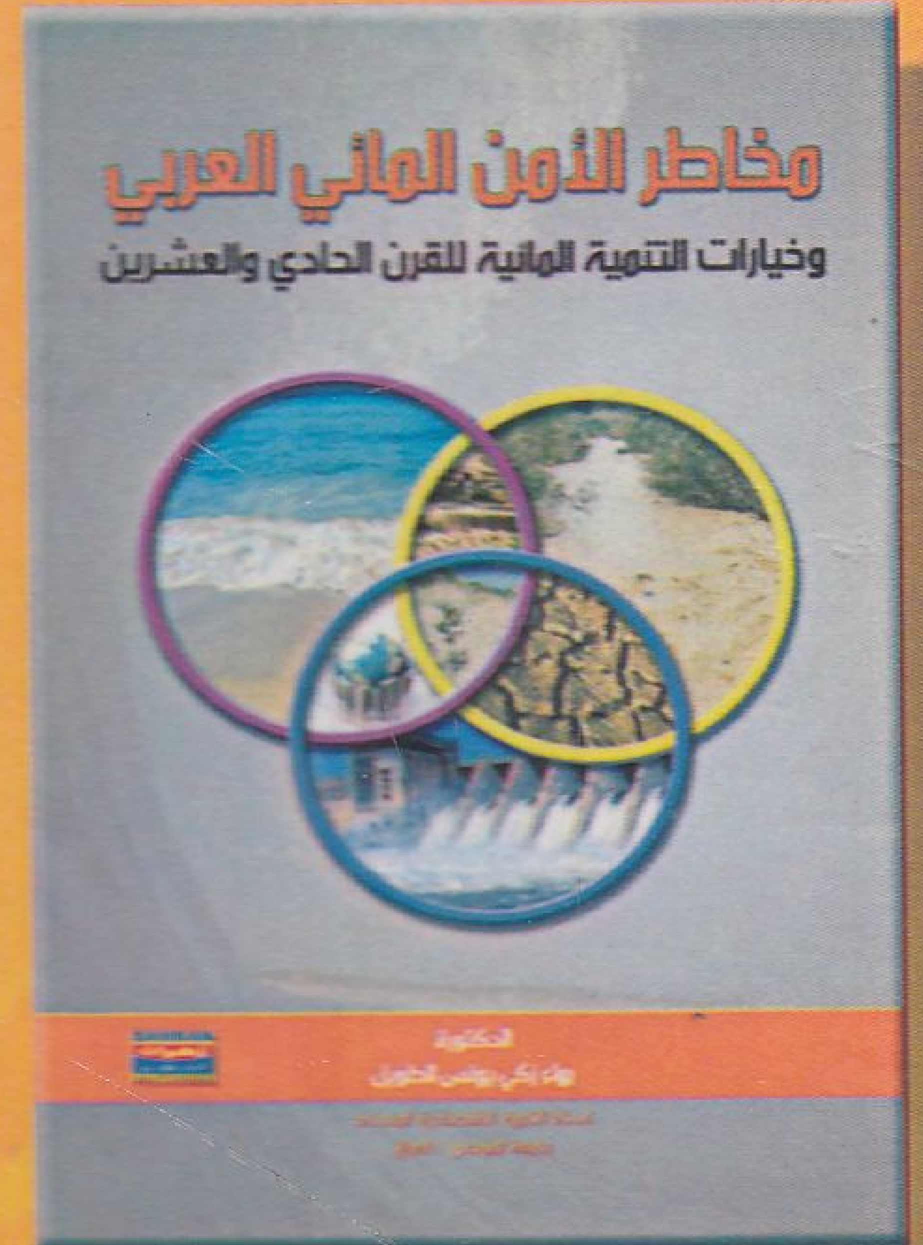
70. رضوان البيلي، مشكلة الفراغ، مجلة الوعي الاسـلامي،8،89، الكويـت، 1972، ص4.

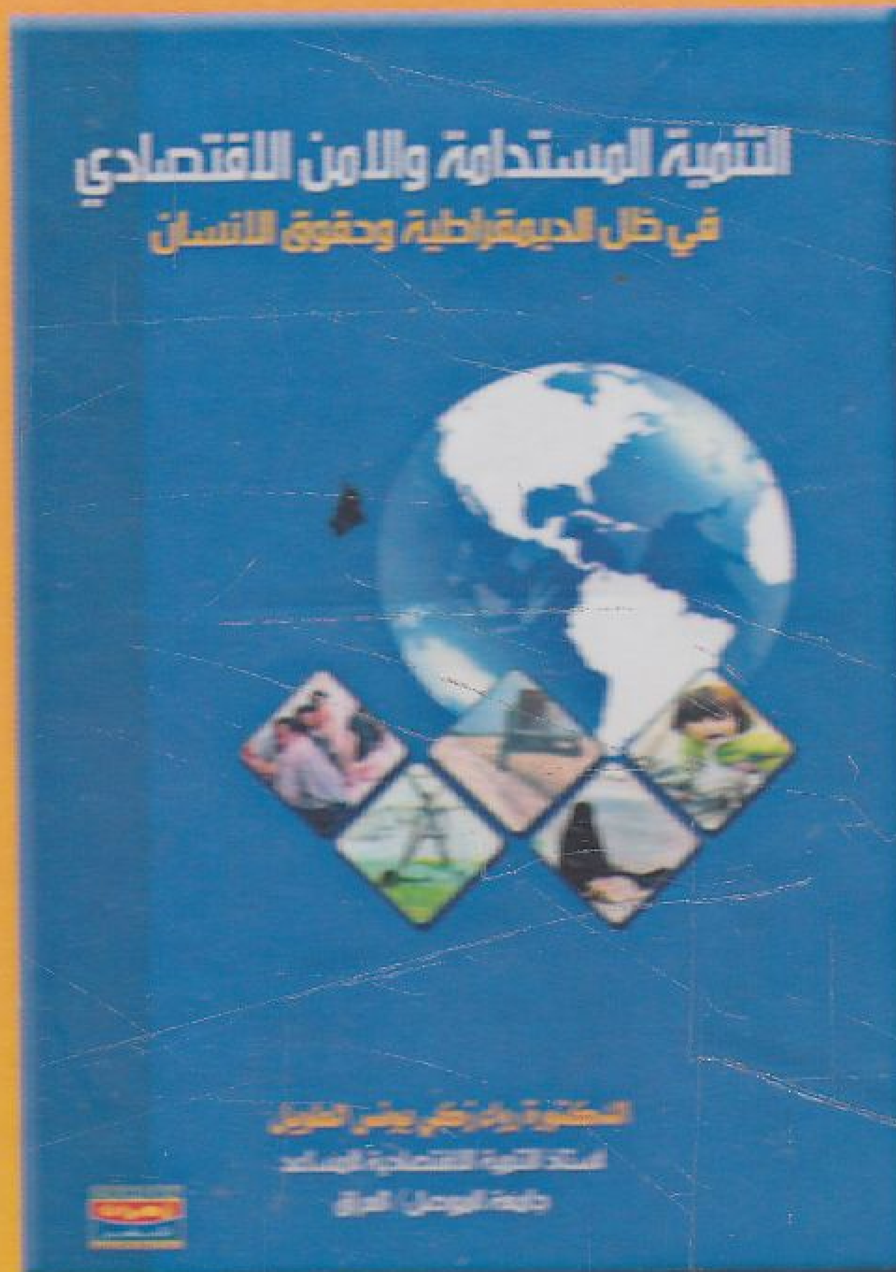
71. انيس عبد الملك، مراجعة اللـواء سـيد عبـد الحميـد مرسي، سلـسلة العلاقـات الانسانية رقم 29، طبع بمطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968، ص58.

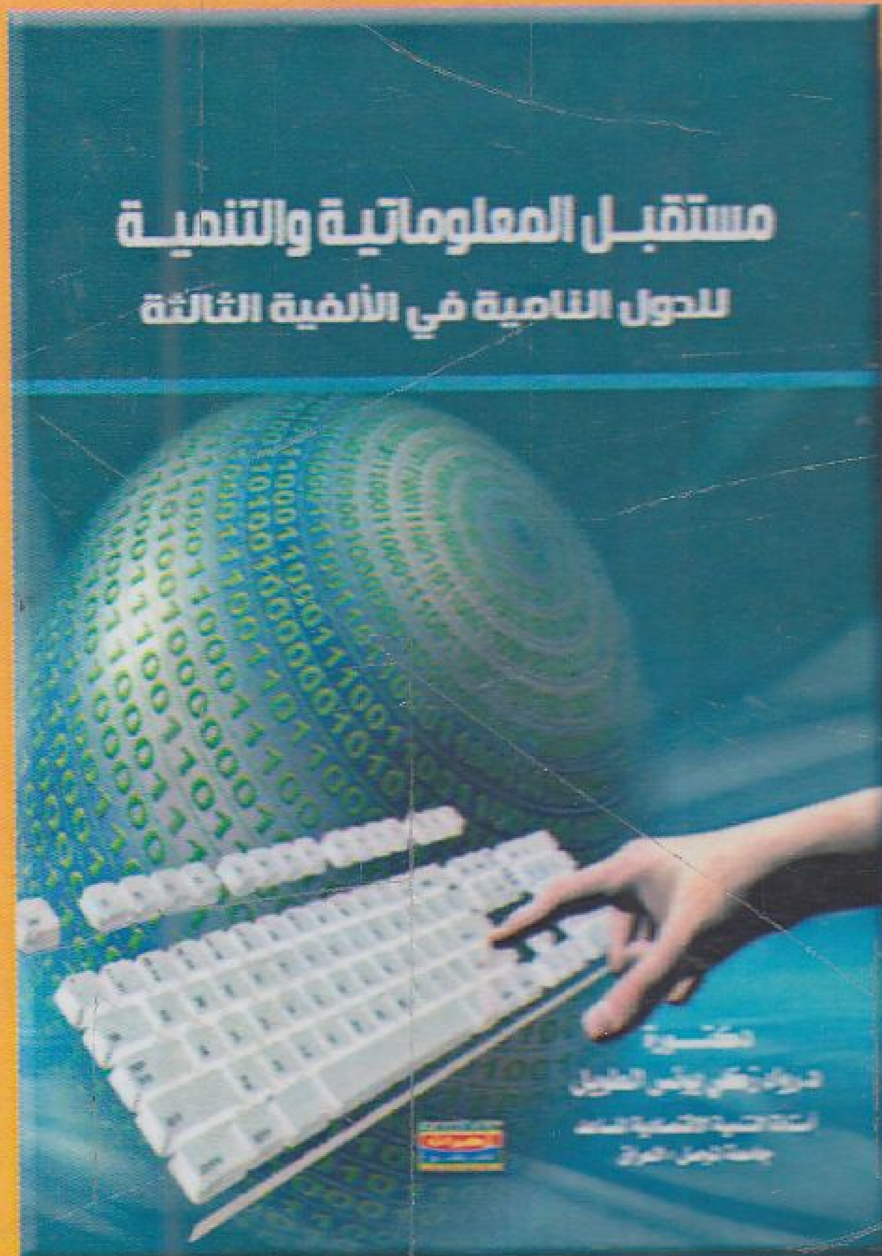
72. وما اجملها من جلسة على الشاطئ تؤخذ فيها النفس بزرقة المياه وتموجها وحركتها، وهناك الرحلة بين السهول الفسيحة والوديان الجميلة والينـابيع الـساحرة والجبـال ذات الالوان البديعة وهناك القراءة، والكتاب هو المسامر الـذي لايمـل والجلـيس الانيس والصديق المخلص ومصاحبة الكتب تملأ النفوس بهجـة والعقـول معرفـة والقلوب نورا.

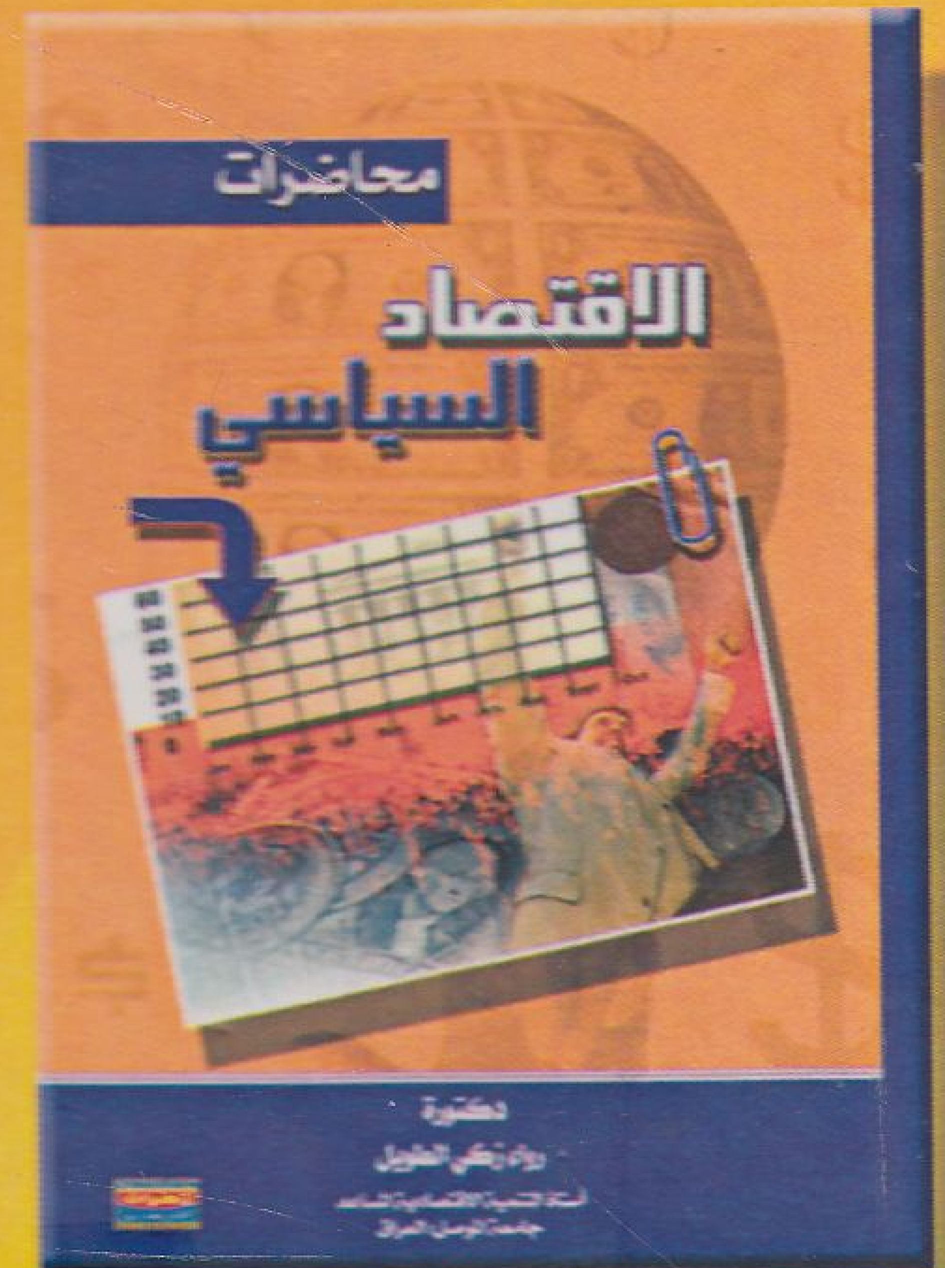
73. ومع الصيف يحس العاملون بحاجتهم الماسة الى الراحة من العمل والتخفـف مـن المسؤوليات، والترويح عن النفس فيصيفون في الاماكن التي يلطف جوها ويطيب هواؤها ويهرعون اليها ويقضون فيها فترة الحر وم'.ة الصيف. ومع الـصيف تغلـق المدارس والمعاهد والجامعات أبوابهـا، ويفـرغ الاسـاتذة والطـلاب مـن الدراسـة وتحصيل العلم ويطوون الكتب ويدعون الكراسات ويرتحلون مع اهليهم وذويهم الى شواطئ البحار وأماكن الاصطياف وتستغرق فترة الفراغ في الصيف ثلاثة أشهر وتزيد أو تنقص قليلاً فكيف تقضي هذه الفترة التي تقرب من ربع العام من حقهـم ان يروحوا عن انفسهم، ولكن ليس من حقهـم ولا مـن صـالحهم ان يقـضوها في فراغ مهمل او لهو مفسد.

صدر حديثا
للمؤلفة













ZAHRAN
زهران
للنشر
PUBLISHERS

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي
دار زهران للنشر والتوزيع
تلفاكس : 0096265331289 ص.ب. : 1170 عمان - الرمز البريدي : 11941 الأردن
Email: zahran.publishers@gmail.com www.darzahran.net